

فَضِيحٌ

فَتْحُ الْبَالِغَةِ

الجزء الأول

تأليف

أية الله المجاهد

الحاج السيّد محمد الحسبني الشبلي



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

توضیح نهج البلاغة



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

توضیح

مَحَلُّ الْبَلَاغَةِ



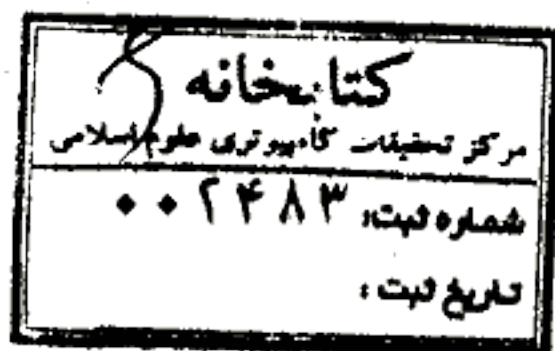
مرکز تحقیقات و نشر متون اسلامی

آیة الله الامام المجدد
الحاج الشیخ محمد الحسینی شیرازی
دام ظلّه

دار تراث الشيعة
طهران - ايران



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين،
واللعنة على اعدائهم اجمعين، من الان الى قيام يوم الدين .
وبعد . . فان من الضروري ان يتقرب الانسان الى علوم الاسلام الخمسة . .
وهي : اصول الدين . . التفسير . . الاخلاق . . تاريخ الاسلام . . فقه
الاحاديث .

والتقرب الى هذه العلوم لا يمكن الا بالعلم باللغة العربية، فان هذه
اللغة مفتاح فهمها، وقد تطورت الظروف في البلاد الاسلامية الى ترك هذه
العلوم، وهذه اللغة، بالرغم من ان عمل المسلمين السابقين كان على تعلم
هذه الامور الستة، ونشرها، ولذا يقول المؤرخون: ان المسلمين كانوا ينشرون
دينهم ولغتهم في كل مكان يسيطرون عليه . . و با انحطاط هذه الامور الستة،
وقف مد الاسلام عن الارتفاع، واب كيانهم الى الاضمحلال، و اشرفت شمس عزهم
على الافول، حتى بينما كان المسلم امنع من عقاب الجور، في نظر العالم، لا تفكر
اكبر دولة في منازلهم، نرى اليوم (والامر يملكه النسوان والخدم) .
هذه من ناحية . .

ومن ناحية اخرى : اذا دققنا في كتاب نهج البلاغة (للامام المرتضى، امير
المؤمنين عليه آلاف التحية والثناء)، الذي جمعه الشريف الاجل السيد
الرضي قدس الله تربته، رأينا ان الامور الستة مجتمعة فيه اجمالا او تفصيلا، بسطا
او تحريضا، فانه يشرح اصول العقائد من توحيد ورسالة ومعاد وامامة شرحا

ويحرض على القرآن حثا ، ويلج الى الاخلاق الفاضلة تلميحا ، ويشير الى تاريخ الاسلام العا ٠٠ و كله حديث ، بالاضافة الى انه سنام اللغة ومنتجها ، و منبثها و مرعاها .

٠٠ عزمت على ان اجنى من ثمرة هذا الكتاب العظيم ما اتمكن عليه ، كي اقدمها الى الطلاب ، لعل الله سبحانه ان يحيى - بقدره - آثار الاسلام الدارسة ، ويعيد الى اهل العلم ، ما فقدوه عن عمد ، وعن غير عمد ، من الحركة والنشاط الاسلامى الذى اخمد منذ زمان ترك هذه العلوم بين المسلمين . والله الموفق ، وهو المستعان .

كربلاء المقدسة : محمد بن المهدي



مركز تحقيقات كميته علوم اسلامي

مقدمة السيد الشريف الرضى

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله الذى جعل الحسد ثمنا لنعمائه ، ومعازدا من بلائه ، و
سيلا الى جنانه وسببا لزيادة احسانه . والصلاة على رسوله نبي الرحمة ، وامام
الأئمة ، وسراج الأمة ، المنتخب من طينة الكرم ، وسلالة المجد الأقدم ، و
مغرس الفخار المعرق ، وفرع العلاء العشر المورق . وعلى أهل بيته مصابيح
الظلم ، وعصم الأمم ، ومنار الدين الواضحة ، ومثاقيل الفضل الراجحة . صلى
الله عليهم أجمعين ، صلاة تكون ازايا فضلهم ، ومكافأة لعملهم ، وكفاة لطيب
فرعهم وأصلهم ، ما أنار فجر ساطع ، وخوى نجم طالع ، فانى كنت فى
عنقوان السن ، وغضاضة الغصن ، ابتدأت بتأليف كتاب فى خصائص الأئمة
عليهم السلام : يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم ، حدانى عليه
غرض ذكرته فى صدر الكتاب ، وجعلته أمام الكلام . وفرغت من الخصائص
التي تخص أمير المؤمنين عليا عليه السلام ، وعاقبت عن اتمام بقية الكتاب
محاجزات الأيام ، ومعاطلات الزمان . وكنت قد بويت ما خرج من ذلك
أبوابا ، وفصلته فصولا . فجاء فى آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه
السلام من الكلام القصير فى المواعظ والحكم والأمثال والآداب ، ودون الخطب
الطويلة ، والكتب المبسوطة . فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه

الفصل المقدم ذكره معجيين ببدائعه ، ومتعجيين من نواصعه ، و سألوني
عند ذلك أن أبتدئ بتأليف كتاب يحتوى على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين
عليه السلام فى جميع فنونه ، ومتشعبات غصونه : من خطب ، وكتب ، ومواعظ ،
و أدب . علما أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، و
جواهر العربية ، وثواقب الكلم الدينيّة والدينيّة ، ما لا يوجد مجتمعا فى
كلام ، ولا مجموع الأطراف فى كتاب ، إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع
الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ، ومنه عليه السلام ظهرمكنونها ،
وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب ، وبكلامه استعان
كل واعظ بليغ ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا ، وقد تقدم وتأخروا ، لان
كلامه عليه السلام الكلام الذى عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام
النبوي ، فأجبتهم الى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع ، ومنشور
الذكر ، ومذخور الأجر . واعتمدت به أن أبين عن عظيم قدر أمير المؤمنين عليه
السلام فى هذه الفضيلة ، مضافة الى المحاسن الدثرة ، والفضائل الجمّة . و
أنه عليه السلام انفراد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين الذين انما يؤثر
عنهم منها القليل النادر ، والشاذ الشارد . فأما كلامه فهو البحر الذى لا
يساجل ، والجم الذى لا يحافل .

وأردت أن يسوغ لى التمثل فى الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق :
أولئك آبائى فجئنى بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع
ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة : أولها : الخطب و
الأوامر ، وثانيها : الكتب والرسائل ، وثالثها : الحكم والمواعظ فأجمعت
بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ، ثم محاسن الكتب ،
ثم محاسن الحكم والأدب . مفردا لكل صنف من ذلك بابا ، ومفصّلا فيه

أوراقا ، لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذعن عاجلا ، ويقع الى آجلا .
إذا جاء شئ من كلامه — عليه السلام — الخارج في أثناء حوار ، أو جواب
سؤال ، أو غرض آخر من الأغراض — في غير الأنحاء التي ذكرتها ، و قررت
القاعدة عليها — نسبته الى أليق الأبواب به ، وأشدّها ملامحة لغرضه . و
ربما جاء فيما أختاره من ذلك فصول غير متسقة ، ومحاسن كلم غير منتظمة لأنى
أورد النكت واللمع ، ولا أقصد التتالى والنسق .

ومن عجائبه عليه السلام ، التي انفرد بها ، وأمن المشاركة فيها ، أن كلامه
الوارد في الزهد والمواعظ ، والتذكير والزواج ، إذ تأمله المتأمل ، و فكر
فيه المتفكر ، و خلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره ، و نفذ أمره ، وأحاط
بالرقاب ملكه ، لم يعترضه الشك في أنه كلام من لا حظ له في غير الزهادة ،
ولا شغل له بغير العبادة ، قد قبع في كسرييت أو انقطع الى سفح جبل ،
لا يسمع الا حسّه ، ولا يرى الا نفسه ، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في
الحرب مصلّتا سيفه ، فيقطّ الرقاب ، ويجدّل الأبطال ، ويعود به ينطف
دما ، ويقطرمهجا . و هو مع تلك الحال زاهد الزهاد ، وبدل الأبدال .
وهذه من فضائله العجيبة ، وخصائصه اللطيفة ، التي جمع بها بين الضداد ،
و ألف بين الأشتات ، وكثيرا ما أذاكر الاخوان بها ، وأستخرج عجبهم
منها ، و هي موضع للعبرة بها ، والفكرة فيها .

وربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد ، والمعنى المكرر ، و
العدر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافا شديدا : فربما اتفق الكلام
المختار في رواية فنقل على وجهه ، ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعا
غير موضعه الأول : اما بزيادة مختارة ، أو لفظ أحسن عبارة ، فتقتضى
الحال أن يعاد ، استظهارا للاختيار ، وغيره على عقائل الكلام . و ربما

بعد العهد أيضا بما اختير أولا فأعيد بعضه سهوا أو نسيانا ، لا قصدا و
اعتمادا .

ولا أدعى - مع ذلك - أنى أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام
حتى لا يشذ عنى منه شاذ ، ولا يندّ ناد . بل لا أبعد أن يكون القاصر عنى
فوق الواقع إلى ، والحاصل فى ربقتى دون الخارج من يدى ، وما على الا
بذل الجهد ، وبلاغ الوسع ، وعلى الله سبحانه وتعالى نهج السبيل ،
وارشاد الدليل ، ان شاء الله .

ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بـ ((نهج البلاغة)) اذ كان يفتح
للناظر فيه أبوابها . ويقرب عليه طلابها ، فيه حاجة العالم والمتعلم ، و
بغية البليغ والزاهد ، ويمضى فى أثنائه من عجيب الكلام فى التوحيد و
العدل ، وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق ، ما هو بلال كل غلة ،
وشفاء كل علة ، وجلالة كل شبهة .
ومن الله سبحانه أستمدّ التوفيق والعصمة ، وأتنجّز التشديد والمعونة ،
وأستعيذه من خطأ الجنان ، ~~قبل خطأ اللسان~~ ، ومن زلة الكلم ، قبل زلة
القدم ، وهو حسبي و نعم الوكيل .

فَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض ، وخلق آدم ،

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ ،

(فمن خطبة له) أي للامام امير المؤمنين (عليه السلام) . يذكر فيها

ابتداء خلق السماء) كيف انشئت من العدم (والارض) كيف اوجدت من لا شيء
(و) ابتداء (خلق آدم) عليه الصلاة والسلام .

(الحمد لله) أي ان جنس الحمد له سبحانه ، اذ جميع المحامد راجعة اليه (الذي لا يبلغ مدحته) أي مقدار حق مدحه والثناء عليه (القائلون) الذين يقولون الحمد ويتكلمون به ، وذلك لان نعم الله سبحانه لا تحصى كثرة والانسان مهما حمد ومدح فانه لا يصل الى المقدار الواجب عليه عقلا ، او المعنى انه حيث كان غير محدود الصفات الحسنة ، والانسان محدود لا يمكن ان يحيط بالمحدود بغير المحدود (ولا يحصى نعمائه العادون) جمع عاد وهو الذي يعدد ويحسب ، أي ان الذين لهم علم بالحساب والعدد لا يتمكنون من احصاء نعمه لكثرتها (ولا يؤدي حقه المجتهدون) جمع مجتهد ، وهو الذي يجهد نفسه و يتعبها في سبيل شيء ما ، والمراد هنا المجتهدون في العبادة والطاعة ، وانما لا يؤديون حقه تعالى ، لا اعمال العباد في جنب الطافه اليهم اقل من المقدار اللازم والثلث المتعارف .

(الذي لا يدركه بعد الهمة) جمع همة ، يعني ان الانسان مهما كانت همة

وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ ، وَلَا نَعْتُ مَوْجُودٌ ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ .

رفيعة و نظره دقيقا فانه لا يدرك كنهه سبحانه ، بل لا يعرف الانسان من الله سبحانه ، الا انه موجود له صفات كمالية منزّه عن النقائص ، اما ما هو؟ وكيف هو؟ و امثال ذلك فلا يدرك الانسان شيئا منها (ولا يناله غوص الفطن) جمع فطنة و هي الذكاء و الغوص هو الارتماس في الماء ، وغالبا يطلق الغوص لمن يغوص مریدا اللؤلؤ والمرجان — وهذا كناية — اى ان الاذكيا كلما غاصوا في بحار العلوم والمعارف ، لعرفان حقيقته تعالى ، والالتقاط من درر كنهه سبحانه ، لا يقدرون على الوصول والالتقاط .

(الذى ليس لصفته حد محدود) فان صفات الممكن تنقطع ، كما نرى ذلك فى قدرتنا ، و علمنا و حياتنا ، وسائر صفاتنا ، فمثلا انا نقدر على حمل ((مائة كيلو)) او نقدر على النظر ساعة ، او نعلم كتابا خاصا ، او نحى خمسين سنة ، اما الله سبحانه ، فلا حد لصفاته فعمله غير محدود بحدود ، وقدرته تشمل كل شئ ، و حياته ازلية ابدية وهكذا .

(ولا) لصفته (نعت موجود) النعت يقال لما يتغير فعلمنا مثلا يتغير من قلة الى كثرة ، او حال الى حال ، اما علمه سبحانه فلا تغير فيه (ولا) لصفته (وقت معدود) اى وقت قد عدّ بالحساب ، كان نقول ان علمه مدته خمسة ايام ، او الف سنة (ولا) لصفته (اجل) اى وقت (معدود) اى طويل قد مدّ كان يقال انه يعلم الاشياء الى حين انقضاء الدنيا ، وهذا مع سابقه عبارتان عن شئ واحد ، ولكن باعتبارين ، فباعتبار آخر المدة يقال ((اجل)) وباعتبار قطعات الزمان يقال ((وقت معدود)) والحاصل انه لا يصح ان يقال حد علم الله — مثلا — الموجودات ، ولا ان يقال زاد علمه او نقص ، ولا ان يقال علمه يبقى خمسين سنة .

فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَنَشَرَ الرِّيحَ بِرَحْمَتِهِ ، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ
أَرْضِهِ .

أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ ، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ
بِهِ تَوْحِيدُهُ ،

ولا ان يقال علمه ينتهى الى الزمان الفلانى .

ولما آتم الامام بيان ذاته وصفاته تعالى . . . اتى لبيان بعض مظاهر قدرته
سبحانه فقال : (فطر) اى خلق (الخلائق) جميع اصناف الخلق (بقدرته) فان
الخلق لا يكون الا بالقدرة ، وهى الابداع عن ارادة (ونشر الرياح) اى بسطها
فى السماء والارض من هنا الى هناك ومن هناك الى هناك (برحمته) حيث
ان الرياح - غالبا - رحمة وفضل ، لانها تنقى الاجواء ، وتصفى المياه ، وترتب
الاشياء ، وتروح عن الانسان (ووتد) اى سكن عن الاضطراب ، كالوتد الذى
يحفظ الشئ عن السقوط والاضطراب (بالصخور) جمع صخر ، والمراد به الجبل
(ميدان) اى اضطراب ، من (ماد) اذا اضطرب (ارضه) فان الارض تتفكك
وتضطرب ، بسبب الحركة والجاذبية لولا الصخور التى هى كالآوتاد لها .

(اول الدين) الدين هو الطريقة ، والمراد به هنا الطريقة السماوية التى
جاءت لهداية البشر (معرفته) فان الانسان اذا لم يعرف الله فانه لا دين له و
ان صلى وصام وبر وانفق ، فان من لا يعرف الله كيف يتبع منهاجه ؟ (وكمال معرفته
التصديق به) بان يبنى الانسان بناءا عمليا على الادعان والاعتراف ، فان بذلك
التصديق يمكن العرفان ، والا فمن عرف قلبا ولم يصدق فهو ناقص المعرفة (و
كمال التصديق به) اى بالله (توحيده) بان يوحد الانسان ولا يجعل له شريكا
فان من عرف الله وصدق به ، لكنه جعل له شريكا كان تصديقه ناقصا ، اذ ليس
تصديقا بما هو الواقع من جميع الجهات ، بل من بعض الجهات .

وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ : فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ

(وكمال توحيدہ الاخلاص لہ) فان التوحيد لا يكمل الا اذا اخلص الانسان في سره وباطنه لله تعالى ، اما من يوحدہ ولكن لا يخلص لہ في اعمالہ ، فان توحيدہ صوری لا کمال لہ (وكمال الاخلاص لہ نفی الصفات عنه) بان لا يجعل الانسان الاله شيئا ، وصفاته شيئا آخر ، كما هو كذلك في الانسان وصفاته ، مثلا زيد شيء وعلمه شيء آخر ، وان اقترنا ، فمن وحد الله سبحانه ولم يجعل له شريكا من الاصنام وما اشبه ، لكنه اثبت هناك صفاتا مغايرة للذات ، لم يكن مخلصا لله سبحانه اذ يتوجه الى الذات والى الصفات ، وهذا هو الذي عبر عنه المتكلمون بانه سبحانه ((لا معاني لہ)) اي ان صفاته عين ذاته وانما تنتزع الصفات من الذات باعتباريات ، فباعتبار انه يعلم الاشياء يقال عالم ، وباعتبار انه يقدر على الاشياء يقال قادر ، لان هناك ذات وعلم وذات وقدرة وهذا كما يقال الانسان واحد : زيد ، ابو عمرو ، ابن خالد ، جد محمود ، فان هذه الاسامي قد انتزعت عن شيء واحد باعتباريات متعددة ، والحاصل ان من اثبت صفة وذاتا لم يكن مخلصا في توحيدہ .

ثم بين الامام عليه السلام علة التلازم بين التوحيد ونفي الصفات بقوله : (لشهادة كل صفة انها غير الموصوف) فانه لو قال هناك ذات وصفة غير الذات ملاصقة بها - نحو التصاق اوصافنا بذواتنا - دلت الصفة على غير الموصوف فتحدث الاثنينية (وشهادة كل موصوف انه غير الصفة) فان كل شيء يشهد - شهادة تكوينية - على انه غير الشيء الاخر ثم فرع الامام عليه السلام على ذلك قوله : (فمن وصف الله سبحانه) بصفة مغايرة للذات (فقد قرنه) اي قد قرن الله

، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ
، وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ ، وَمَنْ
حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ . وَمَنْ قَالَ « فِيمَ » فَقَدْ ضَمَّنَهُ ،

بشيء آخر - هو الصفة - (ومن قرنه) تعالى باوصافه (فقد ثناه) أي جعله اثنيًا :
الذات ، والصفات (ومن ثناه) أي جعل الله اثنيًا (فقد جزاه) أي جعله ذا
أجزاء ، فإن الاثنين المتداخلين واحد ذو أجزاء ، كما أن الإنسان واحد
ذو أجزاء ، و ((السكجيين)) واحد ذو أجزاء خل وشهد .

(ومن جزاه) أي جعله تعالى ذا أجزاء (فقد جهله) أي لم يعرفه حق
معرفة ، إذ أنه عرف اثنيًا ، وألها ذا أجزاء ، ولم يعرف واحدًا ، وألها بسيطًا
لاجزء له (ومن جهله) تعالى (فقد أشار إليه) إذ الجهل يستلزم أن يعدد
الإنسان كالأموال الجسمانية القابلة للإشارة الحسية ، أو كالأموال العقلية - كالجنس
والفصل - القابلة للإشارة العقلية ، والله سبحانه منزّه عن أمثال هذه
الإشارات .

(ومن أشار إليه) تعالى (فقد حدّه) أي جعله محدودًا ، إذ الإشارة تستلزم
التوجه إلى ناحية خاصة ، وذلك يلزم أن تكون تلك الناحية محيطة بذلك المشار
إليه (ومن حدّه) تعالى (فقد عدّه) أي أدخله تحت التعداد ، إذ يكون المشار
إليه حينئذ واحدًا ، والجانب الآخر ثان ، والجانب الآخر ثالث ، وهكذا ، والله
منزّه عن أن يدخل تحت العدد ، إذ هو الواحد الذي لا ثاني له (ومن قال) عن
الله (فيم) أصله ((في ما)) وإذا دخلت حروف الجر على ((ما)) للاستفهامية حذف ألفها
نحو ((فيم)) و ((لم)) و ((عم)) ونحوها .. يعني من سئل قائلًا ((فيم الله ؟))
(فقد ضمنه) أي جعله في ضمن شيء آخر إذ ((في)) للظرفية ، والمظروف دائماً
محاط بالظرف محدود ، والله ليس محدودًا .

وَمَنْ قَالَ «عَلَامَ؟» فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ . كَائِنْ لَا عَنْ حَدَثٍ ، مَوْجُودٌ
لَا عَنْ عَدَمٍ . مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ
، فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ ،

(ومن قال) عن الله : (علام) ؟ أى سئل ((الله على أى شىء)) ؟ (فقد اخلى
منه) أى كان لازم سؤاله ان بعض الجهات خال عنه تعالى ، اذ الشئ الكائن
على شئ آخر يكون الاسفل منه خاليا عنه ، كما انك اذا قلت زيد على الارض كان
لازم ذلك خلو باطن الارض من زيد (كائن) أى ان الله سبحانه موجود (لا عن
حدث) أى مبتدأ عن حدوث بان لم يكن ثم كان ، كما هو شأن سائر الكائنات ،
و((عن)) للمجاوزة (موجود) أى انه سبحانه موجود (لا عن عدم) فلم يكن سابقا
معدوما ثم وجد وكان الفرق بين الفقرتين ان الاولى باعتبار الذات - وانها
ليست حادثة - والثانية باعتبار السابق ، وانها لم يسبق عليها العدم ، و ان
كانتا متلازمتين فى النتيجة .

والله سبحانه (مع كل شئ لا بمقارنة) أى ان ((المعية)) ليست بمعنى اقتران
الله بالاشياء ، كما هو كذلك فى الامور الجسمانية فاذا قلت زيد مع محمد ، كان
معناه اقترانها ، بل اقترانه تعالى بالاشياء بمعنى انه عالم بها قادر عليها (و
غير كل شئ لا بمزايلة) أى انه تعالى مغاير للاشياء لكن ليست المغايرة بمعنى
انه تعالى زائل عنها غير مرتبطة بها ، كما لو قلنا ان زيدا غير محمد ، حيث يراد
به انها جنسان متغايران ، بل المغايرة هنا بمعنى ان له ذاتا وصفاتا ، لا تشابه
سائر المخلوقات وهو سبحانه (فاعل) للاشياء ومكون لها (لا بمعنى الحركات
والآلة) يعنى انه لا يتحرك اذا اراد ان يفعل شيئا ، كما هو كذلك بالنسبة
الينا فاذا اردنا ان نفعل شيئا تحركنا حتى نفعله ، وهكذا الله تعالى يوجد
الاشياء ابتداء بدون احتياج الى آلة توصله الى ذلك الشئ بخلاف البشر الذى

بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكْنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ
وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ . أَنشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً ، وَأَبْتَدَاهُ أَبْتَدَاءً ،

يصنع الاشياء بالالات ، فينشر الخشب ويثبت الوتد ، بالمنشار والمدق وما شبه
ذلك .

وانه تعالى (بصير) اى عارف بالاشياء (اذ) اى فى ، زمان (لا منظور اليه
من خلقه) اى كان سبحانه متصفا بانه ((بصير)) فى وقت لم يكن مخلوق موجودا ،
والمراد بالبصير العارف بالاشياء ، وهذا بخلاف الانسان الذى لا يبصر الا ما هو
مخلوق موجود ، ثم لا يخفى انه سبحانه لا خاصه له كحواسنا تبصر الاشياء ، اما انه
هل يراها بذاته ، ويسمع بذاته ، ام المراد بالسمع والبصر العلم احتمالا ، و
المرجح لدى حسب المستفاد من الظواهر الثانی ، ولا ينافى ذلك عدم
معرفتنا بالمزايا والكيفيات ، كما لا نعرف سائر صفاته بكنهها ، وهو سبحانه
(متوحد) اى واحد ، ولكن ليست وحدته كوحدةنا ، فان الوحدة فينا معناها
ان هناك غيرنا ممن اذ ابتعد عنا نستوحش ، واذا اقترب الينا نأنس ، وليس
كذلك سبحانه اذ لا جنس له حتى يأنس بقربه ويستوحش لبعده ، كما لا قرب ولا
بعد للاشياء بالنسبة اليه ، والى هذا اشار عليه السلام بقوله : (اذا لا سکن
يستأنس به) والاستيناس ضد الوحشة التى تطر على الانسان حال الانفراد (و
لا يستوحش لفقده) بالابتعاد عنه او فناءه وهلاكه ، و ((اذ)) للعلة ، بخلاف
((اذا)) فى الجملة السابقة ، فانها بمعنى الزمان .

(انشاء) سبحانه (الخلق انشاء) والانشاء غالبا يستعمل فى الابداع ، و
هى الایجاد بدون احتذاء مثال واتباع الغير (وابتدئه) اى الخلق (ابتداء ١)
فكان هو الاول فى الخلق لاسبق عليه ، والابتداء اعم — مفهوم — من الانشاء

بِلا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا ، وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتِفَادَهَا ، وَلَا حَرَكَةٍ أَخَذَتْهَا ، وَلَا
هَمَامَةَ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا أَحَالُ الْأَشْيَاءِ لِأَوْقَاتِهَا ، وَلَا مَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا
وَعَرَّزَ ، غَرَائِزَهَا ، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا ،

(بلاروية) هي بمعنى الفكر (اجالها) أي ادارها وردها، فان الانسان اذا اراد
ان يعمل شيئاً قلب وجوه الرأي في ذهنه حتى يستقر على كيفية خاصة ، والله سبحانه
انما يخلق بلا فكر وترديد (ولا تجربة استفادها) من غيره بان كان غيره صنع شيئاً ثم
جعل ذلك الغير قدرة له يستفيد من اعماله الكيفية والمزايا .

(ولا همامة نفس) الهمامة بمعنى الاهتمام ، أي بدون اهتمام حدث في نفسه
سبحانه (اضطرب فيها) بان اهتم في الامر مضطرباً كما هو الشأن في من يريد ان
يفعل شيئاً عظيماً ، اذ يهتم ويضطرب فكره (احال الاشياء لأوقاتها) أي انه تعالى
احال كل شئ مما يحدث في الكون لوقته ، فمثلاً احال الفواكه لفصل الصيف ، والامطار
لفصل الشتاء وهكذا ، والحاصل انه تعالى جعل لكل شئ وقتاً خاصاً به ، يظهر في
ذلك الوقت حسب حكمته البالغة .

(ولأم بين مختلفاتها) أي جعل الالتئام والوفاق والائتلاف بين الاشياء
المختلفة كما قرن النفس اللطيفة بالجسم الكثيف ، وقرن الطبائع الاربع بعضها مع
بعض في المواليد الثلاثة : فالماء والنار مقتربان والهواء والارض ملتئمان (وعرّز
غرائزها) جمع غريزة وهي الطبيعة ، أي جعل لكل شئ طبيعة خاصة وهذا كقولهم
سود السواد ، وبيض البياض ، أي جعل ذلك الجنس اسود ، وهذا الجنس ابيض . .
فنرى لكل شئ طبيعة خاصة هذا بارد ، وذاك حار ، وهكذا (والزمها اشباحها)
جمع شبح ، أي الشخص أي الزم سبحانه الغرائز اشخاصها ، أي جعل تلك الغرائز في
مواد خاصة ، حتى يعرف كل مادة بغريزتها فلا تتبدل الغرائز عن الاشباح ولا
الاشباح عن الغرائز ، كان تكون الطبيعة الباردة مرة في النار ومرة في الماء ، او

عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا ، مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَأَنْتِهَائِهَا ، عَارِفًا بِقِرَائِنِهَا
وَأَحْنَائِهَا . ثُمَّ أَنْشَأَ - سُبْحَانَهُ - فَتَقَ الْأَجْوَاءَ وَشَقَّ الْأَرْجَاءَ ،
وَسَكَّائِكَ

يكون الماء مرة باردا ومرة حارا - بالطبيعة ، وهذا الالتزام هو الذي كَوَّن القوانيسن
العامّة في الكون والآلم يستقر حجر على حجر .

وكان سبحانه (عالمًا بها) أي بالاشياء (قبل ابتدائها) وخلقها فكان تعالى يعرف
مزايا الاشياء التي يريد خلقها بلا زيادة او نقصان (محيطًا) احاطة علم (بحدودها)
اجناسها وفصولها و سائر الامور المرتبطة بها (وانتهائها) أي يعلم وقت ما ينتهي كل
شئ ويتحول من الوجود الى العدم لانقضاء امده (عارفا بقرائنها) جمع قرينة و
هي ما يقترن بالشئ (واحنائها) جمع حنو - بالكسر - بمعنى الجانب ، فمثلا كان
سبحانه يعلم ((السكر)) قبل خلقه ، محيطًا بانه جسم ابيض حلو ، وانه الى اي حين
يبقى ((حلوا)) ثم يذهب حلاؤه لتمادي الزمان عليه - مثلا - عارفا بانه يقترن بالخل
او بما اشبهه ، وسائر جوانبه مثل انه لو اقترن بالخل ماذا كان يصير لونه ، وماذا تكون
خواصه ، وكيف يكون طعمه ؟ .

(ثم) بعد العلم والعرفان بالاشياء (انشاء سبحانه فتق الاجواء) جمع جو و
هو الفضاء بين السماء والارض ، واعتبار كل طرف من اطرافه ، اوجب جمعه على الاجواء
ومعنى فتق الاجواء شقها ، ان صار محلا لشئ بعد ان كان فضاءً باحثًا ، والظاهر ان
الفضاء ايضا مخلوق ، وان كان خاليا من كل شئ ، وعدم تصور الانسان لحالة قبل
الفضاء لا يوجب القول بعدم خلقها ، وحاصل هذا الفصل ، انه تعالى خلق ماءً
في الفضاء وخلق ريحا ، وموجت الريح الماء ، ومن ذلك خلق السماوات والارض .
(وشق الارجاء) جمع ((رجاء)) على وزن ((عصى)) بمعنى الجانب ، أي شق
اطراف الفضاء ، يجعل الماء فيها ، فان الماء يشق الفضاء الممتد في كل جانب وسكائك

٢٠توضيح نهج البلاغة

الْهَوَاءُ ، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاظِمًا تَيَّارُهُ ، مُتْرَاكِمًا زَخَّارُهُ . حَمَلَهُ
عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ ، وَالزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ ، وَسَلَّطَهَا
عَلَى شِدِّهِ ، وَقَرَّنَهَا إِلَى حَدِّهِ . الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ ،

الهواء جمع ((سكاكة)) على وزن ((تلاثة)) بمعنى الهواء الملاقي اعالي الفضاء ، و
هذا كناية عن ان الفتق كان ذا ارتفاع كما كان ذا طول وعرض و توسع يشمل الاجواء
والارجاء (فاجرى) تعالى (فيها) اى فى تلك الاجواء والارجاء والسكائك (ماء) متلاظما
تياره التيار الموج الذى يأتى ، يعنى ان امواجه كانت متلاطمة تلطم بعضها بعضا ،
وتضطدم بعضها بالآخر ، لشدة هيجانها وحركتها (متراكما زخاره) التراكم هو كون
الشئ بعضه فوق بعض مع زيادة وكثرة ، والزخار مبالغة فى الزاخر ، وهو الممتد
المرتفع اى ان الماء كان بعضه فوق بعض فى ارتفاع وعلو ، بخلاف مياه البحار
المسطحة - حسب ما يرى - .

ثم خلق سبحانه قسمين من الريح قسمات تحت الماء تحمله وقسمها فوق الماء تعصفه
وتموجّه (حمله) اى الماء (على متن الريح العاصفة) وهى الشديدة الهبوب (و)
على متن (الزعزع) هى الريح سميت به ، لانها تززع اى تحرك الاشياء الثابتة (القاصفة)
من قصف بمعنى حصم ، اى الريح الشديدة التى من شأنها ان تحطم (فامرها) اى امر الله
سبحانه بالريح (برده) اى رد الماء عن الهبوط ، فان الماء لثقله يهبط لكن الريح
جعلت له كالسناد الذى كلما ثقل نحو الاسفل حفظته وردته عن الهبوط (وسلطها)
اى سلط الله الريح (على شده) اى شد الماء كانها وثاق للماء تشد بعضه مع بعض
حتى يبقى مجتمعا لا يفترق (وقرنها) اى قرن الله الريح (الى حده) اى حد الماء
فكان السطح الاعلى للريح مماسا للسطح الاسفل للماء .

(الهواء من تحتها فتيق) يعنى ان الهواء من تحت الريح مفتوق مشفوق فان

وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ . ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً أَعْتَقَمَ مَهَبَهَا ، وَ
أَدَامَ مُرَبَّهَا ، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا ، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا ، فَأَمَرَهَا بِتَضْفِيقِ الْمَاءِ
الزَّخَارِ ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبَحَارِ .

الريح الحاملة للماء كانت قد فتقت الهواء حتى اخذت مكانها (والماء من فوقها
دفيق) يعنى ان الماء من فوق الريح يتدقق ويتحرك بشدة فالريح متوسطة بين
الهواء والماء ، والمراد بالهواء اما الفضاء او الجسم اللطيف الذى يتنفس به وهو
غير الريح (ثم) الظاهر انه لترتيب الكلام لترتيب المطلب ، اذ قد سبق اضطراب
الماء وتموجه دفيه (انشاء) اى خلق (سبحانه) مفعول مطلق لفعل محذوف اى انزله
تنزيها ، واستجسجنا (ريحا اعتقم مهبتها) المهب مصدر ميمى بمعنى الهبوب والجرى
واعتقم بمعنى كانت عقيمة لا تلد ، فان مع الرياح ما لا تلحق سحابا ولا شجرا ، ومنها ما
تلحق ، وتلك الريح كانت عقيمة لانها لم تكن تلحق بل تحرك الماء فقط .

(وأدام مربها) المرب مصدر ميمى من أرب بالمكان ، مثل البريه - باب افعال من
المضاعف - بمعنى لازمه ، اى ادام الله الزام تلك الريح لمكانها فلم تكن تسير من
هناك ، كما هى عادة الرياح ، بل كانت فى محل واحد لتحريك الماء وتموجه (و
اعصف) الله سبحانه (مجراها) اى جرى الريح - مصدر ميمى - بمعنى اجرائها ، و
المعنى جعل جرى تلك الريح شديدة ، فان العصف بمعنى شدة الهبوب (وابعد
منشاه) اى جعل محل انشاء تلك الريح بعيدا ، ولعلها كانت تأتى من مكان
بعيد حتى تصل الى سطح الماء (فامرها) اى امر الله سبحانه تلك الريح - ولعل
المراد : الامر تكوينا ، لا تشريعا - (بتضفيق الماء الزخار) التضفيق هو التحريك و
التقليب ، والزخار هو الممتد المرتفع ، اى بتحريك الماء المذكور سابقا - ذى الارتفاع و
الكثرة - .

(وإثارة موج البحار) اى امر الله تلك الريح بان تثير وتهيج امواج تلك المياه

فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السَّقَاءِ ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ . تَرُدُّ أَوَّلَهُ
إِلَى آخِرِهِ ، وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ ، وَرَمَى بِالزَّبْدِ رُكَّامَهُ
فَرَفَعَهُ

وسماها بحارا ، باعتبار قطعها المختلفة (فمخضته مخض السقاء) المخض هو التحريك
بشدة ، كما يعض السقاء الاستخراج الزيد من اللبن ، والسقاء هو الجلد الذي يصنع منه
وعاء للماء واللبن والدهن وما أشبه ، أي حركت الريح تلك المياه تحريكا عنيفا
كتحريك السقاء (وعصفت) تلك الريح (به) أي بالماء (عصفها) أي مثل عصفها وشدة
هبوبها (بالفضاء) بمعنى أن الريح جعلت تشتد بالماء جيئة وذهابا ، كما تجرى
في الفضاء بشدة وقوة بدون مانع ودافع ، فقله عصفها مفعول مطلق نوعي ، نحو جلست
جلسة الأمير (ترد) الريح (أوله إلى آخره) أي أول الماء إلى آخره في تمويجه له وتحريكه
إياه (و) ترد تلك الريح (ساجيه) من ساجى بمعنى سكن (إلى مائره) من ((مار))
بمعنى تحرك ، أي كلما سكن بعض الماء رده إلى المتحرك حتى صار الماء دائماً
المتحرك .

(حتى عب عبابه) ((عب)) بمعنى ارتفع أي ارتفع الماء ارتفاعه المقصود ، فإن
التحريك يوجب تدخل أجزاء الهواء في الماء حتى يرتفع الماء للفرج الحاصلة فيه
من الهواء (ورمى) الماء (بالزيد) وهو ما يعلو البحر واللبن لدى شدة هياجهما من
الماء الذي فيه الهواء ، أو الدهن المخلوط باللبن (ركامه) أي ارتفاعه ، وهو مفعول
به ((رمى)) أي رمى الماء أعلاه بالزيد ، بأن تجمع الزيد في أعلا الماء (فرفعه) أي
ذلك الزيد والمراد به بخار الماء ، وإنما سمي زيدا لشبهه به في أنه يرتفع من الشيء
بسبب الحركة والحرارة ، وهذا لا ينافي ما ورد في القرآن الكريم من أن السماوات
خلقت من الدخان ، إذا المراد بالدخان ذلك أيضاً ، لشبهه به في المنظر ، واختلاط
ذرات المرتفع بالهواء ، وقد دلت الأدلة على أنه لم تكن هناك نار ورماد ليتكون

فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ ، وَجَوْ مُنْفَهِقٍ ، فَسَوَى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ، جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ
مَوْجًا مَكْفُوفًا ، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا ، وَسَمَكًا مَرْفُوعًا ، بِغَيْرِ عَمَدٍ
يَدْعُمُهَا ، وَلَا دِسَارٍ

الدخان (في هواء) المراد به جهة العلو (منفتق) قد انشق ذلك السماء بسبب
هذا الدخان ، فهو مجاز بالمشاركة من قبيل ((من قتل قتيلا)) اذا الانفتاق كان بسبب
الدخان ، وهو لا يقال انه لم يكن هناك شيء حتى ينشق؟ اذ الفضاء له وحدة متصلة
فاذا دخله شيء فقد انشق .

(وجو) اي رفعه في فضاء (منفهي) اي المفتوح الواسع (فسوى) اي صنع
الله سبحانه (منه) اي من ذلك الزيد (سبع سموات) وهذا لا ينافي ما ثبت في علم
الفلك الحديث انه ليس هناك الا الفضاء لانه لا شك في ان المدارات للأجرام السيارة
ممتلئة بالاجسام اللطيفة المسماة في الاصطلاح العلمي بـ ((الغاز)) بالاضافة الى
احتمال ان يكون المراد بالسموات السبع المجرات والسدم مما ثبت في العلم
الحديث (جعل) الله (سفلاهن) اي اسفل السماوات (موجا مكفوتا) اي المنسوع
من السيلان ، فان ((الغاز)) الموجود شبيه بالموج ، او سمي موجا لتموجه ، وهذا - و
الجملة الاتية بيان لقوله عليه السلام ((سبع سموات)) (وعليا هن) اي السماء الاعلى
- والسماء مونث مجازي ولذا جئ لها بالضمير المونث ، وان جاز فيها التذكير
ايضا - (سقفا محفوظا) اما بمعنى حافظا ، لان السماء تحفظ العالم عن الفساد بما
اودع فيها من قوى الجاذبية ونحوها ، وفي علم الفلك الحديث ، قالوا : ان في اعلى
الجو طبقة ((نيتروجينية)) تحفظ الارض من قذائف السماء ، او المراد ((محفوظا)) من
وصول الشياطين ، ومن الفساد والاختلال .

(بغير عمد يدعّمها) اي ليس للسماء عماد يحفظها عن السقوط والانهدام
(ولاد سار) مفرد الدسر ، وهو الخيط والمسمار الذين بهما يشد السفينة كما قال

يَنْظِمُهَا . ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً
مُسْتَطِيراً وَقَمَراً مُنِيراً : فِي فَلَكٍ دَائِرٍ ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ . ثُمَّ
فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا ، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ ،

سبحانه : ((وحملناه على ذات ألواح ودسر)) (ينظمها) أي ينظم السماء و يربط بعض
اجزائها ببعض (ثم زينها) أي زين الله السماء (بزينة الكواكب) بيان ((زينة)) أي بزينة هي
الكواكب فان الكواكب تزين السماء وتجعلها (و) بـ (ضياء الثواقب) جمع ((ثاقبة)) اسم للكوكب
لانه بنور، يثقب السماء حتى يصل الى الارض (وأجرى) الله سبحانه (فيها) أي في
السماء (سراجاً) أي مصباحاً والمراد به الشمس (مستطيراً) أي منتشراً و ذلك باعتبار
انتشار ضيائه ، والمراد باجرائه جعله يجري (وقمراً منيراً) أي يعطي النور والضياء ، و
كل واحد من السراج و القمر (في فلك دائر) أي يدور ، والمراد بالفلك المدار الذي
يدور فيه الشمس و القمر ، وكونه دائراً اما باعتبار ما حمل فيه - بعلاقة الحال والمحل -
او باعتبار ما يستصحب هذين الجرمين من الهواء و الغاز لدى الحركة .

(وسقف سائر) فان السماء الذي هو سقف - تشبيهاً بسقوف البيوت - يسير باحد
الاعتبارين الاولين (ورقيم) اسم من اسماء الفلك سمي به ، لانه مرقوم فيه بالكواكب ،
كاللوح الذي رقم فيه الخط (مائر) أي متحرك كما قال سبحانه : ((تمور السماء مورا)) .
(ثم) بعد خلق السماوات (فتق) وشق سبحانه و تعالى (ما بين السماوات العللا)
فان وحدة السماء - أي شئ كان - قد انشق بايجاد الملائكة فيها (فملأهن أطواراً)
أي اقساماً (من ملائكته) و الملك هو الجسم الروحاني اللطيف المنزه عن العصيان
ويسمى ملكاً ، باعتبار كونه رسولا من قبله سبحانه في الامور ، من ((الالوكة)) بمعنى
الرسالة - وقد ذكر عليه السلام اربعة اقسام من الملائكة ، هنا .

مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَضِبُونَ ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسَامُونَ ، لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ ، وَلَا سَهُوُ الْعُقُولِ ، وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ ، وَلَا غَفْلَةُ النَّسْيَانِ . وَمِنْهُمْ أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ ، وَالسَّيِّئَةُ إِلَى رُسُلِهِ ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ ،

فـ (منهم) أي من أولئك الملائكة (سجود) جمع ساجد (لا يركعون) فهم دائماً في السجود تعظيماً لله سبحانه (و) منهم (ركوع) جمع راع (لا ينتصبون) أي لا يستقيمون إلى القيام، كما هو عادة الراكع (و) منهم (صافون) قد اصطفوا أمام عظمة الله سبحانه كما يصطف الجنود أمام الملك تعظيماً واحتراماً (لا يتزايلون) عن الاصطفاف، بل هم في حالة الاصطفاف دائماً (و) منهم (مسبحون) يسبحون الله — أي ينزهونه عن النقائص — (لا يسامون) أي لا يعلون من السأم بمعنى الملل : (لا يغشاهم) أي لا يعرض على أولئك الملائكة المذكورين (نوم العين) أي النوم الذي يعرض على العين، وكأن الإضافة لأجل أن لا يتوهم متوهم أن المراد من النوم الفترة — كما يقال فلان نائم يراد بذلك غفلته وعدم ارتقا به للامر — (ولا) يغشاهم (سهو العقول) بأن يسهو عن شيء كما يسهو الإنسان (ولا فترة الأبدان) بأن تضعف أبدانهم عن العبادة (ولا غفلة النسيان) بأن يغفلوا عن الشيء بسبب نسيانه فإن الملائكة معصومون على الخطأ والنسيان وما أشبهه . وقد كان ما سبق هو القسم الأول من أقسام الملائكة، ثم جاء السياق لبيان القسم الثاني بقوله عليه السلام (ومنهم) أي أن بعضاً من الملائكة (أمناء على وحيه) جمع ((أمين)) وهم الذين يأتيون بالوحي إلى الأنبياء كجبرئيل عليه السلام (والسنة إلى رسله) جمع لسان فهم مثل اللسان في التعبير للغير عن القلب، فإن الملائكة تأتي بكلام الله إلى الرسل عليهم السلام (ومختلفون) الاختلاف هو المراودة بالمجئ والذهاب (بقضائه و أمره) فيأتون بالقضاء الذي قضاه الله على الناس من موت وحياة وسعة رزق وضنك

٢٦ توضيح نهج البلاغة

وَمِنْهُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ ، وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ ، وَ الْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ

وما اشبه ، و باوامر الله سبحانه تكويننا او تشريعنا ، والمراد بهذه الجملة اما مسا سابق ، او المراد بهم الملائكة الذين ينفذ الله بهم اوامره و تقديراته في هذا العالم كعزرائيل عليه السلام الذي يختلف بامانة الناس وهكذا .

(ومنهم) اي ومن الملائكة - وهم القسم الثالث - (الحفظة) جمع حافظ مثل كتبه وطلبة جمع كاتب وطالب (لعباده) الذين يحفظونهم عن العطب و الهلاك ففي الاحاديث ان لله ملائكة يحفظون الناس عن انواع الهلكات فاذا جاء القدر خلوا بينه وبين ذلك الامر المقدر ، او المراد من الحفظة الكاتبون الذين يحفظون اعمال العباد ويسجلونها عليهم كما قال سبحانه : ((ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد)) (والسدنة) جمع سادن وهو الخادم الحافظ للشئ الذي انيط به (لابواب جنانه) بيدهم مفاتيح الابواب وهم الحافظون عليها .

(ومنهم) اي ومن الملائكة - هم القسم الرابع - (الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم) اي الطبقات السفلى من الارض (والمارقة) اي الخارجة ، من ((مرق)) بمعنى خرج (من السماء العليا) وهي السماء السابعة (اعناقهم) فهم بهذا الطول المدهش (والخارجة من الاقطار) جمع ((قطر)) وهو الناحية (اركانهم) جمع ركن بمعنى الجانب اي ان جوانب جسمهم خارجة من اقطار الارض ، فبعضها في هذا القطر وبعضها في ذلك القطر وهكذا .

(والمناسبة لقوائم العرش) جمع قائمة وهي رجل السرير والعرش هو سرير الملك ، واصله بمعنى الارتفاع ، ولذا يقال للسقف عرش ، وعريش ، وقد خلق الله سبحانه كرسيا عظيما جعله مورد لطفه وعنايته ، وهي محملة على اكتاف الملائكة لزيادة

اُكْتَفَاهُمْ . نَاكِسَةً دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ ، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ ، مَضْرُوبَةٌ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ ، وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ . لَا يَتَوَهَّمُونَ
رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ ، وَلَا يَحْدُونَهُ
بِالْأَمَاكِينِ ،

العظمة والجلال، كما قال سبحانه: ((ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)) (اكتافهم) فهم خلقوا بحيث ان اكتافهم مناسبة لقوائم العرش طولا وعرضا وصلابة، والظاهر من السياق ان هؤلاء الملائكة حقيقة، لا استعارة ولا منافاة بين وجودها وعدم رؤيتنا و احساسنا، فان الملك جسم نوراني لا يرى بالعين المجردة، كالهواء - مثلا - (ناكسة دونه) اي دون عظمة الله سبحانه (ابصارهم) اي انهم خفضوا ابصارهم لجلال الله سبحانه، او ان الضمير يرجع الى ((العرش)) والعال في المعنيين واحد (متلفعون) من ((تلفع)) بمعنى التحف بالثوب (تحت) اي تحت العرش (بأجنتهم) جمع جناح وكان المراد انهم قد التفوا بأجنتهم وجعلوها امام اعينهم خوفا واجلالا .

(مضروبة بينهم) اي بين اولئك الملائكة (وبين من دونهم) من سائر الناس ، الذين هم دونهم في الرتبة والعظمة (حجب العزة) فقد شهبب العزة التي احاطت باولئك الملائكة باستار تمنع من مشاهدتهم، كما ان عزة السلطان - في الدنيا - توجب احتجابه عن الناس والحجب جمع حجاب (واستار القدرة) اي استار قدرة من الله تعالى التي خلقهم بهذه الكيفية اللطيفة حتى لا يتمكن الانسان من رؤيتهم او عرفان مزاياهم وخصوصياتهم . . . وهؤلاء الملائكة مع قربهم المعنوي منه تعالى (لا يتوهمون ربهم) تعالى (بالتصوير) بان يصوروا له صورة في اوهامهم واذهانهم - كبعض جهلة الناس الذين ينقشون في اذهانهم لله سبحانه الصورة والشبح (ولا يجرون) هؤلاء الملائكة (عليه) تعالى (صفات المصنوعين) كان يصفونه بالولد والزوجة والشريك وما اشبه ذلك من الجهل والعجز والطيش، مما تصفه الكفار بهما - تعالى (ولا يحدونه بالاماكن) بان يقولوا انه موجود في السماء، او في الارض، او ما

وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ .

صفة خلق آدم عليه السلام

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا ، وَعَذْبِهَا وَسَبْخِهَا ، تُرْبَةً سَنَّهَا
بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ ، وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ

اشبه . حتى يجعلوه محدودا . بالمكان المحيط به (ولا يشيرون اليه بالنظائر) بان يقولوا ان
الله نظير الانسان او شبيه النور ، او نحو ذلك ، فان التمثيل و التنظير له بالممكنات
يوجب الاشارة اليه ، وقد سبق ان صفة الاشارة الى شئ من لوازم امكانه .

((صفة خلق آدم عليه السلام))



(ثم) لترتيب الكلام ، او لترتيب المطلب حيث ان خلق آدم كان بعد خلق
السموات و الارض (جمع) الله (سبحانه) مصدر لفعل محذوف ، اي اسبحه سبحانه
— بمعنى انزله عن النقائص تنزيها — (من حزن الارض) الحزن على وزن فلس
الغليظ الخشن (وسهلها) و هو ضد الحزن (وعذبها) هي الارض التي لا ملح
فيها (وسبخها) وهي الارض المالحة (تربة) اي ترابا ، ولعل حكمة الجمع كانت لاجل
تدخيل الطبائع المختلفة في الانسان ليصلح للامتحان اذ لو كان من السهل العذب
لما كان فيه استعداد العصيان ، ولو كان بالعكس لما كان فيه استعداد الاطاعة
(سناها) اي خلطها (بالماء حتى خلصت) اي صارت طينا خالصا (ولاطها) اي خلطها
وعجنها (بالبلّة) اي الرطوبة (حتى لزبت) اي صلبت و تداخلت بعضه في بعض ، و
الظاهر ان الفرق بين الجملتين ان الاولى لحالته الطينية والثانية لحالته
الاستمساكية ، ولذا قال في الاولى ((بالماء)) وفي الثانية ((بالبلّة)) فان الطين اذا

فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ ، وَأَغْضَاءٍ وَفُصُولٍ : أَجْمَدَهَا
حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ ، لَوَقَّتْ مَعْدُودٍ ، وَأَمَدٍ
مَعْلُومٍ ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا

عجن عجنا شديدا ومر عليه زمان صار لازيا صلبا يصلح للقالب والتحميل .

(فجبل) أي خلق (منها) أي من تلك التربة (صورة) المراد بها صورة آدم عليه السلام (ذات أحناء) جمع ((حنو)) بالكسر بمعنى مافيه اعوجاج في البسطن كالاضلاع وما أشبه (ووصول) جمع كثرة للوصل، وجمع قلته اوصال، وهي المفاصل سميت بذلك لأنها توصل الجسم بعضه ببعض (وأغضاء) جمع عضو كاليد والرجل (وفصول) لعل بها الأحوال المختلفة كفصل الشباب وفصل الهرم، أو المراد ما هو اعم من العضو، فالرأس فصل، بينما العين في الرأس عضو وهكذا .

(أجمدها) أي جعل تلك التربة بعد كونها طينا مرة لازية مرة أخرى - جامدة بان يبست (حتى استمسكت) أي تماسكت ببعض اجزائها ببعض (وأصلدها) أي جعلها صلدا، وهي الصلبة الملساء (حتى صلصلت) أي تسمع لها صلصلة إذا هبت عليها الرياح، كالنفخ، وقد كان تصنيع هذا التمثال (لوقت معدود) وهو الوقت الذي ينفخ فيه الروح (إماد معلوم) الإمدة هو المدة من الزمان باعتبار الامتداد، والوقت هو المدة باعتبار كل جزء جزء ولذا قال في الاول ((معدود)) وفي الثاني ((معلوم)) (ثم) بعد الصنع ومرور تلك المدة (نفخ) الله (فيها) أي في تلك التربة (من روحه) إضافة الروح الى الله سبحانه للتشريف، نحو ((بيت الله)) و((ناقة الله)) والمراد بالنفخ، الضغط على الروح حتى يدخل كالنفخ الذي هو ضغط على الهواء حتى تدخل في الشيء أو تهب على الشيء .

(فمثلت) تلك التربة، من ((مثل)) على وزن ((كرم)) أي قام منتصبا (إنسانا) هو

٣٠ توضيح نهج البلاغة

ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا ، وَفِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا ، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا ، وَأَدَوَاتٍ
بِقَلْبِهَا ، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِ ،

آدم عليه السلام (ذا اذهان) جمع ((ذهن)) و هو قوة التعقل (يجليها) اي يحرك
تلك القوى العقلية في الامور لتحصيل وجه الرأس فيها ولعل وجه الاتي — ان
بـ ((الاذهان)) جمعا ، باعتبار مختلف القوى الباطنة ، من مدركة للمبصرات ، و
المسموعات والمعقولات ، وهذا ٠٠ (و) ذا (فكر) جمع ((فكر)) و هو الذي يجيل
الذهن و يصرفه من هنا الى هناك — فالمراد بالاذهان المتحرك ، و بالفكر المحرك
— (يتصرف) الانسان (بها) اي بتلك الفكر في اموره .

(و) ذا (جوارح) جمع جارحة ، و هي العضو ، سى بالجارحة ، لانها تجرح و
تفعل (يختمها) اي يجعلها في حوائجها ، كالخادم الذي يستعمله الانسان في
حوائجها (و ادوات) جمع ((اداة)) و هي الالة ، و عليها اعم من الجارحة فانها تصدق
على الاصبع والجارحة لا تصدق عليها الا بعناية (يقلبها) اي يحركها في حوائجها و
اموره (و) ذا (معرفة) اي عرفان وقوة ادراك (يفرق) الانسان (بها) اي بسبب تلك
المعرفة (بين الحق و الباطل) فيعرف الحق ، ويعرف الباطل ، وهذه القوة غير القوى
السابقة (و) ذا (الاذواق) جمع ((ذوق)) و اصله ما يدرك بالسان ثم تستعمل في
كل شئ يدركه الانسان بالقوى اللامسة او نحوها ، كما قال سبحانه : ((ذق انك انت
العزیز)) وقال : ((فاذا قها الله لباس الجوع والخوف)) .

(و) ذا (المشام) جمع ((مشم)) و المراد به آلة الشم ، ولعل الاتيان بالجمع
باعتبار افراد الانسان — كما يظهر من قوله و الالوان و الاجناس — او كان المراد
المفرد ، فان الجنس و الجمع ينوب احدهما مكان الاخر باعتبارات بلاغية ، فينسلخ من
الجمع مناه ليستعمل في الفرد كقوله تعالى : ((هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند
رسول الله)) و المراد ((ابن ابى)) كما ينسلخ من الفرد قيد الوحدة ليستعمل في

وَالْأَلْوَانُ وَالْأَجْنَاسُ ، مَعْجُونًا بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ ، وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ ، مِنْ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ ، وَاسْتَأْذَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيْعَتَهُ لَدَيْهِمْ ،

الجنس كقوله تعالى : ((ربنا آتتنا في الدنيا حسنة)) والمراد جنس الحسنه لاحسنه واحده (و) ذا (الالوان) جمع ((لون)) كالأحمر والأخضر (والاجناس) جمع ((جنس)) كالعربي والتركي والفارسي ، او جنس الحرارة والبرودة وهكذا - والاول اقرب - في حال كون الانسان (معجوناً بطينة الالوان المختلفة) يعنى ان الانسان قد عجن في اصل طينته بالالوان المختلفة والظاهر ان المراد باللون القسم ، فانه يطلق بمعناه (والاشباه) جمع شبه ، وهو ما يشبه بعضه البعض (المؤتلفة) التى أثتلقت بعضها مع بعض .

(والاضداد) جمع ((ضد)) وهو المخالف للشيء (المتعادية) التى يعادى بعضها بعضاً تكويناً (والاخلاط) جمع ((خلط)) وهو ما يخلط اجزائه بعضه ببعض (المتباينة) اى المخالف بعضها بعضاً ، ثم بين عليه السلام ما وصفه بتلك الاوصاف الاربعة بقوله (من الحر والبرد والبله) هى الرطوبة (والجمود) هو اليبس ، فلكل من هذه الاجناس الاربعة لون خاص مخالف للون الاخر، وكل واحد شبيه بالآخر من جهة الائتلاف معه وكونه مخلوقاً لاصلاح الجسم وتمشية الحياة ، وكل واحد ضد للآخر من بعض الجهات فالحر ضد البرد ، والرطوبة ضد اليابوسة ، وكل واحد مركب من اجزاء صفار واخلط تباين بعضها بعضاً ، قالوا والانسان مركب من الصفراء والسوداء والبلغم والدم ، وكل واحد منها من العناصر الاربعة الماء والهواء والنار والتراب .

(و) بعد ما كمل ((آدم)) عليه السلام ، ونفخ فيه الروح (استأذى الله) اى طلب الاداء وهو اعطاء ما بذمة الشخص (سبحانه) مفعول مطلق لفعل محذوف (الملائكة وديعته) الضمير عائدا الى ((الله)) (لديهم) فقد شبه ما كان بذمتهم من

وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ ، فِي الْأَذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ ، وَالْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ ،
فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ » اَعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ
وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ ، وَتَعَزَّزَ بِخَلْقَةِ النَّارِ ، وَأَسْتَهْوَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ ،
فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلْسُّخْطَةِ ، وَأَسْتِثْمَامًا لِلْبَلِيَّةِ ،

لزوم السجود لآدم — حسب امر الله تعالى — بالوديعة المستودعة عند الشخص، و
قد طلبها سبحانه لوصول وقت ادائها، حيث قال لهم : ((فاذا سويته و نفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين)) .

(وعهد وصيته اليهم) اي ما عهده سبحانه اليهم حيث اوصاهم بالسجود لآدم ،
فالسجدة وديعة ، والامر بها وصية اليهم (في الاذعان) والانقياد (بالسجود له)
اي لآدم عليه السلام (والخشوع) اي الخضوع (لتكريمته) اي لتكريم الله سبحانه له
(فقال) الله (سبحانه) للملائكة (اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) وكان الامر
شاملا له وان لم يكن من جنس الملائكة (اعترته الحمية) اي عرضت عليه الانفة و
الاستكبار (وغلبت عليه الشقوة) ضد السعادة (وتعزز) اي ظن نفسه عزيزا (ب) سبب
(خلق النار) اي كونه مخلوقا من النار ، وان آدم قد خلق من الطين ، زاعما ان النار
افضل من التراب (واستهون) اي رآه هينا خفيفا (خلق الصلصال) اي خلقة
الانسان من الصلصال ، وهو الطين الذي يبس فسمع له صليل وصوت و حينذاك طلب
ابليس ان يكون منظرا الى يوم يبعثون .

(فاعطاه الله النظرة) اي البقاء و الانتظار الى يوم الوقت المعلوم (استحقاقا
للسخطة) اي انما قبل الله طلب الشيطان ليستحق بذلك الامد السخط والغضب
الشديد من الله بما يصدر منه من الكفر والمعاصي زيادة على عصيانه بترك السجود
وهذا علة غائية ، يعنى ان الانتظار كان موديا الى استكمال السخط نحو قوله :
((فالتقطه الى فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا)) (واستثما ما للبلية) البلية — والا ابتلاء —

وَإِنْجَازاً لِلْعِدَّةِ ، فَقَالَ : « إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ » .
ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشُهُ ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ ،
وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ ، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمَقَامِ ، وَ

بمعنى الامتحان ، اى انما اعطاه الله المهلة طلبا لتمام الامتحان فان البقاء يوجب ظهور ما فى باطن الانسان من السعادة او الشقاء (وانجازا للعدة) اى اراد سبحانه بابقاء الشيطان ان ينجز وعده ، ولعله سبحانه كان وعد سابقا ببقاء الشيطان ، حتى يكون ((اعطائه النظرة)) انجازا لذلك الوعد ، او ان ((استحقاقا واستماما)) علة لاعطاء النظرة ، و ((انجازا)) علة للابقاء بعد ((اعطاء النظرة)) .

(فقال) الله سبحانه لذلك (انك) يا شيطان (من المنظرين) الذين انظروا و امهلوا - اى انت من جملتهم ، ولعل غيره هم الملائكة ومن اشبههم (الى يوم الوقت المعلوم) اى الى اليوم الذى عين فيه وقت اهلاك المعلوم لديه سبحانه - وهو يوم القيامة ، او يوم ظهور الامام المهدي ، كما فى بعض الاحاديث .

(ثم اسكن) الله (سبحانه) مصدا لفعول محذوف - كما تقدم - (آدم) عليه السلام وعدم ذكر ((حواء)) فى هذه المجالات ، لعدم تعلق القصد بها ، وانما المقصود بيان اول الخلقة لينتهى الى بعثة الانبياء (دارا) هى الجنة (ارغذ فيها عيشه) اى اوسع به بان هى له من جميع الملاذ ، كما قال سبحانه : ((وكلوا منها رغدا)) اى واسعا (وآمن فيها) اى فى تلك الدار (محلته) اى محل حلوله فان الجنة دار امان لا خوف فيها من فقر او مرض او جهل او عدو او ما شبه (وحذره) اى خوف اللبس بحانه ((آدم)) عليه السلام (ابليس) اى من الشيطان (وعداوته) له (فاغتره عدوه) اى جعل الشيطان ، آدم مغرورا ، بما وسوس اليه وحلف له (نفاسة عليه) النفاسة الحسد اى حسدا من الشيطان على آدم عليه السلام (بدار المقام) فان النعمة لها حساد ، فحسد الشيطان ان يرى آدم فى الجنة التى هى دار البقاء والاقامة الابدية (و)

مُرَافَقَةُ الْأَبْرَارِ ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ ، وَأَسْتَبَدَّلَ
بِالْجَذَلِ وَجَلًّا ، وَبِالْإِغْتِرَارِ نَدَمًا . ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ ،

بـ (مرافقة الأبرار) المرافقة هي البقاء مع الرفيق ، وسمى الرفيق بذلك ، لرفق كل منهما
بصاحبه ، و الأبرار جمع بر وهو المحسن ، فقد حسد الشيطان ان يرى آدم مرافقا
للملائكة .

(ف) لما غره الشيطان (باع) آدم عليه السلام (اليقين) الذي قاله للمسيحانه
بالمنع من اكل الشجرة (بشكه) اى بالشك الذى القاه الشيطان اليه ، فانه سبحانه
قال لآدم لا تأكل من هذه الشجرة حتى تبقى فى الجنة ، لكن الشيطان جاء وقال
له ان اكلت من هذه الشجرة تكون ملكا كسائر الملائكة او تكون خالدا ، فشك آدم عليه
السلام فى صدقه ، لكن الشيطان حلف له : كما قال سبحانه : ((فقا سمهما نى لكما
لعن الناصحين)) فاكل آدم منها اغترارا بكلام ابليس (و) باع (العزيمة) اى العزم
الاكيد الذى كان ينبغى له - فى اتباع امر الله تعالى - (بوهنه) اى بان وهن
آدم وضعف فى انقاذه امر الله تعالى ، والمعنى انه باع ما كان ينبغى له من العزم
فى طاعة الله بالضعف فى انقاذه امره .

(واستبدل) آدم عليه السلام (بالجذل) وهو الفرج الذى غمره بكونه فى الجنة
(وجلا) بالخوف من حلول العقاب ، لانه لما اكل الشجرة خاف من العقوبة وسخط
الله تعالى (وبالاغترار ندما) اى استشعر الندم بسبب ذلك الاغترار فقد كان مغرورا
فبدله بالندم ، كانه اعطى الغرور واخذ الندم ، كما اعطى الفرج واخذ الوجل .

(ثم) بعد العصيان والندم (بسط الله سبحانه) ومعنى البسط اجازة التوبة كانه
سبحانه نشر رحمته وبسطها حتى تكون تحت متناول آدم عليه السلام (له) اى لآدم
(فى توبته) من ((تاب)) بمعنى رجع ، كان العاصى ابتعد عن قربى سبحانه ثم يرجع

وَلَقَّاهُ كَلِمَةً يَحْمَتُهُ ، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ
وَتَنَاسَلَ الذَّرِّيَّةُ . وَأَصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ
مِيثَاقَهُمْ ،

الى قربه ، ثم ان الانبياء معصومون عن العصيان ، وانما يعتريهم ((ترك الاولى)) و
قد كان اولى بآدم عليه السلام ان لا يأكل من الشجرة ، فان امره سبحانه لآدم بعدم
الاكل كان ارشاديا ، كامر الطبيب مريضه بان لا يأكل الطعام الفلاني ، بدليل قوله
سبحانه : ((اَنْ لَّكَ اَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنْكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى)) فكان
النهي عن الاكل ، لبقائه في الجنة في محل راحة وكرامة ، ومخالفة الامر الارشادي
لا توجب عصيانا ولا عقابا وانما يصل الى المخالف الجزاء الطبيعي ((كآكل الحامض
وهو مزكوم يصيبه المرض)) (ولقاه كلمة رحمة) اي اعطاءه ولقنه الكلمة التي اذا
قالها آدم رحمه الله سبحانه ، وفي الاتحادية ، ان المراد بها ان يقسم الله تعالى
بحق الخمسة الطيبين محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم
اجمعين .

(ووعده المراد) مصدر ميمي ، اي الرد (الى جنته) اي الجنة التي كان فيها
وقد اخرج منها بسبب ذلك الاكل من الشجرة المنهية (واهبطه) اي انزل الله
سبحانه آدم (الى دار البلية) اي الدار التي يبطل فيها الانسان والمراد بالدار ،
الدنيا ، والابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان (و) الى دار (تناسل الذرية) لتناسل
التوالد ، والذرية الاولاد والاحفاد ، اي ان الدنيا دار يتناسل فيها الانسان ، و
يعقب الذراري والاحفاد .

(واصطفى) اي اختار الله (سبحانه من ولده) جمع ((ولد)) اي اولاد آدم عليه
السلام (انبياء) مرسلين (اخذ) الله تعالى (على الوحي ميثاقهم) الميثاق هو

٣٦توضيح نهج البلاغة

وَعَلَى تَبْلِيغِ الرُّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ
فَجَهِلُوا حَقَّهُ ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ ، وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ
وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ ، وَوَاتَرَ

العهد الاكيد من ((وثق)) كان يوجب وثاق الانسان وشده شدا محكما والمعنى
اخذ عليهم الميثاق ان يبلغوا ما اوحى اليهم (وعلى تبليغ الرسالة) اي ابلاغ الناس
رسالة الله سبحانه (امانتهم) بمعنى ((اخذ الامانة)) جعل الشئ امانة عند الشخص
فكانه اعطى الرسالة واخذ الامانة ، فان بلغوا الرسالة رد اليهم الامانة فهم ذوو امانة
وان لم يبلغوا الرسالة ، لم يرد عليهم الامانة ويبقون بلا امانة - وهذا من بديع
البلاغة - .

(لما بدل اكثر خلقه) اي خلق الله (عهد الله اليهم) فان الله سبحانه عهد
الى الناس ان يؤمنوا به ، والعهد عبارة عما اودع فيهم من الفطرة الدالة على توحيد
و سائر الاصول و المعارف - اجمالا - وقوله : ((لَمَّا)) يراد بذلك ان بعض الانبياء
أتوا على أثر تبديل اكثر الخلق ، لاكل الانبياء ، اذ ان الانبياء تسلسلوا من عهد
آدم عليه السلام ، فهذا بالنسبة الى قوله : ((واصطفى)) من قبيل بدل البعض من
الكل ، ثم ان التبديل عبارة عن الانكار وعدم الازعان ، في مكان الاعتراف والاذعان
(فجهلوا حقه) اي حق الله عليهم (واتخذوا الانداد) جمع ((ند)) وهو ((الضد)) و
((المثل)) والمراد هنا الالهة الباطلة (معه) اي مع الله سبحانه (واجتالتهم)
الاجتيال الصرف ، اي صرفت الناس (الشياطين عن معرفته) اي معرفة الله تعالى
(واقتطعتهم) اي قطعتهم الشياطين (عن عبادته) تعالى ، فلم يسمحوا لهسم
بالمعرفة والطاعة .

(فبعث) اي ارسل الله (فيهم) اي في الناس (رسله) جمع رسول (وواتر) اي ارسل

إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءُهُ ، لِيَسْتَأْذُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ ، وَيَذْكُرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ ،
وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ ، وَيُشِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ ، وَيُرُوهُمْ
آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ : مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ ،

وترا بعد وتر، وواحدا بعد الآخر (اليهم انبيائه) النبي يقال له ((رسول)) باعتبار
انه يبلغ، ويقال له ((النبي)) باعتبار يخبر من ((النبأ)) بمعنى الخبر (ليستأذوهم)
اي يطلب الانبياء من الناس اذاء (ميثاق فطرته) اي العهد الاكيد المودوع في
فطرتهم - والفطرة بمعنى الخلقة - فان كل انسان قد اودع في فطرته معرفته
سبحانه حتى انه مضطرا الى العرفان وان انكر باللسان وفي الاحاديث ان الميثاق
كان في عالم ((الذر)) (ويذكروهم) اي يذكروا لانبياء الناس (منسى نعمته) اي نعم
الله المنسية فان الانسان المغمور في النعمة ينساها لألفه بها ، فيحتاج الى المذكر
حتى يشكر ويذكر .

(ويحتجوا) اي الانبياء (عليهم) اي على الناس (بالتبليغ) بان تتم الحجة عليهم
حيث بلغوهم فمن لم يعمل كان مستحقا للنكال والعقاب (ويشيروا) من ((الاشارة))
وهي اظهار المخبى ، كما يثراب التراب بالمحراث (لهم) اي للناس (دفائن العقول)
اي كنوز العقول المخفية ، فان في كل انسان من الطاقات والقابليات قدرا كبيرا فلو
الفت وعلم وذكى ظهرت الطاقات مما توجب عمارة الدنيا واسعاد الآخرة ، ولو
اهمل ذهب سدى لم ينتفع بها في دين ولادينا .

(ويروهم) اي يرى الانبياء الناس (الايات المقدرة) اي الادلة الدالة على
الضائع تعالى التي قدرت وخلقت (من سقف) بيان ((الايات)) (فوقهم مرفوع) و
المراد به السماء ، كما قال سبحانه : ((وجعلنا السماء سقفا محفوظا)) وكونه سقفا
باعتبار انه في جانب العلو كالسقف في المنازل (ومهاد) هو المهد ، شبهت الارض
به لأنها محل استراحة الانسان كما ان المهد محل استراحة الطفل (تحتهم موضوع) قد

وَمَعَاشٍ تُخَيِّبُهُمْ ، وَآجَالٍ تُنْفِيهِمْ ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ ؛ وَلَمْ يُخَلِّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ ، أَوْ مَحَجَّةٍ^(١٠) قَائِمَةٍ : رُسُلٌ لَا تُقْصَرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ :

وضع وجعل ، والمراد به الارض (ومعاش) جمع معيشه، وهى ما يستعيش به الانسان (تحيينهم) اى توجب حياتهم وبقائهم من المآكل والمشارب وما اشبهه (واجال) جمع ((اجل)) وهو الوقت المضروب لانتها مدة الانسان فى الحياة (تفنيهم) اى اذا وصلوا اليها فنوا وهلكوا - ونسبة الافناء الى الاجاز، مجاز كما لا يخفى (واوصاب) جمع ((وصب)) وهو ((التعب)) (تهرمهم) اى تسبب هرمهم وشيخوختهم فان المتاعب تهرم الانسان (واحداث) جمع ((حدث)) وهو ما يحدث على الانسان طول عمره (تتابع) اى تتوارد (عليهم) .

(ولم يخل) من الخلا بمعنى الفراغ (سبحانه) مصدر لفعل محذوف اى اسبحه تسبيحا (خلقه من نبي مرسل) كان يهديهم الى الحق والى صراط مستقيم (اوكتاب منزل) انزله من السماء فبقى بين اظهر الناس حتى يرشدهم ، وان لم يكن نبى موجودا بل قد ذهب النبى من بينهم بالموت او نحوه (او حجة لازمة) قد لزمت الناس كالعلماء الذين هم ورثة الانبياء وخلفائهم ، فيما لم يكن الكتاب ايضا بان حصر ف وبدل (او محجة قائمة) المحجة هى الطريق الواضح ، ومعنى قائمة القويمة المستقيمة السلوكية ، ولعل المراد بها التقاليد والعادات التى بقيت من عند الرسل مستمرة فى الامة . ثم وصف عليه السلام الانبياء بقوله : (رسل) اى هم رسل (لا تقصر بهم قلة عدد هم) اى ان قلة عدد هم لا توجب لهم ان يقصروا فى تبليغ الرسالة خوفا، كما هو الشأن فى الناس حيث انهم اذا رأوا خذلان الناصر وقلة العدد لم يقدموا للتبليغ والارشاد (ولا كثرة المكذبين لهم) فانهم مع كثرة من يكذبهم لا تنهار اعصابهم لتركوا

مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، أَوْ غَابِرٍ عَرَفَهُ مِنْ قَبْلَهُ : عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتْ
الْقُرُونُ ، وَمَضَتْ الدُّهُورُ ، وَسَلَفَتْ الْآبَاءُ ، وَخَلَفَتْ الْأَبْنَاءُ . إِلَى أَنْ
بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِإِنجَازِ
عِدَّتِهِ ، وَتَمَامِ نُبُوتِهِ ، مَأْخُوذًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُ ،

واجبهم في الارشاد والهداية (من سابق) بيان ((رسل)) اي رسول سابق (سعى له
من بعده) بان اوحى الله تعالى باسم الرسول الذي يأتي من بعده ليبشر به الناس
كما بشر موسى وعيسى بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم (او غابر) اي رسول لاحق
(عرفه من قبله) بان جاء وهو معروف لدى الناس بسبب تعريف النبي السابق له .
وحيث ان الديانات السماوية كلها واحدة من عند الله واحد كان الانبياء يبشر
السابق منهم باللاحق ، ويصدق اللاحق منهم السابق (على ذلك) التبشير والتعريف
للانبياء بعضهم لبعض (نسكت) اي ولدت (القرون) جمع ((قرن)) وهو مدة من
الزمان يقترن فيها اعمار الجيل بعضهم لبعض - كمائة سنة ، او ثلاثين سنة ، او نحو
ذلك ، حسب اختلاف النظائر - وقد شبهت القرون بمن تتنسل و تتولد ، باعتبار مجيء
كل قرن عقب قرن سابق (ومضت الدهور) جمع دهر وهو القطعة من الزمان (وسلفت
الآباء) فان كل اب يذهب ويموت قد كان معاصرا لنبي سابق مبشر بنى لاحق (و
خلفت الابناء) فان الاولاد انما يتخلفون ابائهم وهم معاصرون لنبي سابق يبشر
باللاحق ، او نبي لاحق قد عرف من قبل النبي السابق .

(الى ان بعث الله سبحانه) مصدر سبج ، اي انزله متنزها (محمد رسول الله صلى
عليه وآله وسلم لانجاز عده) مصدر ((وعد)) ابدلت الواو بالتاء ، فقد كان الله سبحانه
وعد الانبياء السابقين بارسال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فانجز بارساله
وعده سبحانه (وتمام نبوته) اي ولان تتم النبوة المنسوبة الى الله تعالى بمجيئ
خاتم الانبياء ، وآخر السفراء . . . في حال كونه (مأخوذا على النبيين ميثاقه) اي اخذ

٢٠ توضيح نهج البلاغة

مَشْهُورَةٌ سِمَاتُهُ ، كَرِيمًا مِيلَادُهُ . وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمُئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، وَ
أَهْوَاءُ مُنْتَشِرَةٌ ، وَطَرَائِفُ مُتَشَتَّةٌ ، بَيْنَ مُشَبِّهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي أَسْمِهِ
أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ ، فَهَذَا هُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ

الله عهد النبيين بان يبشروا اممهم بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، والميثاق هو
العهد الاكيد ، من وثق (مشهورة سماته) جمع ((سمة)) بمعنى العلامة ، من ((الوسم))
كعدة من الوعد ، اى ان اوصاف الرسول كانت مشهورة لدى الامم السابقة حيث
عرفها الانبياء لهم .

(كريم ميلاده) يعنى ان ولادته كانت نقية شريفة ، من اصل طاهر ، وابعاء طيبين
(و) الحال ان (اهل الارض يومئذ) اى يوم بعثة الرسول (ملل متفرقة) جمع ((ملة)) و
هى الفرقة من الناس ، اى فرق مختلفة العقائد والعادات والتقاليد (واهواء منتشرة)
قد كان لكل جماعة هوى واتجاه بلا حجة او دليل ، والتقدير ((ذو واهواء)) او مبالغة
من قبيل ((زيد عدل)) (وطوائف متشعبة) جمع طائفة ، وهى الجماعة من الناس ، و
التشتت هو التفرق ، والاتيان بثلاث جعل فى معنى واحد ، لتصوير حالة اهل الارض و
انقسامهم العجيب فى الطوائف (بين مشبه لله بخلقه) اى جماعة قد شبهت الله
سبحانه بالمخلوقين ، فزعموا ان له ولدا وصاحبة وزوجة وهكذا .

(او ملحد فى اسمه) من ((الحد)) بمعنى مال اى مائل عن اسم الله سبحانه
فجعله بصفات لا تليق به ، او بمعنى الذين يلحدون فينكرونه سبحانه ، والمراد بـ
((الاسم)) المسمى (او مشير الى غيره) بان يشرك معه الهاء آخره ، فالناس بين من يصفه
سبحانه بغير اوصافه ، ومن ينكره ، ومن يشرك معه غيره (فهذا هم) الله (بـ) اى
بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم (من الضلالة) وهى الانحراف عن جادة الهدى
(وانقذهم) اى خلصهم الله سبحانه (بمكانه) اى مكان الرسول صلى الله عليه وآله

مِنْ لَجَهَالَةٍ. ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِقَاءَهُ ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا ، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبَلْوَى ، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيمًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا ، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا ، بَغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ ، وَلَا عِلْمٍ قَائِمٍ.

وسلم، ويطلق المكان على المكين بعلاقة الحال والمحل (من الجهالة) التي عمتهم حول الله سبحانه وصفاته .

(ثم اختار الله سبحانه لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لقاءه) وهذا مجاز من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، والمراد به لقاء كرامته (ورضى له) أي للرسول صلى الله عليه وآله وسلم (ما عنده) أي عنده تعالى، بأن أراد أن يمنحه الثواب والجنة ويخلصه من اتعاب الحياة (واكرمه) تعالى (عن دار الدنيا) كأن الدنيا ليست دار كرامة، ولذا اكرمه عن هذه الحياة المشوبة بالكدورات (ورغب) الله سبحانه (به) أي بالرسول، بمعنى رفعه (عن مقاربة البلوى) أي الابتلاء الموجود في الدنيا، بأن أراد إبعاده عن المصائب والمتاعب (فقبضه) أي قبض الله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (إليه) أي منتهيا القبض إلى ثوابه وفضله، في حال كونه صلى الله عليه وآله وسلم (كرما) ذاكرامة ورفعة وجاه (صلى الله عليه وآله) جملة خبرية، يراد بها الانشاء، أي اللهم صل عليه، ومعنى الصلاة العطف والرحمة .

(وخلف) الرسول (فيكم) أيها الناس (ما خلفت الأنبياء في أممها) والمراد بـ((ما)) الشيء الذي يرجع إليه، للسعادة والاسترشاد (إذ لم يتركوهم) أي لم يترك الأنبياء أممها (هملا) أي مهملين بلا طريق وهداية (بغير طريق) إلى الحق (واضح) ظاهر يعرفه الكل (ولا علم قائم) أي بدون منار يسير به الناس ليعرفوا الصحيح عن الفاسد والهداية عن الضلالة .

كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ : مُبَيِّنًا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ .
وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ ، وَرُخْصَهُ وَعَزَائِمَهُ ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ ، وَعِبرَهُ وَ
أَمْثَالَهُ ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ

(كتاب ربكم فيكم) ((كتاب)) منصوب على انه بدل من ((ما)) ((المنصوب بـ)) ((خلف))
اي خلف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيكم كتاب الله تعالى، والمراد به القرآن،
في حال كون ذلك الكتاب (مبيناً) بصيغة الفاعل، اي قد بين (حلاله وحرامه) اي ما
احل الله وما حرّمه تعالى (وفرائضه) اي واجباته (وفضائله) اي ما رغب فيه .
ولعل ذلك اشارة الى الاحكام الخمسة التكليفية فـ ((الحلال)) المباح و
((الحرام)) المحظور و ((الفرائض)) الواجبات و ((الفضائل)) المستحبات، وترك
المكروهات . . . ومنهم من ادرج المكروه في ((الحلال)) و(ناسخه) وهو الحكم الذي
نسخ غيره و بين انتهاء امده (ومنسوخه) وهو الحكم الذي بين انتهاء امده من
نسخ الضوء الظل اذا ازاله وابطله (ورخصه) جمع ((رخصة)) كغرفة وغرف، وهو
ما رخص فيه (وعزائمه) جمع عزيمة وهي التي لا رخصة فيها (وخاصه) وهو ما يخص
فرداً او طائفة او ما اشبه (وعامه) وهو ما يعم افراداً (وعبره) جمع عبرة، وهي ما
يعتبر به الانسان من قصص الماضين واحوالهم وما آل اليه امرهم (وامثاله) جمع
((مثل)) وهو الشيء يقرب المطلب الى الذهن بتطبيق الكلى على الفرد (ومرسله)
هو المطلق (ومحدوده) هو المقيد، والفرق بينهما وبين العام والخاص ان
العام يشمل الافراد باللفظ نحو ((العلماء)) والمرسل يشعلها بالهمية نحو ((العالم))
وفي مقابلهما الخاص والمقيد نحو ((العلماء العدول)) و((العالم العادل)) .
(ومحكمه) وهو الذي يعرف المراد منه لظهوره في معنى خاص (ومتشابهه) وهو
الذي يتشابه المراد منه، بان يتحمل اللفظ لمعنيين او اكثر فلا يعرف ايها يراد من
اللفظ .

مُفسراً مُجمَلةً ، ومُبيناً غوامِضَهُ ،

-
- فالحلال ، نحو : ((كلوا مما في الارض حلالا طيبا))
 - والحرام ، نحو : ((حرمت عليكم الميتة و الدم))
 - والفريضة ، نحو : ((اقيموا الصلاة واتوا الزكاة))
 - والفضيلة ، نحو : ((كاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا، ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض))
 - والناسخ ، نحو : ((أشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات))
 - والمنسوخ ، نحو : ((اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة))
 - والرخصة ، نحو : ((فمن اضطر في مخصة غير متجانف لاثم))
 - والعزيمة ، نحو : ((ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه))
 - والخاص ، نحو : ((يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك))
 - والعام ، نحو : ((يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله))
 - والعبرة ، نحو : ((الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا))
 - والمثل ، نحو : ((الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة))
 - والمرسل ، نحو : ((فك رقبة))
 - والمحدود ، نحو : ((فصيام شهرين متتابعين))
 - والمحكم ، نحو : ((فاعلم انه لا اله الا هو))
 - والمتشابه ، نحو : ((العص))
- (مفسرا مجمله) اي في حال كون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد فسر و اوضح ما أجمل في الكتاب، مثلا قال الكتاب : ((اقيموا الصلاة)) فبين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المراد بالصلاة و اوقاتها و خصوصياتها (ومبيناً غوامِضَهُ) والغوامض هي الامور التي يصعب على الانسان فهمه ، وان لم يكن مجعلا في اللفظ، كـ بعض

بَيْنَ مَاخُودٍ مِيثَاقٍ فِي عِلْمِهِ وَمُوسَعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ ، وَبَيْنَ مُثَبَّتٍ فِي الْكِتَابِ فَرَضُهُ ، وَمَعْلُومٍ فِي السَّنَةِ نَسْخُهُ ، وَوَاجِبٍ فِي السَّنَةِ أَخْذُهُ وَمُرْخَصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ ،

شئون المبدء تعالى ، جمع ((غامض)) وهو الخفى من الامر ، ثم ان ما ذكر فى الكتاب وبينه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على اقسام قد (بين مأخوذ ميثاق فى علمه) اى قد اخذ على العباد العهد والميثاق بان يعلموه كالحكام وما اشبهها (وموسع على العباد فى جهله) بان لا يلزم علمه فمن شاء تعلمه ومن شاء لم يتعلمه كالآداب غير الواجبة وكخصوصيات الآخرة ، فان اللازم تعلم الفرائض والعلم بالآخرة فى الجملة .

(وبين مثبت فى الكتاب) اى فى ظاهر القرآن الحكيم (فرضه) كقوله سبحانه : ((وانكحوا الايامى منكم)) و ((كاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا)) مما ظاهره الوجوب لانه بصيغة الامر (ومعلوم فى السنة) المفسرة للكتاب الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (نسخه) فان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين فضل الانكاح والمكاتبة لاجوبهما ، وتسمية هذا نسخا بالمجاز ، وانما ارتكبنا ذلك لوضوح ان السنة لا تنسخ الكتاب (و واجب فى السنة اخذه) بان كان ظاهر السنة وجوب الاخذ به - لما ورد من الامر به الظاهر فى الوجوب (ومرخص فى الكتاب تركه) بعكس القسم السابق كقوله سبحانه ((فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما)) مما ظاهره جواز ترك السعى ، ولكن السنة دللت على وجوب السعى - هذا حسب ما استظهرناه من كلامه عليه السلام - وللشارح ((ابن ميثمه)) قول آخر هذا نصه .

ثالثها ما هو مثبت فى الكتاب فرضه معلوم فى السنة نسخه وذلك كقوله تعالى ((واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلاً)) والسيدان

وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ . وَمُبَايِنٍ بَيْنَ مَحَارِمِهِ ، مِنْ
كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ ، أَوْ صَغِيرٍ أَرَصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ
فِي أَذْنَاهُ ، مُوسِعٍ فِي أَقْصَاهُ .

يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَأَذَوَهُمَا فَإِنْ تَابَا وَاصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا)) فكانت الشيب إذا زنت في
بدء الاسلام تمسك في البيوت الى العمات والبكر تؤذي بالكلام ونحوه بمقتضى هاتين
الآيتين، ثم نسخ ذلك في حق الشيب بالرجم وفي حق البكر بالجلد والتعذيب بحكم
السنة . . ورابعها ما هو بعكس ذلك أي مثبت في السنة اخذه مأذون في الكتاب
تركه وذلك كالتوجه الى بيت المقدس في ابتداء الاسلام، فانه كان ثابتا في السنة
ثم نسخ بقوله تعالى ((فنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره)) . . اقول وفي كلا الامرين مناقشة ، وقد ذكرنا ما يظهر
من الآية السابقة في ((تقريب القرآن)) مما لا نسخ معه .

(وبين واجب بوقته) كالحج الذي يجب في اشهر الحج (وزائل في مستقبله) فاذا
فانت الاشهر زال الوجوب الفعلي حتى تأتي الاشهر من جديد، وهذا بخلاف
الواجبات غير المقيدة كالنذور المطلقة والديون وما اشبه مما لا وقت لها (ومباين بين
محارمه) أي بين احكام مباين بعضها مع بعض في الحرمة ومقدارها (من كبير او عد
عليه نيرانه) كقوله سبحانه ((ومن قتل مؤمنا متعمدا فجزائه جهنم خالدا فيها)) (او
صغير أرصد) أي هي (له غفرانه) أي مغفرته كالصغائر - وبها فسر قوله تعالى
((الا اللهم)) (وبين مقبول في ادناه) أي يقبل ادنى ذلك التكليف واخفه (موسع في اقصاه)
مع انه سبحانه وسع للانسان بان يأخذ باقصى التكليف واثقله، كما يقبل في كفارة اليمين
اطعام عشرة مساكين، الذي هو ادنى واخف كفارة على الانسان ويوسع للانسان
في ان لا يأخذ بالادنى بل يكسى العشرة، او يعتق رقبة . . والمقصود من هذه
الجمال ذكر اقسام الاحكام - في الجملة - بانها مختلفة رتبت حسب المصالح، فلكل

منها ذكر في الحج

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ ،
يَرُدُّونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلُؤَةَ الْحَمَامِ ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ
عَلَامَةً لِّتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَاعاً

حكم لون خاص ، ليكون الانسان في سعة و تنوع و ذلك ابعد من الضجر و اقرب الى
طبيعة الانسان الميالة نحو التلون و التطور .

(منها) اي بعض هذه الخطبة التي سبقت جمل منها (ذكر) عليه السلام (في)

باب (الحج) فقد كانت الخطبة طويلة اسقط الشريف الرضي جملة منها .

(وفرض) الله (عليكم) ايها الناس (حج بيته الحرام) اصل الحج القصد ، و

سمى الحج بذلك لانه القصد الى محل مخصوص و اضافة البيت اليه سبحانه تشريفية

لانه مورد عنايته ، و وصفه بالحرام باعتبار كونه ذا حرمة و احترام . . البيت (السذي

جعله قبله للانام) يقابلونه في صلواتهم و ذبحهم و يوجهون امواتهم اليه الى غير ذلك

ما يجب او يستجب فيه استقبال القبلة (يردونه) يقال ((ورد)) اذا وصل ، ويستعمل

غالبا في ورود الماء ، و الضمير عائد الى البيت (ورود الانعام) اي كما يرد البهائم

على الماء عطاشا ، و هذا لبيان شدة شوق الناس الى البيت (ويألهون) من ((اله))

بمعنى ((فرع)) اي يفرعون ((اليه)) اي الى البيت و يلوذون به (ولوهم الحمام) اي كما

يفرغ الحمام الى محله عند الخوف ، فان الحمام يظهر عليه اثر اللوذ بكثرة .

(جعله) اي البيت (سبحانه) مصدر لفعل محذوف (علامة) اي دليلا (لتواضعهم)

اي تواضع البشر و خشوعهم و خضوعهم (لعظمته) تعالى فان المواقف و الاعمال

تدل على التواضع و الخشوع (واذعانهم) اي انقيادهم (لعزته) سبحانه اذ من

لا ينقاد لا يذهب الى الحج ولا يأتي بتلك المناسك (واختار) الله سبحانه (من خلقه سمعا)

أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ ،
وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ . يُخْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتَجَرِّ عِبَادَتِهِ ،
وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عِلْمًا ،
وَلِلْعَائِذِينَ حَرَمًا ،

جمع سامع كزراع جمع زارع (اجابوا اليه) انما عدى ب ((الى)) لانتهاء الجواب اليه
تعالى (دعوته) لهم الى الحج (وصدقوا كلمته) فقد وافق عملهم لما قاله سبحانه
من وجوب الحج . والصدق هو مطابقة شئ لشيء ، ومنه يسمى الخبر صدقا لانه
يطابق الواقع .

(ووقفوا) في عرفات والمشعر ومنى والطواف والسعي (مواقف انبيائه) فان
الانبياء قد حجوا ووقفوا في تلك المواقف (وتشبهوا) هولاء الحجاج عند طوافهم
حول البيت (بملائكته) تعالى (المطيفين بعرشه) من اطاف اذا دار ، فان
لله تعالى ملائكة يطوفون حول العرش خضوعا وانقيادا .

(يخرزون) اي الحجاج (الارباح) جمع ربح والمراد به الثواب (في متجر عبادته)
المتجر محل التجارة ومواقف الحج في مكة وحواليها متجر يحصل الانسان فيها على
الثواب ، لانها متجر العبادة والطاعة لا المال والمادة (ويتبادرون) المبادرة
المسابقة ، اي يسابق بعض الحجاج بعضا (عند موعد مغفرته) اي عند المحل الذي
وعد الله الغفران في ذلك المحل ، والتبادر انما هو بالاعمال الصالحة كما قال
سبحانه ((سارعوا الى مغفرة من ربكم)) كان من يعمل اكثر يكون اكثر مسارعة
لتحصيل المغفرة والمثوبة (جعله) اي جعل الله (سبحانه وتعالى) البيت (للإسلام
علما) كالأعلام التي تخفق فيأوي اليها الجيش ، او المراد بالعلم - الجبل - فهو
كالجبل الاشم الذي يلود بكنفه الناس من الحر والبرد وسائر المخاوف .

(و) ل (العائذين) جمع عائذ وهو المستجير (حرما) اي محل امن وسلامة

فَرَضَ حَجَّهُ ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ :
«وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» .

حتى ان الولي للدم لا يتمكن ان ينال المجرم بسوء وهو عائد بالحرم (فرض) اى
اوجب الله سبحانه (حجه) اى حج البيت (واوجب) سبحانه على الناس (حقه) اى
حق البيت بالحج والاحترام (وكتب عليكم وفادته) الوفاة الزيارة ، ومعنى كتب :
فرض اى الزم على الناس زيارة البيت (فقال سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ
الْبَيْتِ﴾ اى حق لله على الناس ان يحجوا بيته ﴿(من استطاع اليه سبيلا﴾ اى تمكن
من السير اليه بالزاد والنفقة وما اشبهه ، و﴿(من﴾ بدل بعض عن كل ، فان
الواجب انما هو على المستطيع (ومن كفر) بان لم يحج (فان الله غنى عن العالمين)
فانه لا يضر الله ، وانما يضر نفسه ولا يخفى ان المراد بالكفر هنا وفيما اشبهه
انما هو الكفر العملى لا الكفر العقيدى .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خ

بعد انصرافه من صفين

أَحْمَدُهُ اسْتِثْمَامًا لِنِعْمَتِهِ ، وَاسْتِسْلَامًا لِعِزَّتِهِ ، وَاسْتِعْصَامًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ .
وَاسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ ؛ إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ ،

(ومن خطبة له عليه السلام)

اي جملة من خطبة خطبها الامام امير المؤمنين عليه السلام (بعد انصرافه) و
رجوعه نحو الكوفة (من صفين) وهو اسم مكان بين الفرات والدجلة او من توابع
سوريا قرب حلب وقد وقع في هذا الموضع حرب بين الامام امير المؤمنين عليه السلام
وبين معاوية ، وله قصة طويلة في التاريخ .

(احمده) الضمير عائد الى ((الله)) تعالى (استثما لنعمة) اي طلبا لتثامنها
فان الشكر يوجب زيادة النعمة كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم . و استعصاما مفعول
له (واستسلاما لعزته) الاستسلام هو الانقياد ، فان الحمد يدل على ان
الحامد انقاد لعزته تعالى ، والعزة هي الرفعة والغلبة (واستعصاما) اي طلبا
للحفظ والعصاة (من معصيته) اي من عصيانه فان الحمد يوجب زيادة الطافه
تعالى بالنسبة الى الحامد واذ كثرت الطافه تعالى بالنسبة الى احد ابتعد عن
العصيان (واستعينه) اي اطلب اعانته تعالى (فاقة) اي لاجل الفاقة والاحتياج
(الى كفايته) اي الى ان يكفيني ما احتاج به اليه تعالى (انه) تعالى (لا يضل من
هداه) هذا من تنمة الثناء لا انه علة لما تقدم ومعنى ((من هداه)) انه تعالى اذا
هدى احدا فانه لا يضل ، وان كان ربما ضل بسوء عمله .

وَلَا يَثْلُ مَنْ عَادَاهُ ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ ، فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وَزَنَ ، وَأَفْضَلُ مَا خَزَنَ . وَأَشْهَدُ أَنْ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، شَهَادَةً مُتَّحِنًا إِخْلَاصُهَا ، مُعْتَقِدًا مُصَاصُهَا ، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا ، وَنَدْخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا ، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ ،

(ولا يثل) من ((وثل)) على وزن ((وعد ، يعد)) بمعنى ((خلص)) (من عاداه) تعالى بمعنى أن عدوه المخالف لأوامره لا ينجو من العقاب (ولا يفتقر) أي لا يكون فقيرا (من كفاه) تعالى (فانه) أي الحمد ، وهذا تعليل لقوله ((احمده)) (ارجح ما وزن) أي ارجح الطاعات في ميزان الحسنات (وأفضل ما خزن) أي احسن الأشياء التي يخزنها الإنسان ويدخرها ليوم حاجته (وأشهد أن لا إله إلا الله) فلا صنم والوثان وغيرها ليست الهة ، بل هو سبحانه الإله (وحده لا شريك له شهادة) هذا حال من ((أشهد)) (ممتحنا إخلاصها) أي أن كونها خالصة قد امتحنت فان أعمال الإنسان تدل على أنه هل يشهد بإخلاص ، أم أن شهادته سطحية فإذا دار الأمر بين الله وبين غيره يرجح الغير عليه سبحانه (معتقدا مصاصها) مصاص كل شيء خالصه أي أن خالص تلك الشهادة هو المعتقد لنا فعقيدتنا هي الشهادة الخالصة عن شوائب الشرك .

(نتمسك بها) أي بهذه الشهادة (أبدا) أي دائما (ما أبقانا) الله سبحانه في الدنيا (وندخرها) أي نجعلها ذخيرة (لاهاويل) جمع ((أهوال)) وهو جمع ((الهل)) والمراد بذلك ما يخاف منه من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة (ما يلقانا) في المستقبل كأن كلمة الشهادة كنز ينفق الإنسان منه لدفع ما يخاف منه ، كما يدفع الإنسان لدفع ابتلاءات السلاطين ومن اليهم (فانها) أي كلمة الشهادة (عزيمة الإيمان) أي الأمر الضروري بالنسبة إلى الإيمان حتى أنه لا

وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ وَمَذْحَرَةُ الشَّيْطَانِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالَّذِينَ أَلْمَشْهُورِ ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ ،

إيمان بدون هذه الشهادة (وفاتحة الاحسان) اى ان كل احسان انما يبتدء بالشهادة ، فان من لم يشهد بهذه الشهادة لا يقبل عمله فهو كمن لا احسان له ((انما يتقبل الله من المتقين)) ((ولئن اشركت ليحبطن عملك)) (ومرضاة الرحمان) اى موجبة لرضى الله سبحانه عن العبد ، ومرضاة مصدر ميمى (ومذحرة الشيطان) اى موجبة لدحره ، والدحر الطرد والبعد فان من شهد هذه الشهادة ابتعد الشيطان عنه ومذحرة مصدر ميمى ايضا .
(واشهد ان محمدا عبده) اى عبد الله تعالى (ورسوله) الذى ارسله الى الناس (ارسله) الله تعالى (بالدين المشهور) المراد الدين الظاهر الذى لا خفاء فيه ، ومنه يسمى المشهور مشهورا لانه ظاهر للناس لا خفاء فيه (والعلم) هو الذى يهتدى به من العلامة ، ومنه يسمى اللواء علما (المأثور) من ((اثر)) بمعنى ورد ، والمراد به هنا الاسلام الذى هو علم للضال يهتدى به الى طريق الحق والسعادة (والكتاب المسطور) والمراد به القران ، الذى سطر وكتب ، اما فى اللوح المحفوظ او فى الصحائف لتلاوة الناس (والنور الساطع) اى المتعالى الظاهر ، وهذا من باب التشبيه فكما يرى الانسان بسبب النور الاشياء المحسوسة كذلك يرى بسبب نور الهداية طريق السعادة والشقاء .
(والضياء اللامع) عطف بيان للجملة السابقة (و الامر الصادع) يقال صدع بالامر اذا قام به ، قال سبحانه ((فاصدع بما تؤمر)) ونسبة الى الامر المجاز ، فان الامر مصدوع به ، وانما الصادع هو الانسان القائم بالامر (ازاحة للشبهات) اى

وَأَحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ ، وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ ، وَتَخْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ ، وَ
النَّاسُ فِي فِتْنٍ أَنْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ ، وَتَزَعَزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ
وَأَخْتَلَفَ النَّجْرُ ، وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ ،

انما ارسله الله سبحانه لاجل ازالة الشبهات ، التي هي اسباب ان يشتبه الانسان
الحق بالباطل (واحتجاجا بالبيّنات) جمع ((بيّنة)) وهي الحجة الواضحة اى لاجل
ان يحتج الرسول على الكفار والعصاة بالادلة الواضحة الدالة على خطأهم و
انحراف طريقهم .

(وتخديرا بالآيات) اى لاجل ان يحذّرهم ويخوفهم بما يبين لهم من الآيات
الدالة على علم الله وقدرته ونكاله للظالمين (وتخويفا بالمثلات) المثلات بالفتح
ثم الضم جمع مثله بضم الشاد ، وهي العقوبات التي حلت بالامم السابقة التي صارت
مثلا للناس يذكرونها ويخافون منها ، اى ان الرسول يخوف الناس بانهم ان لم
يؤمنوا عوقبوا كما عوقب الامم السابقون المنحرفون (و) قد بعث الرسول في حال كون (الناس
في فتن) جمع فتنة ، وهي البلية (انجذم) اى انقطع (فيها) اى في تلك الفتن
(حبل الدين) وانما يقال للدين ((حبل)) لانه كالحبل الذي يتعلق به الانسان الموجود
في الهاوية ، ليجرّه الذي في فوق ، الى الاعلى ، وهكذا من تعلق بالدين رفعه
الدين الى الدرجات العالية والسعادة في الدنيا والاخرة . (وتزعزعت) اى تحركت
وتزلزلت (سوارى) جمع ((سارية)) وهي الدعامة والعمود (اليقين) فلا يقين للناس
بالمبدء والمعاد (واختلف النجر) هو بمعنى الاصل اى اختلفت الاصول التي اعتمد
الناس عليها ، فلا اصل مسلم في العقيدة او العادة او النظام يستند الكل اليها ،
بل كل طائفة ذهبت نحو اصل ومعتقد اختارته لنفسها (وتشّتت الامر) اى اختلف
فكل يسلك سبيلا ويسير سيرا مخالفا لسير الاخر (وضاق المخرج) شبه الخروج عن

وَعَمِي الْمَصْدَرُ ، فَالْهُدَى خَامِلٌ ، وَالْعَمَى شَامِلٌ . عُصِي الرَّحْمَنُ ، وَ
نُصِرَ الشَّيْطَانُ ، وَخُذِلَ الْإِيمَانُ ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ
وَقَدَرَسَتْ سُبُلُهُ ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ .

الاهواء والتقاليد الفاسدة بمن يريد الخروج من شدة ، لكن الباب ضيق لا يتمكن
من الخروج ، وضيق المخرج كناية عن عدم وضوحه فلا يدري الانسان كيف يخرج من
المشاكل والمفاسد .

(وعى المصدر) اى ضاع وخفى محل صدور الناس فى تقاليدهم وعقائدهم ،
كالاعى الذى لا يبصر ، فان الناس انما يأخذون عقائدهم واعمالهم عن الذى
يعرف - فهو مصدرهم - فاذا لم يكن هناك عارف يؤخذ عنه ، فكأن المصدر الذى
عليه ان يرى فيهدى ، قد عى فلا يبصر ، فكيف يتمكن من ابصار غيره؟ (فالهدى
خامل) يقال خمل الامر اذا خفى ، اى ان الهدى مخفى ليس بظاهر حتى يؤخذ
به (والعمى شامل) اى عدم معرفة الحق شامل للناس يعمهم (عصى الرحمان) اى
عصاه الناس (ونصر الشيطان) والمراد اطاعته فى الكفر والعصيان فان ذلك نصر
له على جنود الرحمان (وخذل الايمان) اى ترك ولم يعمل به (فانهارت دعائمه)
الانهيار هو السقوط اى سقطت دعائم الايمان ، والدعامة ما يستند اليه .

(وتنكرت معالمه) التنكر تحول الشئ من حال معروف الى حال منكر ، يقال
تنكر فلان اذا صار ينكر اصدقائه ومعارفه ، والمعالم جمع ((معلم)) وهو موضع
العلامة التى يهتدى بها للطريق ، اى ان علائم الايمان قد تنكرت فلم يعرفها
الانسان حتى يسير فى هدايتها لئلا يضل (ودرست) الدروس الانطماس وذهاب
الاثر (سبله) اى طرق الايمان فلا تعرف الطرق لتسلك (وعفت شركه) جمع شركه
بالفتحات وهى وسط الطريق ، اى اندرست طرق الهدى ، فان ((عفى)) بمعنى

أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ ، وَقَامَ لِيَوَاؤُهُ ، فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا ، وَوَطَّئَتْهُمْ بِأُظْلَافِهَا ، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا ، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ ، فِي خَيْرٍ دَارٍ ، وَشَرٍّ جِيرَانٍ .

((درس)) (اطاعوا) أى الناس (الشيطان فسلکوا مسالکة) أى طرقه ، جمع ((مسلك)) وهو الطريق المسلوك (ووردوا مناهله) جمع ((منهل)) وهو مورد الشرب فى النهر ، أى ورد الناس منهل الشيطان ، عوض ان يردوا منهل الحق (بهم) أى بالناس (سارت اعلامه) أى اعلام الشيطان ، جمع ((علم)) .

(وقام لوائه) أى ان الناس هم السبب لغلبة الباطل على الحق (فى فتن) جمع فتنة وهى البلية أى انهم ساروا فى فتن (داستهم) تلك الفتن أى سحقتهم (باخفافها) جمع ((خف)) وهو رجل البعير مما يمس الارض ، فكان الفتنة سحقفت الناس حتى ذلوا و هشمت عظامهم (ووطئتهم بأظلافها) جمع ((ظلف)) بالكسر ، وهو رجل البقر والشاة مما يمس الارض وهذا كناية عن ان الفتنة سيطرت على الناس ، من جراء انطماس الهدى ، واتباع سبل الشيطان (وقامت) الفتن (على سنانبكها) جمع ((سنبك)) كعنفذ وهو طرف ((الحافر)) فكان الفتنة بعير قامت و سيطرت ، بعد ما كانت فى ايام ((الهدى)) ساقطة مضحكة .

(فهم) أى الناس (فيها) أى فى الفتن (تائهنون) جمع ((تائه)) وهو الذى ضل الطريق فلا يعرف المسلك (حائرون) جمع حائر وهو المتحير (جاهلون) للحق (مفتونون) قد فتنوا ، والمفتون هو الذى استهوته الفتنة والضلال فتبعها (فسى خير دار) أى مكة (وشر جيران) وهم عبدة الاوثان والكفار الذين جاؤوا بمكة ، أى ان اولئك الناس الموصوفون بتلك الاوصاف كانت داره احسن دار و جيرانهم - او

نَوْمُهُمْ سُهْوٌ ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ ، بَارِضٌ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ .

ومنها يعنى آل النبی صلی الله علیه وآله وسلم

مَوْضِعُ سِرِّهِ ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ ، وَمَوْتِلُ حُكْمِهِ ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ ،

جيرانها - شرحيران (نومهم سهود) ای انهم دائمو الخوف - كما هو من لوازم المجتمع المضطرب - حتى انهم لا ينامون وانما (يسهدون) ای يسهرون من الخوف وكذلك كانت مكة قبل البعثة (وكحلهم دموع) فانهم حيث كانوا دائمي المحاربة : يبيكون على الدوام ، حتى كان الدمع كحلهم الملازم لعينهم وهم (بارض عالمها) ای العالم الذي فيها (ملجم) قد الجم وسد لسانه بلجام فلا يتمكن ان يتكلم بالحق خوفا (وجاهلها مكرم) يكرمه الناس اتقاء شره وطيشه او لانهم على شاكلته والناس الى امثالهم اشبه به .

(ومنها) ای استطرد الامام في الخطبة ، حتى وصل الى جملة منها (يعنى) وهو عليه السلام يقصد بالافاضالات (آل النبی صلی الله علیه وآله وسلم) والمراد بآله : علي وفاطمة واولادهما الطاهرون .

(موضع سره) فان الله سبحانه يضع اسراره فيهم ، والمراد بالسر هو الامر الذي لا يصلح اظهاره كالاجال والارزاق وما اشبه (ولجاء امره) اللجاء ما يلتجأ اليه الناس ويلوذون به ، والمعنى ان الاوامر تأتي اليهم ، فهم مركز الاوامر الصادرة من عنده سبحانه ، كما ان الاشراف ملجاء الناس وماواهم (وعيبة علمه) العيبة الوعاء يعنى ان الله سبحانه يفيض اليهم بالعلوم فهم محل علمه تعالى (وموتل حكمه) ای مرجع حكم الله تعالى ، من أل يؤل بمعنى رجع ، والنسبة مجاز ، اذ المعنى انهم موتل الناس لاستفادة حكم الله تعالى منهم (وكهوف كتبه) جمع

وَجِبَالٌ دِينِهِ ، بِهِمْ أَقَامَ أَنْحِنَاءَ ظَهْرِهِ ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ .

ومنها يعنى قوما آخرين

زَرَعُوا الْفُجُورَ ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ ، لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ ،

كهف وهو المغارة فى الجبل ، والمراد بالكتب القران وكتب الانبياء السابقين وانما قال ((كهوف)) تشبيها بسعة صدورهم فى اكتناز العلوم ، وصلاية انفسهم الحاوية لتلك العلوم كالجبال الراسية .

(وجبال دينه) فكما ان الجبل لا يتزلزل ، كذلك لا يتزلزل آل محمد عليهم الصلاة والسلام فى الامور الدينية (بهم) اى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (اقام) الله سبحانه (انحناء ظهره) اى ظهر الدين و انحناؤه كناية عن ضعفه ، فكما ان المنحنى ضعيف واهن كذلك كان الدين قبل تقويم الرسول وآله ، له (واذهب) الله (ارتعاد) هو تحرك البدن خوفا (فرائصه) جمع ((فريضة)) وهى اللحمة بين الجنب والكف وبين الثدي والكف ، ترتعد عند الخوف والفرع ، وهذا كناية عن ان الدين كان كالخائف ، وبالرسول وآله ، صار كالآمن .

(ومنها) اى استطرد الامام فى الخطبة حتى وصل الى هذه القطعة (يعنى) اى يقصد الامام عليه السلام بالافاضات (قوما اخرين) الذين هم نائوا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(زرعوا الفجور) جعل عليه السلام القبائح التى ارتكبوها كزرع زرعوه ، والفجور العصيان (وسقوه الغرور) فان الاغترار بالدنيا لما يرى الشخص فيها من المهلة بمنزلة السقى ، الذى يوجب ريع الزرع وقوته (وحصدوا) اى قطعوا الثمر (الثبور) اى الهلاك فان ثمرة الفجور الهلاك ، ولعل المراد بهؤلاء مغتصبى الخلافة كمعاوية واتباعه واسياده (لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الامة احد) فان

وَلَا يُسَوِّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا : هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ ،
وَعِمَادُ الْيَقِينِ . إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي ، وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي . وَ لَهُمْ
خَصَائِصُ حَقِّ الْوَلَايَةِ ،

احدا من المسلمين لا يشبه آل محمد صلى الله عليه وآله في فضلهم و نبلهم وسائر
مكارمهم ، ولعل الاتيان ب ((من هذه الامة)) لاجل انه اذا لم يقس بهم احد من
الامة ، فعدم قياس غير الامة بهم بطريق اولى (ولا يسوى بهم) التسوية التعديل ، اى
لا يعادل لهم (من جرت نعمتهم عليه ابدا) اى من انعموا عليه ، فان المتفضل لا
يعادل بمن تفضل عليه فان اليد العليا خير من اليد السفلى ، والمراد بنعمتهم
فضلهم عليه بالعلم والارشاد وما اليهما .

(هم) يعنى آل محمد صلى الله عليه وآله (اساس الدين) فكما ان البناء لا
يقوم الا بالاساس كذلك الدين لا يقوم الا بهم (وعماد اليقين) فكما ان السقف
لا يبقى فى محله المرتفع الا بالعماد كذلك يقين الناس بالمبدء والمعاد وما
اليهما متوقف على آل محمد صلى الله عليه وآله (اليهم يفيء) اى يرجع (الغالى)
الذى غلا فى دينه فهم الهادون الراشدون ، فمن تجاوز حد العقيدة الصحيحة
انما يعرف العقيدة بسببهم (وبهم يلحق التالى) اى الذى قصر فى العقيدة ، و
تأخر فى هذا المجال انما يصح عقيدته بهم .

مثلا انهم يقولون بان عيسى عليه السلام بشر رسول ، فمن غلا واعتقد الوهيته
لابد له ان يرجع اليهم فى تصحيح معتقده ومن قصر وقال ان عيسى ليس رسولا
وانما هو انسان عادى لابد له ان يصل اليهم فى معتقده حتى يكون قد خرج من
التقصير ، ولعل المراد بالغلو والتلو الاعم من العقيدة والعمل ، فان لكل شئ
جانبين افراط وتفریط .

(ولهم) اى لآل محمد صلى الله عليه وآله (خصائص حق الولاية) فان الولاية

وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ ، الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ ، وَنُقِلَ
إِلَى مُنْتَقَلِهِ !

العامة على الناس حق من الله وله خصائص وميزات لكون الولي معصوما اشجع
الناس واحسنهم خلقا وافضلهم وهكذا ، وهذا كله مجتمع في آل محمد صلى
الله عليه وآله وسلم (وفيهم الوصية) من الرسول حيث اوصى قائلا اني تارك فيكم
خليفتين ما ان تمسكن بهما لن تضلوا من بعدى ابدا كتاب الله وعترتي اهل بيتي
(والوراثة) فانهم الذين ورثوا الرسول في ماديته ومعنوياته ، فان المعنويات
تورث بالنطفة والولادة ، وباكتساب الاخلاق من طول المعاشرة (الان - اذ - رجع
الحق الى اهله) حينما ذهب الخلفاء الثلاثة وصارت النوبة لعلي عليه السلام فقد
نصبه الرسول يوم غدير خم خليفة من بعده فالمراد بـ ((الان)) عند مات عثمان ،
و((اذ)) زائدة والمراد بالحق الخلافة (ونقل) الحق (الى منتقله) اي المحل
الذي انتقل منه .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ بِالشَّقِيقِيَّةِ

أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فَلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ
مِنَ الرَّحَا .

((الخطبة الشقشقية))

(ومن خطبة) أى بعض خطبة أو ((من)) نشوية (له عليه السلام وهي المعروفة)
لدى الناس (بالشقشقية) لقول الإمام عليه السلام فى آخرها ((انما شقشقة هدرت))
(اما) كلمة تنبيه (والله) حلف بالله لا على التقمص بل على ((وانه يعلم)) وانما
ذكر التقمص مقدمة للقسم له (لقد تقمصها) أى تقمص الخلافة وقد شبه الامام الخلافة
بالقميص الذى يلبسه الانسان ، لانها تحيط بالانسان احاطة اللباس بالبدن ،
ولانها جمال وزينة مثل اللباس هو جمال وزينة (فلان) وفى بعض النسخ ((ابن
ابى قحافة)) مكان ((فلان)) والمؤدى واحد بالاتفاق (وانه ليعلم) أى والحال ان
ابا بكر يعلم بانى احق بها منه اذ (ان محلى منها) أى من الخلافة (محل القطب
من الرحى) الرحى ما يطحن فيه الحبوب وما اشبهه ، والقطب هو محور الرحى الذى
يدار عليه وبدون القطب لا يتمكن الرحى من العمل والانتاج يعنى ان ابا بكر
يعلم انى قطب رضى الخلافة ، كما كان الامام - بعد الرسول - قطب رضى الاسلام
، كما قالت الصديقة الطاهرة عليها السلام فى خطبتها ((دارت بنا رضى الاسلام)) .

يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ ؛ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا ،
وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا .

فان الاسلام لم يقم الا بسيف الامام كما قال الرسول صلى الله عليه واله والمع الى ذلك تصريحاً او تلويحاً مرات عديدة فقد كان هو الفاتح في اغلب الحروب الصعبة كبدرواحد وحنين وخيبر وغيرها ، كما ان ابا بكر وعمر لما كانا يستشيران الامام في امور الفتح وما اشبه - كما ثبت ذلك في تاريخ الفريقين - كانا في امن من تضعع الاسلام وهزكيانه داخلها او خارجها ، ولما ال النوبة الى عثمان ، و اخذ يأخذ برأى عشيرته امثال ((مروان)) دون الامام اجتاح الاسلام ذلك الاعصار الهائل الذي يكوى المسلمين بناره الى هذا اليوم (ينحدر عنى السيل) هذا تشبيه اخر ، حيث شبه الامام نفسه بالجبل الشامخ الذي يتجمع عليه الامطار والبرد ثم تنحدر عنه الى العيون والادوية والبساتين فان العلم قد انحدر من الرسول الى الامام ومنه انحدر الى غيره ، وقد كان الخلفاء قبله يأخذون منه ، حتى قال عمر في سبعين موضع ((لولا على لهلك عمر)) .

(ولا يرقى الى الطير) اي لا يطير الطير طيرانا يصل الى لسمو مقامى : وقد يتوهم بعض الناس ان تركية الانسان نفسه مما لا ينبغي ، لكن من المفروض على اولياء الله ان يدعو الناس الى انفسهم لهدايتهم الى الطريق ، ولذا كان الرسل يدعون الناس الى الاعتراف بهم - وهل هناك طريقة اخرى الى تعريف انفسهم ، وهذا هو السبب في تعريف الرسول لاهل بيته (فسدلت) سدل الثوب ارخائيه (دونها) اي دون الخلافة (ثوبا) وذلك كناية عن انى لبست ثوبا اخر غير ثوب الخلافة ، لما رأيتها مغتصبه (وطويت عنها) اي عن الخلافة (كشحاً) هى الخاصة يعنى انى اعرضت عن الخلافة ، فان الانسان المعرض عن الشئ يطوى و يلف خاصرته نحو اتجاه اخر لا فائدة اعراضه وعدم الاكتراث بذلك الشئ .

وَطَقِقْتُ ارْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِبَيْدِ جَذَاءٍ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءٍ ،
يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى
رَبَّهُ ! فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَجَى ، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى ،

(و طققْتُ) طفق بمعنى جعل و شرع (ارتئى) أى شرعت اجيل رأيي فى الامر ، وماذا ينبغى ان افعل (بين ان اصول بيد جذاء) يقال ((صال)) اذا حمل نفسه على الشئ بكل قوة و اقدام ، والجذاء بمعنى المقطوعة ، أى هل الافضل ان اعارض القوم و احاربهم بيد مقطوعة — و ذلك كناية عن عدم الناصر والمعين — (او اصبر على طخية) هى الظلمة يقال ليلة طخياء أى مظلمة (عمياء) والمراد بذلك الهضم و الظلم الذى صدر منهم بحق الامام و بحق الاسلام ، أى اصبر على هذه الظلمة الشديدة و نسبة ((عمياء)) الى ((طخية)) بعلاقة السبب و المسبب ، اذ من فى ((الطخية)) هو الذى لا يبصر كقوله تعالى : *فَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ*

(يهزم) أى يشيب غاية الشيب (فيها) أى فى تلك الطخية (الكبير) أى المسن فان المصائب تسبب هرم الانسان و شيبه لما يرد على النفس من الالام و المكآره (و يشيب فيها) أى فى تلك الطخية (الصغير) القليل السن (وكدح فيها مؤمن) الكدح هو السعى و العمل (حتى يلقى ربه) فلا راحة للمؤمن فى الطخيه ، اذ المؤمن كلما رأى الاسلام فى خطر سعى وجد و اجتهد لازالة الخطر (فرأيت) بعد اجالة الرأى و التردد بين الامرين ((ان اصول ، او اصبر)) (ان الصبر على هاتا) أى هذه فاتها لغة فى ((هاتى)) للإشارة و المراد بها ((الصبر)) و الايتان بالمونث باعتبار ((الطخيه)) (احجى) أى الزم و اولى من ((حجى)) بمعنى لزمه و رضى به ، و ذلك لعدم الناصر (فصبرت و فى العين قذى) هذا كناية عن شدة الالم ، فان من فى عينه ((قذى)) وهو ما يقع فى العين من غبار و نحوه يكون فى الم شديد .

وَفِي الْحَلْقِ شَجًا ، أَرَى تُرَائِي نَهْبًا ، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ ، فَأَذَلِّي بِهَا
إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ . ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ :

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ

(وفي الحلق شجى) الشجى ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه ، أى كان
حالى كحال من دخل عظم أو نحوه فى حلقه ، حيث يكون فى شدة الألم لا راحة له
ولا قرار (أرى تراى) هو الميراث ، أى ما وصل إلى من الرسول صلى الله عليه وآله ،
من الخلافة ، أو الأعم من ذلك ومن ((فدك)) (نهباً) أى منهوباً قد سلبوه (حتى
مضى الأول) أى أبو بكر (لسبيله) المقرر له وهى الموت (فأذلى بها) أى أرسل
الخلافة ، كما قال سبحانه ((أدلى دلوه)) (ألى فلان) يعنى عمر ، وفى بعض
النسخ ((ألى ابن أبى الخطاب)) (بعده) حيث أوصى أبو بكر بان يكون الخليفة من
بعده عمر (ثم تمثل) الإمام عليه السلام (بقول الأعشى) وهو أحد الشعراء :

(شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا) (ويوم حيان أخى جابر)

((شَتَّانَ)) بمعنى افترقوا ((ما)) زائد قو ((كور)) الرجل الذى يوضع على الناقة و
((ها)) عائد إلى الناقة و ((حيان)) كان سيداً فى بنى حنيفة مطاعاً فيهم و
((جابر)) أخو حيان أصغر منه يقول الشاعر - وهو أعشى الذى كان ينادم حيان -
ان هناك فرقاً بعيداً بين يومين مرّاً علىّ ، ففى يوم كنت على كور الناقة فى السفر فى
متاعب وزحمة ، وفى يوم آخر كنت عند حيان فى رفاة وراحة . . . ولعل وجه
تمثيل الإمام بهذا البيت أرادته مقارنة يوميه ، ففى يوم كان مع الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم فى راحة وعزة ومنعة ، وفى يوم ابتلى بـ ((عمر)) فى تعب ونصب وبلاء ، أو
المراد مقارنة يومه بيوم عمر ، فيومه موجب للتعب والنصب وغضب الحق ويوم عمر يمر
عليه وهو متقمص الخلافة فى عز ومنعة .

فَيَا عَجَبًا !! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ
لَشَدٍّ مَا تَشْطُرًا ضَرْعِيهَا !

(فيا عجباً) أصله ((عجيب)) وفي المنادى المضاف الى اليا يجوز وجوه خمسة كما قال ابن مالك ((واجعل منادى صح ان يضاف ليا)) ((كعبد عبيد عبد عبدا عبيدا)) والمعنى ((يا عجيب احضر فهذا وقتك)) او يا قوم التعجب تعجباً ، (بيننا هو) اي ابو بكر (يستقيلها) اي يطلب الاقالة من الخلافة (في حياته) اي حين كان حياً لانه يعلم عدم قابليته لها ، فقد روى علماء العامة والخاصة ان ابا بكر قال ((اقبلوني فلست بخيركم وعلى فيكم)) (اذ عقدها) اي الخلافة (لاخر) وهو ((عمر)) (بعد وفاته) ؟ فكيف تحمل اثم الخلافة بعد الموت ، وهو يرى نفسه غير قابل لها وهو في الحيات ؟ (لشد ما تشطرا ضرعها) ((اللام)) للتعجب والقسم و((شد)) من الشديد والمراد الاستمسك بالشئ بكل قوة ((تشطرا)) اي اخذ كل من ابى بكر وعمر شطرا وجزءاً ((ضرعها)) الضرع هو الثدي والضمير عائذ الى الخلافة .

فقد شبه الامام الخلافة بناقة حلوبة - بجامع الانتفاع بالخلافة كالانتفاع بالناقة - وشبه تمسك عمر وابي بكر بالخلافة بنفرين يدان ضرع الناقة بكل شدة و استمسك فكانهما تواطيا على ان لا يخليا بين الناقة وبين صاحبها وانما تمسك كل واحد بضرع من ضرعيها بالشدة ليشرب حليبها ، وهذه الجملة للتعجب ، يعنى عجيب هذا الاقتسام الذى تمسكا به بكل شدة حيث رشح ابا بكر عمر - فى يوم السقيفة - وعين ابو بكر عمر حال موته ، ومن غريب الامر التهافت الواقع للعامة فى قصة هذا الاستخلاف ، فقد رووا ان ابا بكر اغفى عليه حال الوصية الى عمر وهو فى السوق ، ومع ذلك كانت الوصية صحيحة - ولم يهجر ابو بكر - كما هجر

٦٤توضيح نهج البلاغة

فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلَامُهَا ، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا ، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا
وَالْأَعْتِدَارُ مِنْهَا ، فَصَاحِبُهَا كَرَّاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمًا ، وَإِنْ أَسْلَسَ
لَهَا تَقَحَّمًا ،

الرسول - العياذ بالله - حينما اراد الوصية لعلى عليه السلام . . . ؟

(فصيرها) اى جعل ابو بكر الخلافة (فى حوزة) هى المحل الذى يحاز فيه
الشئ (خشناء) اى خشنة والمراد بها ((عمر)) فالخلافة صارت فيه وهو خشن
الاخلاق غليظ جاف سريع الغضب (يغلظ كلامها) هى الارض الغليظة التى يصعب
المشئ فيها ، فقد كان عمر شديد المواجهة يخشى الذى يقابله شره وبذاءة
لسانه (ويخشن مسها) اى لمسها و الاقتراب منها ، وهذا كناية عن طبع عمر (ويكثر
العثار فيها) اى فى تلك الارض ، يقال ((عثر)) اذا اصاب رجله حجرة او نحوه
فالمها او اوجب سقوط الانسان ، فان الارض الخشنة يعثر الماشى فيها (والاعتذار
منها) اى يكثر الاعتذار وهذا اشارة لما كان يفعله عمر من المساورة فى الاحكام عن
جهل ثم يعتذر منها حين ما كان ينبّهه على عليه السلام او احد الصحابة على
خطائه .

(فصاحبها) اى الذى يعشى فى تلك الارض و يصاحبها (كراكب الصعبة) وهى
الناقة العاصية التى لا تسير سيرا هينا و انما تشمس و تؤذى الراكب (ان اشنق
لها) اى لتلك الناقة و اشنق بمعنى جر الزمام لايقافها وعدم سيرها (خرم) اى سبب
شق انفه الذى هو محل الزمام لانها تريد الجرى ، والراكب يريد ايقافها بشدة -
وشق انفها يوجب ضررا على المالك و اذى لها - (وان اسلس لها) اى ارخى
الزمام حتى تجرى الناقة كما تشاء (تقحم) اى ادخلت نفسها فى مواضع الهلكة ،
فلا يدري راكب مثل هذه الناقة ماذا يصنع ، هل يشنق ام يسلس ؟ و هكذا من

للأمام الشيرازي ٦٥

فَمُنِيَ النَّاسُ - لَعَمْرُ اللَّهِ - بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ وَتَلَوْنٍ وَأَعْتِرَاضٍ ؛ فَصَبَرْتُ عَلَى
طُولِ الْمُدَّةِ ، وَشِدَّةِ الْمُحَنَةِ ؛ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ
أَنِّي أَحَدُهُمْ ،

يُصَاحِبُ عَمْرَ أَنْ أَرَادَ نَهْيَهُ عَنْ أَعْمَالِهِ الْفَاسِدَةِ ، عَادَاهُ وَإِذَا هُ ، وَأَنْ سَكَتَ عَنْهُ
لِيَفْعَلَ مَا يَفْعَلُ أَوْرَدَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْهَلَكَةِ .

(فَمُنِيَ النَّاسُ) أَيِ ابْتَلَوْا وَاصْطَبَوْا (لَعَمْرُ اللَّهِ) قَسَمَ بِاللَّهِ ، وَاصِلُ ((عَمْر))
الْحَيَاتِ يُقَالُ لَعَمْرُكَ ، أَيِ وَحَتَّى حَيَاتِكَ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي الْقِسْمِ مُطْلَقًا مِنْ دُونَ
نَظَرٍ إِلَى أَصْلِ مَعْنَاهُ (بِخَبْطٍ) لَمَّا كَانَ عَلَيْهِ عَمْرٌ مِنَ الْخَبْطِ وَالْخَلْطِ فِي الْأُمُورِ (وَشِمَاسٍ)
هُوَ أَبَا الْفَرَسِ عَنِ الرُّكُوبِ ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ((عَمْر)) لَمْ يَكُنْ يَطَاوِعُ الرِّفْقَ ، بَلْ
كَانَ عَنِيفًا فِي أَمْرِهِ ، وَكَانَ الْقَاسِ مِثْلُونَ بِسُوءِ اخْتِلَاقِهِ (وَتَلَوْنٍ) فَانْهَ كَانَ يَوْمٌ فِي لَوْنٍ
غَيْرِ لَوْنِ الْيَوْمِ السَّابِقِ ، فَمَرَّةٌ يَحَارِبُ وَمَرَّةٌ يُصَاحِبُ ، وَهَكَذَا كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ
غَيْرِ مُتَّزِنٍ (وَاعْتِرَاضٍ) الْإِعْتِرَاضُ هُوَ السَّيْرُ عَلَى خَطٍّ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ أَيِ لَمْ يَكُنْ يَسِيرُ عَلَى
خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ وَجَادَةٌ وَاضِحَةٌ .

(فَصَبَرْتُ) عَلَى أَعْمَالِ عَمْرٍ (عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ) أَيِ مَعَ أَنَّ مَدَّةَ خِلَافَتِهِ قَدْ طَالَتْ
(وَشِدَّةِ الْمُحَنَةِ) الَّتِي ابْتَلَيْتْ بِهَا مِنْ أَجَلِهِ ، وَقَدْ ذَكَرَ كَتَبَ السَّيْرَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ طَرَفًا
مِنْ أَعْمَالِ عَمْرٍ وَآرَائِهِ ، مَعَايِدُ هَشَى الْإِنْسَانِ (حَتَّى إِذَا مَضَى) عَمْرٍ (لِسَبِيلِهِ) كُنَايَةٌ عَنْ مَوْتِهِ
وَالْمُرَادُ بِ((مَضَى)) أَرَادَ الْمَضَى فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْفِعْلِ وَالْإِرَادَةِ يَسْتَعْمَلُ
بِمَعْنَى الْآخَرِ قَالَ سُبْحَانَهُ ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ)) بِمَعْنَى فَعَلَ ، وَقَالَ ((إِذَا قُمْتُمْ
إِلَى الصَّلَاةِ)) أَيِ أَرَادَ تَمَّ الْقِيَامُ (جَعَلَهَا) أَيِ جَعَلَ عَمْرَ الْخِلَافَةِ (فِي جَمَاعَةٍ) سِتَّةَ
(زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ) وَهُمْ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَعُثْمَانُ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَعَبْسَدُ
الرَّحْمَانُ بْنُ عَوْفٍ ، وَسَعْدُ ، وَلَفْظَةُ ((زَعَمَ)) بِإِعْتِبَارِ أَنَّ مَحَلَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْفَعُ

منهم ، لا بمعنى ((الزعم)) المتعارف - كما لا يخفى .

و خلاصة حديث الشورى - كما فى شرح ابن ميثم - ان عمر لما طعن دخل عليه وجوه الصحابة وقالوا له ينبغى لك ان تعهد عهدك ايها الرجل وتستخلف رجلا ترضاه ، فقال لا احب ان اتحملها حيا وميتا فقالوا افلا تشير علينا ؟ فقال اما ان اشير فان اجبتم قلت ؟ فقالوا نعم فقال الصالحون لهذا الامر سبعة نفر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انهم من اهل الجنة احدهم سعيد بن زيد وانا مخرجه منهم لانه من اهل بيتى وسعد ابن ابى وقاص وعبد الرحمان بن عوف ، وطلحة ، وزبير ، وعثمان ، وعلى ، فاما سعد فلا يمنعنى منه الا عنفه وفضاضته ، واما عن عبد الرحمان بن عوف فلانه قارون هذه الامة ، واما من طلحة فتكبره ونخوته ، واما من الزبير فشحه ولقد رأيت بالبقيع يقاتل على صاع من شعير ولا يصلح لهذا الامر الا رجل واسع الصدر .

واما من عثمان فحبه لقومه وعصيته لهم واما من على فحرصه على هذا الامر ودعابة فيه ثم قال صلى صهيب بالناس ثلاثة ايام وتخلو الستة نفر فى البيت ثلاثة ايام ليتفقوا على رجل منهم فان استقام امر خمسة وابى رجل فاقتلوه ، وان استقر امر ثلاثة وابى ثلاثة فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمان بن عوف ، و يروى فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمان بن عوف ، و يروى فتحاكموا الى عبد الله بن عمر ، فافى الفريقين قضى له فاقتلوا الفريق الاخر ، فلما خرجوا عنه و اجتمعوا لهذا الامر قال عبد الرحمان ان لى ولا بن عمر من هذا الامر الثلث فنحن نخرج انفسنا منه على ان نختار رجلا هو خيركم للامة فقال القوم رضينا غير على فانه اتهمه فى ذلك فقال ارى وانظر .

فلما يئس بن رضى على رجوع الى سعد فقال هلم نعين رجلا ونبايعه فالناس

للأمام الشيرازي ٦٧

يبايعون من بايعته فقال سعد ان بايعك عثمان فانا لكم ثالث وان اردت ان تولى عثمان فعلى احب اليّ ، فلما آيس من مطاوعة سعد كف عنهم ، وجائهم ابوطلحة في خمسين رجلا من الانصار يحثم على التعيين فاقبل عبد الرحمان الى على عليه السلام واخذ بيده وقال ابايحك على ان تعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيـرة الخليفـتين ابى بكر وعمر ، فقال على عليه السلام تبايعنـى على ان اعـمل بكتاب الله وسنة رسوله واجتهد رأى فترك يده ، ثم اقبل على عثمان فاخذ بيده وقال له مثل مقاله لعلى عليه السلام فقال نعم فكرر القول على كل منهما ثلاثا فاجاب كل بما اجاب به اولا فبعدها قال عبد الرحمان هي لك يا عثمان ، وبايعه ، ثم بايعه الناس .

ويرد الاشكال على عمر من وجوه نذكر بعضها :

الاول : ان الخليفة كان معيناً من قبل الرسول في قصة ((الغدير)) وغيرها ، فباى حق خالف النص ؟ .

الثاني : انه باى حق عاب جماعة رغم ان الرسول صلى الله عليه وآله مات عنهم راضيا - كما صرح بذلك - وانهم من اهل الجنة ؟ .

الثالث : انه باى حق حكم بتقديم الثلاثة الذين فيهم ابن عوف ؟ .

الرابع : انه باى حق حكم بقتل من خالف الاكثر ، وهل اهل الجنة يقتلون لمجرد رأى رأوه ؟ .

الخامس : ان كان امر الخلافة ((شورى)) فهذا التعيين كان خلاف ((الشورى)) فأى دليل لرضى المسلمين بذلك ، وان كان بالنص فلا نص لهذا الموضوع بهذه الكيفية ... ؟ .

كما ان ابن عوف باى معيار دخل سيرة الشيخين في الشروط ؟ مع ان سيرة

فِيَا لِلَّهِ وَلِلشُّورَى ! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ ، حَتَّى صِرْتُ
أَقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ ! لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُوا ، وَطَرْتُ إِذْ
طَارُوا ، فَصَغَا

الشيخين متناقضة ، فهذا وليّ خالدا ، وهذا عزله ، وهذا حكم بشكل وذلك بشكل آخر ، وهذا أوصى وذاك جعله شورى ، وهكذا . . فكيف يمكن ان يعمل الخليفة برأى متناقض ؟ ثم هل وفى عثمان ، ام ضرب بالكل عرض الحائط ؟ (فيا لله) اللام للاستغاثة (وللشورى) اى استغيت بالله من ((الشورى)) وهى المشورة فى امر الخلافة ، وبالاخص بالكيفية التى جعلها عمر ، فان الشورى غير جائز فى الامر المنصوص ، فكما لا تجوز المشورة فى تحليل الخمر ، او اباحة ترك الصلاة ، كذلك لا تجوز المشورة فى تبديل خليفة ، وانما دخل على عليه السلام فى الشورى لمصلحة اهم وهى تكذيب اولئك الذين قالوا ان النبوة والخلافة لا تصلحان لبنى هاشم ، ولاحتمال انقاذ الحق بذلك (متى اعترض الريب) اى الشك (فى) حرف جر مضاف الى ياء المتكلم (مع الاول منهم) اى من هؤلاء وهو ابو بكر ، وجعله منهم باعتبار تأمرهم على اغتصاب الخلافة ؟ يعنى انى لم اكن اقرب بابى بكر الذى يعترف كل من اولئك له بالفضل فكيف اقرب بمن دونه ؟ .

(حتى صرت اقرب) واساوى - بمعنى اجعل قرينا - (الى هذه النظائر) جمع نظير وهو المثل ، اى امثل بعثمان واشباه عثمان (لكنى اسففت اذا اسفوا) يقال اسف الطائر اذا دنى من الارض (وطرت اذا طاروا) يعنى انى لم اخالفهم - حفظا على بيضة الاسلام - فكان مثلى مثل طائر فى سرب طائر الذى يدنو الى الارض اذا دنوا منها ويطير ويصعد اذا طاروا وصعدوا .

(فصغا) اى مال او استمع وكان الاصل هو الثانى وانما يستعمل بمعنى

رَجُلٌ مِنْهُمْ لِيُضْغِنَهُ ، وَمَالَ الْآخِرُ لِيَصْهَرَهُ ، مَعَ هُنْ وَهْنٌ ، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنِيهِ ، بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ ،

مال ، لان الاصغاء يلزم الميل (رجل منهم) من اهل الشورى : ويريد عليه السلام بذلك ((سعد)) (لضغنه) اي عداوته وحسده الكامن في صدره ، فقد كان ابن وقاص منحرفا عنه عليه السلام ، و تخلف عن بيعته بعد قتل عثمان (ومال الآخر) وهو عبد الرحمان بن عوف (لصهره) اي مصاهره الذي كان بينهما ارتباط سببي ، و المراد به عثمان فقد كان عبد الرحمان زوجا لام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اخت عثمان لأمه اروي بنت كريبز ، ولذا اعطى الخلافة لعثمان دون الامام على عليه السلام (مع هن وهن) هذا كناية عن وجود امور اخرى سبب عدم بيعتهم للامام ، و لعله عليه السلام يشير الى اشتراطهم معه متابعة سيرة الشيخين ، وتخوفهم من عمله بالحق ، فلا يكون لهم نصيب في الملك وما اشبه ذلك و ((هن)) اسم لمطلق الاجناس : و يستعمل كثيرا في امور مكروهة .

(الى ان) تمت البيعة لعثمان و (قام ثالث القوم) بعد الشيخين (نافجا - حضيته) النافج هو النافخ ، و الحضن ما بين الابط والكشح - اي الخاصة - و هذا كناية عن اكله لبيت مال المسلمين كالبعير الذي يأكل كل شئ يجده من النبات فينتفخ ، وهذا المعنى اظهر بقريظة ما يأتي ، من ان يكون المراد النفخ تكبرا (بين نثليه) وهو الروث (و معتلفه) وهو محل العلف ، فكما ان البهيمة تطوف بين المحل الذي له ما فيه العلف و المحل الذي يبيعرفيه ، كذلك كان عثمان كل همه جمع اموال المسلمين واكلها و اشباع اقاربه منها دون ملاحظة مصالح المسلمين ، فكانه يأكل هنا و يبيع هناك وهو في التطواف بينهما دون الاشتغال بامر آخر ، وقد ذكر ((العلامة الاميني)) في ((الغدير)) قائمة ببعض سرفه في اموال

وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ ، إِلَى أَنْ
 أَنْتَكْتَ قَتْلَهُ ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلَهُ ، وَكَبِتَ بِهِ بَطْنَتُهُ !

المسلمين .

(وقام معه) أى مع عثمان (بنو أبيه) هم بنو أمية أشباه مروان (يخضمون مال الله) الخضم الأكل بعلاء الغم كما يأكل البعير النبات (خضمة الإبل) أى مثل خضمة الإبل واكلها (نبتة الربيع) فكما أنها لا تلتفت الى شئ الا الأكل ويأكل فى نهم وحرص بجميع فمه كذلك كان عثمان وبنو أمية بالنسبة الى اموال المسلمين (الى ان انتكت) أى انتقض ، واصله : ابطال امر مبرم (قتله) أى ما أبرمه وفتله من الرئاسة وجمع الاموال والسيطرة (واجهز عليه) أى على عثمان (عمله) أى قتله ما عمل ، يقال اجهزت على الجريح أى قتلته .

(وكبت به) من ((كبوا)) اذا سقط ومنه الجواد قد يكبو (بطنته) وهى التخمة و الاسراف فى الشبع ، أى ان اكله للاموال أورث سقوطه فقد جعل عثمان يسرف فى التصرف فى امور المسلمين باكل اموالهم ، وتفريقها فى اقاربه وفرض سيطرتهم على رقاب المسلمين بدون مبرر او كفاية منهم للسلطة ، واقصاء خيار الصحابة و ضربهم وايدائهم ، وتبديل الخلافة الى ملك عضوض ، ولذا اجتمع المسلمون من مختلف الامصار - فى قصة طويلة - وكلما ارادوا ارجاعه عن سيره لم يرجع ، فاضطروا الى ان قتلوه ليخلصوا المسلمين وبلاد الاسلام منه ، وكان من اكبر المحرضين على قتله عائشة وطلحة والزبير واشباههم حتى ان عائشة كانت تشبهه بيهودى طويل اللحية يسمى نعتل فتقول ((اقتلوانعتلا قتله الله فقد بدل سنة الرسول وثوبه بعد لم يبلى)) .

وبعد ان قتل لم يجرأ احد من اهله من دفن جنازته حتى بقى ثلاثة ايام و

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعُرْفِ الضَّبُعِ ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،
حَتَّى لَقَدْ وَطِئَ الْحَسَنَانِ ، وَشَقَّ عِطْفَايَ ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِضَةٍ

اخيرا اجتمع بعض بنى امية و اهله و دفنوه ليلا في ((حش كوكب)) وهوبستان كان يتخلى فيه متصل بالبيع ثم ادخله معاوية في البيع . . . و بعد قتله التف الناس حول الامام على عليه السلام يطلبون بيعته و بعد اصرار قبل الامام و كان اول من بايعه طلحة و الزبير ، و لكنهما لما رأيا ان مطامحهم و مطامعهم في الامارة و السيطرة و المال قد انتهت ، لعمل الامام بالحق - نكثا بيعته و التحقا بعائشة التي كانت تحسد الامام و تبغضه ، و اقاموا حرب الجمل و منها تولدت حرب صفين و منها تولدت حرب النهروان ، التي اكتوبر المسلمون بنارها الى هذا اليوم .
(فما راعني) الروح الغزى اى ما افزعني (الا و الناس) مقبلون (الى) لاختد البيعة و المعنى ما راعني الا اقبال الناس (كعريف الضبع) الضبع حيوان من نوع السباع تأكل الاموات ان وجدت بها ، و عرفها الشعر الكثير الذى على عنقها و هذا تشبيهه لتكاثر الناس على الامام و ازدحامهم عليه (ينثالون) اى يزدحمون (على من كهل جانب) من الجوانب الاربعة (حتى لقد وطئ) اى سحق بالاقدام لكثرة الناس (الحسنان) الامام الحسن و الامام الحسين عليهم السلام ، كما هو العادة فى ان الازدحام اذا كثر يسحق من الى جوانب الشخص المزدحم عليه ، و قال بعض ان المراد ب ((الحسنان)) الابهامان ، فقد كان الامام جالسا حينما انثالوا عليه لمبايعته .

(وشق عطفاي) العطف طرف الرداء ، سعى به لانه يعطف باستدارة البدن ، فقد انخرق جانبا رداء الامام من كثرة جذب الناس لهما ، لارادة الوصول الى الامام و اخذ يده للبيعة ، فى حال كونهم (مجتمعين حولي) اى اطرافى (كربضة

الْغَنَمِ . فَلَمَّا نَهَضَتْ بِالْأَمْرِ نَكَّثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى ، وَقَسَطَ آخَرُونَ

الغنم (الربيعة الطائفة الرابضة من الغنم ، بالتشبيه بها من جهة ان المجتمعين كانوا كالاغنام في عدم الوقار وعدم توازن الحركات - كانوا بهائم ، من شدة شوقهم وحرصهم على بيعة الامام - (فلما نهضت بالامر) اى قبلت البيعة وقمت بالامارة الظاهرية - بعد ما كان عليه السلام هو الخليفة من الله و الرسول على المسلمين - (نكثت) اى نقضت بيعتى (طائفة) وهم اصحاب الجمل كطلحة و الزبير و من اليهما ، فقد بايعوا الامام ثم نقضوا بيعته .

(و مرقت اخرى) المروق هو الخروج ، و المراد بهم اهل النهروان - الخوارج - فانهم خرجوا من الدين بعد ما كانوا فيه ، كما يمرق السهم من الغرض بعد دخوله فيه (و قسط آخرون) اى فسق ، كما قال سبحانه ((واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً)) و المراد بهم معاوية و اصحابه الذين فسقوا ولم يدخلوا فى طاعة الامام ، بعد مبايعة الناس له ، ويحتمل ان يكون المراد بالمارقة معاوية و اجناد الشام و بالقاسطة الخوارج حسب الترتيب الخارجى ، و على اى تقدير فهذه الاسامى لهؤلاء من الرسول صلى الله عليه و اله حيث قال للامام عليه السلام ستقاتل الناكثين و المارقين و القاسطين .

و مجمل القصة ان الامام لما بوىع بالمدينة ، اراد طلحة و الزبير منه امارة الكوفة ، و البصرة فلم يلب طلبهما ، فخرجا من المدينة باسم ((العمرة)) و التحقوا بعائشة ، فاخذوا يألبون الناس على الامام ، و كتبوا الى معاوية فى الشام و ارادوا اقتسام البلاد بين الثلاثة ، و ذهبوا الى البصرة لتوجيه العراق نحوهم ، و ذلك سبب تمرد معاوية ، حيث استظهر بهم و اقاما فى البصرة يفسدان حتى التحق الامام بهما بجيشه ، و ركبت عائشة على ((جمل)) و جرت المحاربة بين الطرفين مما

كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَيْثُ يَقُولُ : «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»
بَلَى ! وَاللَّهُ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا ، وَلَكِنَّهُمْ حَلَّتِ الدُّنْيَا فِي

انتهى الى نصر الامام وقتل طلحة و الزبير و رجوع عائشة الى المدينة خائبة خاسرة . . ثم قام ((معاوية)) لمحاربة الامام و حارب الطرفان في محل يسمى ((صفين)) ولما قرب انتصار الامام دبر ((عمرو العاص)) مكيدة رفع المصاحف على الرماح باسم انهم يطلبون حكم القرآن ، و انطلقت هذه الحيلة على جملة من اصحاب الامام فكفوا عن القتال ، وقد اشرف عليه السلام على الانتصار .

و اخيرا انتهى الامر الى تحكيم حكيمين ((ابي موسى الاشعري ، و عمرو العاص)) فحكم ابو موسى بعزل الامام ، و عمرو بنصب معاوية و هنا انشق اولئك الاغرار من اصحاب الامام عليه السلام و خرجوا عليه ، و من ذلك سبوا ب ((الخوارج)) و حاربوا الامام في محل يسمى ((نهروان)) و انتصر الامام عليهم ، و ان بقيت منهم بقية عاشوا في البلاد الاسلامية ، و اخيرا قتل واحد منهم وهو ((ابن ملجم)) الامام عليه السلام في محراب مسجد الكوفة (كانهم) اى هؤلاء الطوائف الثلاث (لم يسمعوا كلام الله سبحانه حيث يقول) في كتابه الكريم ((تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا و العاقبة للمتقين)) ولذا لم يعملوا بمقتضاها و ارادوا العلو و افسدوا ، و في الحقيقة ان هذه الحلقة من الاضطراب بعد حلقة ((السقيفة)) من اهم الحوادث التي افسدت البلاد و غيرت مجارى تاريخ المسلمين ، و سببت انشقاقهم الى هذا اليوم .

(بلى) نفى لـ ((كانهم لم يسمعوا)) (والله لقد سمعوها) باذا انهم (ووعوها) بقلوبهم اى صاروا وعاءا لها (ولكنهم) تركوا العمل بها لانه (حلت الدنيا فـى

أَعْيُنُهُمْ ، وَرَاقَهُمْ زَبْرُجُهَا ! أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَوْلَا
حُضُورُ الْحَاضِرِ ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ
أَنْ لَا يَقَارُوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى
غَارِبِهَا

اعينهم) اى تزينت وراوها حلوة يقال حليت المرءة اى تزينت بالحلى (وراقهم) اى
اعجبهم (زبرجها) اى زينة الدنيا وزخارفها ، ولذا تركوا الاخرة للحفاظ عليها
والنيل من زخارفها (اما والذي فلق الحبة) اى شقها وخرج منها النبات
(وبرأ) اى خلق (النسمة) وهى الانسان او الروح (لولا حضور الحاضر) الذى حضر
لبيعة الامام والامثال لاوامره (وقيام الحجة) من الله على الامام ، بان يقول له لِمَ
لَمْ تنهض بالامر وقد هب لك الجوارح (بوجود الناصر) اى بسبب وجود الناصر للامام
على اعدائه .

مركز تحقيق مكتبة ميرزا محمد باقر

(و) لولا (ما اخذ الله) (ما) موصولة (على العلماء ان لا يقاروا) من قر على الامر
اذا لزمه ولم يغيره (على كظّة ظالم) الكظّة هى الالم التى يجدها الانسان فى بطنه
من كثرة الاكل وامتلاء الطعام (ولا سغب مظلوم) السغب شدة الجوع بمعنى ان
الله عهد الى العلماء ان لا يسكتوا على ظلم الظالم للمظلوم بان يأكل حقه ، فلا
يجد المظلوم ما يتقوت به بينما يأكل الظالم حتى يمتلاء ويكظ بطنه - كناية عن
حرمان ذلك واتخام هذا - (لالقيت) جواب (لولا) (حبلها) اى حبل الخلافة
(على غاربها) الغارب الكاهل ، فقد شبه الامام الخلافة بالناقة ، والقاء الحبل
على الغارب كناية عن اهمالها وارسالها وعدم التصدى لها ، كما ان مهمل الناقة
يلقى حبلها على كاهلها لتذهب حيث تشاء .

وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسٍ أُولَاهَا ، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ ! قالوا : وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته ، فناوله كتاباً قيل : إن فيه مسائل كان يريد الإجابة عنها ، فأقبل ينظر فيه فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت ! فقال : هيهات

(ولسقيت آخرها) أي آخر الخلافة ، فقد شبهها الإمام بمزرعة سقى أولها (بكأس أولها) فكما تركت الأمر في أيام أبي بكر ، كنت أترك الأمر بعد عثمان (ولألفيتم) أي وجدتكم أنتم - أيها الناس ، وإن كان الأمر كذلك عند الإمام حتى بعد قيامه بالأمر - (دنياكم هذه) برئاستها وزخارفها (أزهد عندي من عطفة عنز) وهي ما ترسله من أنفها ، والمراد في أزهد - أي أكثر زهداً ونفرة من الدنيا من زهد في عطفة العنز - فنسبة أزهد إلى الدنيا : مجاز كما لا يخفى .
انتهت الخطبة .

(قالوا) أي الرواة (وقام إليه) أي إلى الإمام عليه السلام (رجل من أهل السواد) والمراد به العراق ، وسعى سواداً لكثرة زرع، والعرب يسمى الأخضر أسود ، لانه يعيل إليه (عند بلوغه) أي بلوغ الإمام (إلى هذا الموضع من خطبته فناوله) أي أعطاه (كتاباً) قيل كانت فيه أسئلة أراد الإجابة عنها (فأقبل) (ينظر فيه) وانقطعت الخطبة (قال له ابن عباس) والمراد به عبد الله على الظاهر (يا أمير المؤمنين لو أطردت) أي لسترسلت (خطبتك) التي كنت تخطبها بأن تأتي بالبقية (من حيث أفضيت) أي من حيث انتهت إليه .

(فقال) الإمام عليه السلام (هيهات) كلمة تقال بمعنى ((ابتعد)) أي تبعد

يَا بَنَ عَبَّاسٍ ! تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ !

قال ابن عباس : فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام ألا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد .



قال الشريف رضي الله عنه : قوله عليه السلام « كراكب الصعبة إن أشق لها خرم . وإن أسلس لها تقحم » يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها ، وإن أرخى لها شيئاً مع صنعوتها تقحمت به فلم يملكها ؛ يقال : أشق الناقة ، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه ، وشنتها أيضاً : ذكر ذلك ابن السكيت في « إصلاح المنطق » ، وإنما قال : « أشق لها » ولم يقل « أشنتها » لأنه جعله في مقابلة قوله « أسلس لها » فكأنه عليه السلام قال : إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها بالزمام .

المطلب من ان يتم (يا بن عباس تلك) المقالة (شقشقة) هو شيء كالرثه يخرجها البعير من فيه اذا هاج (هدرت) اي خرجت خروج الهدير ، وهو صوت البعير (ثم قرت) اي سكنت فلا زيادة عليها (قال ابن عباس فوالله ما اسفت على كلام قط) اي ابدا (كأسفى على هذا الكلام) الذى بتر و قطع (الا يكون امير المؤمنين عليه السلام بلغ منه) اي من هذا الكلام (حيث اراد) بسبب قطع ذلك الرجل لكلامه .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلُمَاءِ ، وَتَسَنَّمْتُمْ ذُرْوَةَ الْعُلْيَاءِ ، وَبِنَا أَفْجَرْتُمْ
عَنِ السَّرَارِ . وَقَرَسَمْعٌ لَمْ يَفْقَهُ الْوَاعِيَةَ ، وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبَأَ مَنْ أَصَمَّتْهُ
الصَّيْحَةُ ؟

((و من خطبة له عليه السلام))

(بنا) المراد بالضمير الرسول و اهل البيت (اهتديتم) ايها الناس (فسى
الظلمات) اي ظلمة الكفر و المعاصي ، فان الانسان الذي لا يعرف الحقيقة يتيه في
الظلمات ، و الرسول و اهل بيته عرفوا للناس الحقائق ، فكانهم حملوا مشاعل
النور لهداية الناس عن ظلمات الحيات ليبصروا الحق و الحقيقة (وتسنتم العلياء)
تسنتم ركب سنام البعير ، وهو الموضع العالي في ظهره ، و المعنى ارتقيتم مراقى
الشرف و السؤدد ، فقد كانت العرب و سائر اهل الارض في ظلمة حالكة من الكفر و
العضيان و المشاكل ، كما كانوا خائفين اذلاء (وبنا انفجرتكم) اي دخلتم في الفجر
(عن السرار) وهو اخر ليلة من الشهر يختفي فيها القمر .

(وقرسمع) اي صم و هذا دعاء بالصم على السمع الذي (لم يفقه الواعية) وهي
العبر و المواعظ التي تصرخ بالانسان لتهديه الى السبيل (وكيف يراعي النبأ) وهي
الخبر بصوت خفي (من أصمته الصيحة) هي الصوت الشديد ؟ و المعنى ان من اصم

رَبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ . مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ ،
وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ ، سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ ،

سمعه الصيحة - فلم يسمعها - كيف يمكن ان يسمع الصوت الضعيف ؟ ولعل هذا
اشارة الى ان من لم يعتبر بالقرآن والسنة النبوية كيف يؤثر فيه كلام الامام عليه
السلام ، وهو اذون منهما منزلة والذي يؤيد هذا ان الامام خطب هذه الخطبة
بعد مقتل طلحة والزبير ، وكأنه يشير اليهما ، والى ما احدثاه من الفتنة بدون
اتعاظ بكلام الله والرسول والامام .

(ربط جنان) الجنان القلب ، وسمى بذلك لاختفائه ، من ((جن)) والمراد
الدعاء للقلب الخائف من الله بالرباطة والقوة ، فان الشئ اذا كان مربوطا ، كان
قويا لا يتمكن احد من زحزحته - ولذا كنى عن القوة بالربط - (لم يفارقه الخفقان)
هو الاضطراب ، فان القلب الخائف من الله سبحانه دائم الاضطراب خوفا من
ان لا يكون صدر منه شئ يوجب العقوبة والعذاب وهكذا يلزم الخوف من الله
الرباطة والقوة فان الانسان اذا عظم الخالق فى نفسه صغرا ما دونه فى عينه .

(ما زلت انتظر بكم) ايها المحتفون بى (عواقب الغدر) فان الانسان الذى
يغدر باميره لا بد وان تظهر عواقب غدره من التآمر والافساد وخلع الطاعة ونحو
ذلك (وأتوسمكم) التوسم التفرس اى اتفرس فيكم - من حركاتكم وسكناتكم - (بحلية
المغترين) اى بعلائم الاشخاص المغرورين ، والمغرور هو الذى حلى فى عينه شئ
زائف ، ومثله يترك الحق لاجل ذلك ، ولذا لا يبعد ان يتركوا الامام لغرورهم و
غفلتهم ، ويميلوا الى غيره (سترني عنكم جلباب الدين) الجلباب هو الثوب الفضفاض
الذى تلبسه المرأة ، وجلباب الدين احكامه التى توجب ستر الانسان عن السيئات
فلا يرى اعماله السيئة ، يعنى ان الذى عصمكم منى فلم اتعرض عليكم بالاذى هو

وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ . أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ ،
حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ ، وَتَحْتَخَفِرُونَ وَلَا تُمَيِّهُونَ . الْيَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمْ
الْعَجَمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ !

الظواهر الدينية التى لبستموها .

(و بصرنى بكم) اى ارانى واقعكم وما خفى فى صدوركم (صدق النية) اى النية
الصادقة الكامنة فى صدرى فانها تتفّرس بواطنكم السيئة ، فان الانسان الطاهر
القلب يلقى اليه بواطن الاشخاص - من الغيب - فيرى كل انسان على ما هو عليه
(اقمتم لكم) ((اللام)) للتأكيد والمعنى ((اقمتمكم)) بارشاداتى ونصائحى (على سنن
الحق) و السنن هو الطريق الواضح (فى جواد) جمع جادة وهى الطريق (المضلة)
هى الارض التى يضل سالكها ، اى انى اقمتمكم على طريق فى بين الطرق الباطلة
الكثيرة التى يضل الانسان اذا سلكها بلا دليل (حيث تلتقون ولا دليل) اى حيث
يلتقى بعضكم ببعض ليتسائل عن الطريق لكن الكل تائهون لا يعرفون الطريق فلا
فائدة فى التقائهم وتسائلهم .

(و) حيث (تحتفرون) الارض للوصول الى الماء لثلا تهلكوا من العطش (ولا
تميهون) يقال ((اماء)) اى اخرج الماء ، اى لا تجدون الماء ، فالارض مضلة ، و
الدليل مفقود ، والماء غير موجود ، فكيف كنتم ؟ وهكذا انتم فى الامور الدينية ،
وقد انقذتكم من مثل ذلك (اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان) العجماء هى
البهيمة التى لا تتكلم ومعنى كونها ذات البيان انها مع عدم تكلمها تبين عن
الشئ بالدلالة والاشارة ، ومراده عليه السلام ب ((العجماء)) العبر والعظات ،
التى هى اعجم لا تنطق ولكنها تدل وتشير الى الامور ، فان العبرة تدل على ان
من فعل كذا اصابه كذا - لما بين الاسباب والمسببات من الارتباط - ومعنى

غَرَبَ رَأْيُ أَمْرِي ۖ تَخَلَّفَ عَنِّي ! مَا شَكَّكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أَرَيْتُهُ ! لَمْ
يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ ، بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَالِ
وَدَوَلِ الضَّلَالِ ! الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ
يَظْمَأْ !

انطاقہ علیہ السلام لہم ، دلائلہم علی تلك العبر وارشادہم الیہا ، کی یعتبروا .
(غرب) ای غاب و ضل (رأی امری تخلف عنی) ای لم يتبعنی فان الامام هو
الحق ، وکل من تخلف عنه علی باطل (ما شککت فی الحق مذ أریته) ای من وقت
ارانہ رسول اللہ صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم ، فقد کنت النزم الحق ، ولذا کان کل
مخالف لی علی باطل (لم یوجس موسی علیہ السلام خیفۃ علی نفسه) کما قال سبحانه :
((فاجس فی نفسه خیفۃ موسی)) ای لم یکن خوف موسی علیہ السلام علی نفسه وانما
خاف من ان یموه السحرۃ علی الناس فلا یقبلوا کلام موسی علیہ السلام (اشفق) ای
اکثر شفقة و خوفا (من غلبۃ الجهال) وهم السحرۃ (ودول الضلال) جمع دولہ وهی
السلطۃ ، ای سلطۃ فرعون ، فان موسی کان اخوف ما یخاف هو هذا الامر لا غیرہ
وقد اراد علیہ السلام بهذا الکلام انه لا یخاف علی نفسه من الظالمین المعادين له
وانما یخاف علی انطلاء تمویہاتہم علی الناس فینحرفون عن الحق .

(اليوم تواقفنا) ای تلاقینا نحن و انتم (علی سبیل الحق و الباطل) فمن سار
معی کان علی الحق ، ومن خالفنی کان علی الباطل (من وثق بماء لم یظماء) ای ان
من کان واثقا باحد لم یحتج الی غیرہ فمن اللازم ان یحصل الانسان علی الثقۃ
بامامہ حتی لا یحتاج الی غیرہ ، و ذلك کما ان الشخص الذی یعلم ان عنده ماء
یکفیه للشرب لم یهيج به العطش ، فان سکون النفس یوثر فی سکون الجسد .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه العباس وأبو سفيان
ابن حرب في أن يبايعا له بالخلافة

أَيُّهَا النَّاسُ ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ
الْمُنَافَرَةِ ، وَضَعُوا تَيْجَانَ الْمُفَاخَرَةِ .

((ومن خطبة له عليه السلام))

(لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه العباس وأبو سفيان
بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة) .

وذلك أن أبا سفيان أراد الفتنة وجعل المسلمين بعضهم يضرب وجه بعض ،
حتى ينتهز فرصة لارجاع الناس الى الكفر ، فجاء واستصحب العباس ، وهو لا
يعلم بالمكيدة — يستنهضان الامام عليه السلام للقيام بطلب حقه واقصاء القوم .
(ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة) فكان الفتن مثل امواج البحر
التي اذا غمرت شيئا اغرقته ، وسفن النجاة هي الطرق الموصلة الى رضوان الله
سبحانه ، وشقها كناية عن السير في الطريق القويم الموجب للوصول الى الساحل .
(وعرجوا) اي ميلوا واعزفوا (عن طريق المنافرة) اي منافرة بعضكم لبعض ، والمنفرة
هي الابتعاد عن كره (وضعوا) اي اتركوا (تيجان المفاخرة) عن رؤسكم ، فان الذي

أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ ، أَوْ اسْتَسْلَمَ فَأَرَّاحَ . هَذَا مَاءُ آجِنٌ ، وَلُقْمَةٌ
يَغْصُ بِهَا أَكْلُهَا . وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةَ لِغَيْرِ وَقْتٍ إِيْنَاعِهَا

يفتخر كانه شمع برأسه ووضع عليها تاجا من الافتخار كتيجان الملوك ، فالامام يأمر بالتواضع (افلح من نهض بجناح) اى فاز بالظفر من نهض بالامر وكان له جناح يساعده ، وقد كانت الجملة لردع ابي سفيان عن المفاخرة بعلی عليه السلام فى قبال اولئك الغاصبين وهذه الجملة وما بعدها لبيان عذره عليه السلام فى تركه الامر وعدم نهوضه حيث لا جناح ولا انصار له ، وقد شبه الانصار بالجناح ، لانه كما يطير الطائر بجناحه كذلك ينهض الناهض بانصاره .

(او استسلم) ولم ينهض (فأراح) الناس و أراح نفسه فلم يوقعهم فى المهلكة ، ولم يوقع نفسه فى المذلة ، يقال قيل لعنترة انك اشجع العرب ؟ فقال لست باشجعهم ولكن اقدم اذا كان الاقدام عزما واحجم اذا كان الاحجام حزما (هذا) الذى تدعوانى للنهوض به من الامرة والخلافة (ماء آجن) اى كالماء المتعفن الذى لا يستساغ طعمه فان الخلافة تشوبها المكارة والمصاعب والمتاعب (ولقمة يغص بها اكلها) فلا يهنأ بها ومعنى ((غص)) بالشئ ، بقى فى حلقه ونشب فى لهاته فلم يتمكن من بلعه ، كما قال الشاعر ((اكاد اغص بالماء الفرات)) .

وبعد ما شبه الامام عليه السلام الخلافة بالماء الاجن واللقة الصعبة ، شبه نفسه بالذى يقطف الثمرة قبل النضج (ومجتني الثمرة) من ((اجتني)) بمعنى قطف (لغير وقت ايناعها) يعنى قبل بلوغها النضج والكمال ، و ((اللام)) للتأكيد ، فان وقت خلافة امام الظاهرية لم يحن بعد اذ لو قام بالامر لم يتبعه الجماعة قليلة ، وذلك يورث العتة التى تعصف بالاسلام ولذا ترك الامام حقه ، فاذا قمت انا فى

كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ . فَإِنْ أَقْبَلَ يَقُولُوا : حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ ، وَإِنْ
أَسْكُتَ يَقُولُوا : جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ ! هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي ! لَابْنُ وَاللَّهِ
أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطُّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ . بَلْ أُنْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ

هذا الوقت كنت (كالزارع بغير ارضه) الذي لا يحصل شيئا من ثمره فان الناس ليسوا
بمحل قابل لخلافة الامام وانما هم محل لا يى بكر ، فانهم الى اشباههم اميل ، وقد
اخبر القرآن الحكيم بذلك بقوله : ((أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم)) .

(فان اقل) ان الخلافة لى وانتم غاصبون لها (يقولوا حرص على الملك) بسان
يسيطر ويتسلط على الملك والمنصب (وان اسكت) فلا اطالب حقى (يقولوا) والمراد
ناس آخرون (جزع من الموت) وخاف انه اذا طلب حقه وقامت المحاربة ، قتل فى
سبيل ذلك ، فتخلصا من الموت يسكت عن حقه (هيهات) اى شتان بين هـذـه
المزاعم وبين الواقع ، فلو طلبت لم يكن طلبى حرصا على الملك ولو سكت لم يكن
سكوتى جزعا من الموت (بعد اللتيا والتى) اى تلك المزعة الاولى والمزعة الثانية
اى بعد التجاوز عن هذين الكلامين الباطلين ، الحق فى ان سكوتى لمصلحة
الاسلام ، ولو طلبت كان لاجراء الحق وارجاع الخلافة الى اهلها الشرعى

واللتيا مصغر التى ، وتصغيرها شاذ ، كما قال ابن مالك ((وصغروا شذوذا
الذى التى)) ((وذامع الفروع منها تاوتى)) وهذا مثل اصله ان رجلا تزوج بقصيره
سيئة الخلق فشقى بعشرتها ثم طلقها وتزوج باخرى طويلة فكان شقائه بها اشدد
فطلقها ، فقيل له الا تتزوج ؟ قال لا اتزوج بعد اللتيا والتى (والله) ليس
السكوت خوف الموت ، فانه (لابن ابي طالب) يعنى نفسه عليه السلام ، واللام ،
للتأكيد (انس بالموت) اى اكثر انسا بان يموت (من الطفل بثدى امه) فليس لى
خوف من الموت (بل) سكوتى لانى (اندمجت) اى انطويت واشتملت (على مكنون

عِلْمٌ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَأَضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ !

علم) ای علم مکنون ، هو ما اعلم من نتائج الامور وعواقبه و ان الله انما امهل هؤلاء للامتحان والاختبار .

(لو بحث به) من باح بسرّه اذا اظهره ، ای لو اظهرت ذلك العلم (لاضطربتم) انتم (اضطراب الارشیه) جمع رشاء بمعنى الحبل (فی الطوی) جمع طویة وهی البئر (البعيدة) ای العميقة فکما یكثر اضطراب الحبل فیها عند السقاء - لبعدها عمقها - كذلك یكثر اضطرابکم لو اعلمتکم بما اعلم ، فانه علیه السلام لو اخبرهم بامتلاك اولئک الامر وما یسببون من اراقة الدماء و تغییر الاحکام و سوق الناس بالغلظة والاستیثار بفئ المسلمین وما الى ذلك لاضطرب المسلمون اشد الاضطراب ، كما ان من یشیر ان حاکمه سوف یظلم و یؤذی خاف و اضطرب ، لكن الامام یسکت عن ذلك کله ابقاءً لنظام الاسلام ، ولعدم ایجاد حرب داخلیة توجب العصف بالاسلام و المسلمین

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما اشير عليه بالا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال

وَاللّٰهُ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ : تَنَامُ عَلَى طُولِ الدِّمِ ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا
طَالِبُهَا ، وَيَخْتَلِهَا

((ومن كلام له عليه السلام))

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

(لما اشير عليه بان لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال) اي لا يرقب
ولا يستعد لقتالهما .

(والله لا اكون كالضبع) هو حيوان من السباع يأكل الأموات اذا وجدها (تنام
على طول اللدم) اللدم هو الضرب بشئ ثقيل يسمع صوته ، وضع مونث سماعي ،
قال ابو عبيد يأتي صائد الضبع فيضرب بعقبه الارض عند باب جحرها ضربا غير
شديد - و ذلك هو اللدم - ثم يقول خامري ام عامر ((اي الزمي دارك من خامر اذا
لزم داره و ام عامر كنية الضبع)) يقول ذلك بصوت ضعيف مكررا فتنام الضبع على ذلك
فيجعل في عرقوبها حبلا ، فيجرها ويخرجها ((وكان في الصوت تأثيرا و احياء))
يقول الامام عليه السلام لا اكون كالضبع ابقى في المدينة حتى تقوى شوكة طلحة و
الزبير ، فيأخذان الامر من يدي ، كالضبع المصيدة .

(حتى يصل اليها) اي الى الضبع (طالبتها) الذي يريد صيدها (ويختلها)

رَاصِدُهَا ، وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ ، وَبِالسَّامِعِ
الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَدًا ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي . فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ
مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي ، مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ ، مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا

الختل الخديعة (راصدها) أى الصائد الذى رصدها (ولكنى اضرب بالمقبل الى
الحق) الذى تبغى (المدبر عنه) أى عن الحق ، وهو من خالف الامام (و الاضرب
(بالسامع) للحق (المطيع) لاوامرى (العاصى) للحق (المريب) ذو الريب فسى
الحق - و الريب بمعنى الشك - (ابدا) يعنى هذا شأنى دائما (حتى يأتى على
يومى) أى ماتى و اليوم المعد لانقالى من الحيات الى الدار الاخرة .

ثم بين عليه السلام ان هضم طلحة والزبير لحقه ، ليس اول هضم اصابه ، بل
قد استمر الناس حقوقه و هضموا امره منذ امد طويل (فوالله ما زلت مدفوعا عن
حقى) أى دفعنى الناس عن الحق الذى هو لى (مستأثرا على) أى ان الناس
استأثروا و استبدوا بحقوقى على ضررى (منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم
حتى يوم الناس هذا) ((منذ)) يعنى الوقت الماضى فقد غصب ابو بكر ، ثم عمر ،
ثم عثمان ، حقه الشرعى فى الخلافة و بعد ذلك جاءت عائشة و طلحة و الزبير ، و
بعدهم معاوية .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يُذَمُّ فِيهَا اتِّبَاعُ الشَّيْطَانِ

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَ ، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَكَ ، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي
صُدُورِهِمْ ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ ، وَنَطَقَ بِالسِّنَتِهِمْ

((ومن خطبة له عليه السلام))

يُذَمُّ فِيهَا اتِّبَاعُ الشَّيْطَانِ (اتَّخَذُوا) أَي الْكَفَارُ وَالْعَصَاتِ (الشَّيْطَانُ لِأَمْرِهِمْ
مَلَكَ) الْعَلَاكَ قَوَامُ الشَّيْءِ الَّذِي يَمْلِكُ بِهِ ، يَعْنِي أَنَّ قَوَامَ أَمْرِهِمْ اطَاعَةُ الشَّيْطَانِ (و
اتَّخَذَهُمْ) أَي الشَّيْطَانُ (لَهُ) أَي لِنَفْسِهِ (أَشْرَكَ) جَمْعُ شَرْكَ وَهُوَ مَا يُصَادُّ بِهِ فِهُمُ آلَةُ
الشَّيْطَانِ فِي الْإِضْلَالِ إِذَا بِسَبَبِهِمْ يَضِلُّ سَائِرُ النَّاسِ (فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ)
هَذَا كُنَايَةٌ عَنْ اسْتِطْوَاعِ الشَّيْطَانِ لِقُلُوبِ هَؤُلَاءِ ، فَإِنَّ الطَّيْرَ إِذَا بَاضَ وَفَرَّخَ فِي
مَكَانٍ فَقَدْ اتَّخَذَهُ وَطَنًا لِنَفْسِهِ وَمَأْوًى يَأْوِي إِلَيْهِ (وَدَبَّ) أَي تَحَرَّكَ (وَدَرَجَ) أَي مَشَى
(فِي حُجُورِهِمْ) جَمْعُ حَجَرٍ ، وَهُوَ الْحَضَنُ ، فَكَمَا أَنَّ الْطِفْلَ يَدْبُ وَيَدْرُجُ فِي حَجَرٍ
وَالدَّيْهِ وَيَأْلَفُ بِهِمَا الْفَقَّةَ شَدِيدَةً كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الشَّيْطَانِ (فَنَظَرَ)
الشَّيْطَانُ (بِأَعْيُنِهِمْ) وَهَذَا كُنَايَةٌ عَنْ أَنَّهُ نَظَرَ هَؤُلَاءِ إِلَى الْمَحَارِمِ وَالشَّرُورِ إِذَا نَظَرَ
الشَّيْطَانُ إِلَيْهِمَا ، فَقَدْ اتَّحَدَ بِهِمَا وَامْتَرَجَ مَعَهُمَا (وَنَطَقَ بِالسِّنَتِهِمْ) فَكَلَامُهُمْ كَلَامُ
الشَّيْطَانِ .

فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَّلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ، فَعَلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي
سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ !

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يعنى به الزبير فى حال اقتضت ذلك الكلام

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ، وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ ؛

(فركب) الشيطان (ب) سبب (هم الزلل) جمع زلة وهى العثرة عن الحق و عدم
رسوخ القدم فيه ، اى ان الشيطان اوقفهم فى مواقف الزلة حتى زلوا ولم يثبتوا
(وزين لهم الخطل) هو اقبح الخطاء ، اى ان الشيطان حسن فى نفوسهم
الخطايا والآثام القبيحة ، ففعلوا (فعل من قد شرکه الشيطان فى سلطانه) اى
ان الشيطان صار شريكا لهم فى سلطتهم على الامور ، فما يفعلونه انما يفعلونه
باشتراك مع الشيطان حصه له وحصه لهم (و نطق بالباطل على لسانه) فلسانهم يتكلم
لكن بايحاء من الشيطان و القاء منه اليهم .

ومن كلام له عليه السلام

يعنى به الزبير فى حال اقتضت ذلك الكلام

لقد كان المسلمون يقولون لطلحة و الزبير ، كيف تنقضان بيعة الامام ، وقد
بايعتماه طوعا و رغبة بدون اكراه ولا اجبار ؟ فكانا يجيبان بانهم انما بايعا
بايديهما لا بقلوبيهما و يزعمان ان هذا الجواب يبرر موقفهما العدائى من الامام
عليه السلام و لذا قال الامام عليه السلام (يزعم) الزبير (انه بايع بيده ولم يبایع بقلبه)

فَقَدْ أَقْرَ بِالْبَيْعَةِ ، وَادَّعَى الْوَلِيَّةَ . فَلَيَاتِ عَلَيْهَا بِأَمْرِ يُعْرِفُ ، وَإِلَّا
فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يصف اصحاب الجمل وانهم اصحاب قول لا اصحاب عمل

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا ، وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشْلُ ، وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى
نُوقِعَ ، وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ .

فكان في البيعة مكروها غير راضى (فقد أقر البيعة) اقرارا (وادعى الوليعة) الدخيلة
في الامر ، ادعاء ، والمقر مأخوذ باقراره ما لم يثبت بحجة واضحة خلاف الاقرار
(فليأت) زيير(عليها) اى على الوليعة التى ادعاها (بأمر يعرف) اى بحجة واضحة
معروفة (والا) فان لم يأت بالحجة (فليدخل فيما خرج منه) من طاعتى وتسليم الامر
الى ، فان على المدعى البيعة ، وان لم يقمها كان اللازم الكف عن ادعائه .

ومن كلام له عليه السلام

يصف اصحاب الجمل وانهم اصحاب قول لا اصحاب عمل

(وقد ارعدوا و ابرقوا) شبههم عليه السلام بالسحاب الذى يرعد و يبرق ، الماعا
الى المطر فانهم كانوا يقولون و يسبون و يظهرن الشجاعة و البسالة (ومع هذين
الامرئين) الارعاد والابراق (الفشل) وعدم المحاربة الشديدة ، فقد اعتزل زيير الحرب
و طلحة قتل بدون محاربة معلومة (ولسنا نرعد) بان نقول ونهتج (حتى نوقع)
بالعد و ونوسع فيهم القتل و الضرب (ولا نسيل) بالكلام (حتى نمطر) اى نظهر العمل

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ ، وَاسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ وَرَجُلَهُ ، وَإِنَّ
مَعِيَ لِبَصِيرَتِي : مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي ،

فاننا نجرى الامور ، لا الاقوال ، وهذا هو الحائز بين العالمين وغيرهم
غالباً - فالعاملون يعملون بلا ان يقولوا والقائلون لا يعملون ، وانا مجرد قول
وثرثرة .



ومن خطبة له عليه السلام

مركز تحقيقات علوم اسلامی

والغالب ان ((الخطبة)) تكون مع اعتماد في الاداء ، ووقوف او صعود منبر
او ما اشبه ، وابتداء بالحمد والصلاة ، بخلاف ((الكلام)) وهذا هو الذي جعل
((السيد)) يقول تارة ((من خطبة)) واخرى ((من كلام)) والغالب ان ((السيد))
يبتر بعض الخطبة او بعض الكلام ، مما يراه افصح من سائر جعلها ولذا يقول
((من)) بالتبعيض (الا) حرف تنبيه ، اي ليتنبه السامع (وان الشيطان قد جمع
حزبه) المراد بالشيطان اما حقيقة او كناية عن شخص وقد ذكروا انه عليه السلام
خطبه بمناسبة حركة طلحة والزبير (واستجلب) اي طلب جلب (خيله ورجله) اي
فرسانه ورجاله وهذا اشارة الى قوله تعالى ((واجلب عليهم بخيلك ورجلك))
(وان معي لبصيرتي) لم اتغير بل عرفاني بالامور كما كنت سابقا (ما لبست على نفسي)
التلبس الاشتباه اي لم اسبب الاشتباه على نفسي حتى لا ادري هل انا على الحق
ام لا ، كما هو الشأن في كثير من الناس حيث يقعون في المعارك يتشككون في امر

وَلَا لُبْسَ عَلَى . وَآيْمُ اللَّهِ لَا فَرِطَنَ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَاتِحُهُ ! لَا يَصْدِرُونَ عَنْهُ ، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل

تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلُ !

انفسهم (ولا لبس على) بان شكك لى مشكك فشككت (وايم الله) اى قسما بالله ، فان ((ايم)) بمعنى القسم (لا فرطن) يقال افرطه اذا ملاه حتى فاض (لهم) اى لهؤلاء المخالفين لى (حوضا انا ماتحه) يقال منح الماء اذا نزح الماء ، والمعنى انى اهى لهم الجيش الجم الذى انا متولىه بحيث (لا يصدرون عنه) اى لا يخرجون عن الماء - كناية عن انهم يقتلون فلا ينجون بسلامة - (ولا يعدون اليه) اذ لوماتوا لا يتمكنون من الذهاب والاياب .

((ومن كلام له عليه السلام))

((لابنه محمد بن الحنفية لما اعطاه الراية - اى العلم - يوم الجمل))
وانما سى ابن الحنفية لان امه امرئة من بنى حنيفة وانما قيل له ذلك ليميز عن اولاد فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، وكان شجاعا محبوبا عند الامام عليه السلام واخوانه .

(تزول الجبال ولا تزل) يعنى يجب ان تكون من الصمود فى مقابل الاعداء حتم .

عَضَّ عَلَى نَاجِدِكَ أَعْرِ اللَّهَ جُمُجُمَتَكَ. تَدُّ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ. أَرَمَ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ، وَغَضَّ بِصْرِكَ، وَأَعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

انك لا تترشح عنهم ، وان زالت الجبال عن مراكزها (عض على ناجذك) النواجذ اقصى الاضراس ، و اذا عض الانسان على اسنانه اشتدت اعصاب رأسه فكان اكثر عزيمة واشد شكيمة (اعر الله) من ((اعار يعير)) اى ابذل بنحو العارية لله (جمجمتك) اى رأسك فانه سبحانه يأخذه هنا ويعطيك هناك ، ومعنى هذا ان يتصمم للقتل (تد) من ((وتد)) اى اثبت الوتد فى الجدار ونحوه (فى الارض قدمك) اى اجعلها كالوتد ، حتى اذا جاءت كتيبة لا تنهزم ، فان الوتد ثابت مهما كان الامر (ارم ببصرك اقصى القوم) اى انظر الى اخر معسكر الاعداء ، حتى تجد فى نفسك العزم على مقاتلة الجمع الكثير ، فان الانسان كلما كان اعرف بكثرة العدو كان اشد عزيمة واكثر قلبا للتقدم و اكثر تقديرا للظروف (وغض بصرك) اى بعد ان نظرت الى اخر القوم ارم بصرك على الارض لئلا يهولنك السيوف والرماح المشرعة نحوك ، وهكذا الانسان ذو العزم الراسخ يقدر مقدار الاعداء ثم يشرع من الادنى فالادنى ناظرا امامه لئلا يضطرب قلبه اذا ابصر غير قدامه (واعلم ان النصر من عند الله سبحانه) و اذا علم الانسان ذلك اشتد قلبه وربط جاشه وتضاعف نشاطه وقدرته .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما اظفروه الله بأصحاب الجمل ، وقد قال له بعض أصحابه : وددت أن
أخي فلانا كان شاهدا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك

فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَهْوَى أَخِيكَ مَعَنَا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَقَدْ
شَهِدْنَا ، وَلَقَدْ شَهِدْنَا ! فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ
النِّسَاءِ ، سَيَرَعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ ،

((ومن كلام له عليه السلام))

(لما اظفروه الله بأصحاب الجمل - بأن غلب عليهم وانهزموا - وقد
قال له بعض أصحابه وددت أن اخي فلانا كان شاهدا - أي يرى
نصرنا عليهم - ليرى ما نصرك الله به على أعدائك ؟)
(فقال له عليه السلام : اهوى اخيك معنا)؟ أي هل ميله ورغبته معنا، وأنه يحبنا و
يكبره أعدائنا؟ (فقال - الرجل - نعم - ٥٠)
(قال) - عليه السلام - (فقد شهدنا) أي حضرنا في الثواب فانه شريك معنا
في الاجر لان الرجل مع من احب (ولقد شهدنا في عسكرنا) أي كان كالحاضر معنا
في الثواب والاجر (هذا) صفه ((عسكرنا)) (اقوام في اصلاب الرجال) جمع صلب
وهو عظم الظهر موضع المني ، كما قال سبحانه ((يخرج من بين الصلب و الترائب))
(و ارحام النساء) المراد بهم الاجنة الذين لم يخرجوا بعد من الرحم (سيرعف
بهم الزمان) أي يخرجهم الزمان الى الوجود ، واصل الرعاف الدم الذي يخرج من
الانف ، فكان الزمان يرعف ورفاهه اولئك المشاركون معنا ، لانهم يهونوا و يحبونا و

وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذم أهل البصرة بعد وقعة الجمل

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ ؛ رَغَا فَأَجَبْتُمْ ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ .
أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ ،

هوائهم معنا (ويقوى بهم الايمان) لانهم ينصرون امير المؤمنين واهل بيته بالقلم و
اللسان وسائر وسائل النصر .



((ومن كلام له عليه السلام))

في ذم أهل البصرة

وذلك بعد وقعة الجمل .

(كنتم) يا اهل البصرة (جند المرأة) يعنى عائشة (واتباع البهيمة) يعنى الجمل ،
فانهم كانوا يتبعون الجمل حيث مال و ذهب وكان الجمل يسمى ب ((عسكرة)) (رغا)
الجمل : وهو صوته (فاجبتم) وقد كنى عن صوت راكبه بصوته — بعلاقة الحال والمحل —
(وعقر) اى قطعت ارجله وجرح (فهربتم) فلا ثبات لكم ، ولا ادراك (اخلاقكم دقاق)
جمع دقيق وهو الدنى اذ الشئ الدقيق لا يستقر على حال ، ولا يتحمل مختلف
الاشياء (وعهدكم شقاق) فانهم عاهدوا الامام عليه السلام على يد واليه (عثمان
بن حنيف) ثم خالفوا فكان عهدكم مخالفة ومشاقة (ودينكم نفاق) تظهرون هنا
وجها وهناك وجها .

(وماؤكم زعاق) اى مالح والماء المالح يؤثر في اخلاق الانسان حرافة وتغتا

وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ ، وَالشَّاهِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ
 مِنْ رَبِّهِ . كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجَوْجُو سَفِينَةٍ
 قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا ، وَغَرِقَ مَنْ فِي ضَمَنِهَا .
 وفي رواية : : وَأَيُّمُ اللَّهِ لَتَغْرُقَنَّ بِلَدَّتْكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا
 كَجَوْجُو سَفِينَةٍ ،

(والمقيم بين اظهركم) جمع ظهر، والمعنى في وسطكم ، فان ظهر الشيء ما يظهر منه
 مقابل البطن المخفي من كل شيء (مرتهن بذنبه) اي انه ملازم للذنب، اذ لا بد
 وان يكتسب من اخلاقهم وصفاتهم ، فهو كالرهن الملازم للشخص مادام العال لم يؤد
 (والشاهص عنكم) اي المسافر عن بلادهم الى غيرها (متدارك برحمة من ربه) قد
 ادركته الرحمة ولذا وفق للفرار منهم ومن بلادهم (كأنى بمسجدكم) وهو مسجد
 كبير بين ((البصرة)) الحالية و((الزبير)) ربما قدر بمائة الف ((متر)) (كجوجو سفينة)
 وهو صدرها الظاهر للابصار من بعيد .

(قد بعث الله عليها) اي على البصرة (العذاب من فوقها) اي الطرف
 الاعلى منها (ومن تحتها) اي من الطرف الاسفل منها، كما قال سبحانه ((اذ جاءكم
 من فوقكم ومن اسفل منكم)) قالوا وقد غربت البصرة مرتين في ايام ((القادر بالله)) و
 مرة في ايام ((القائم بامر الله)) كما اخبر الامام عليه السلام (وغرق من في ضمنها)
 اي في داخل بصرة .

وفي رواية :

(وايم الله) اي قسما بالله فان ((ايم)) بمعنى القسم (لتغرقن بلدتكم) اي
 بصرة (حتى كأنى انظر الى مسجدها) الذى تقدم ذكره (كجوجو سفينة) اي صدر

أَوْ نَعَامَةٍ جَائِمَةٍ .

وفي رواية : كَجَوْجُو طَيْرٍ فِي لُجَّةٍ بَحْرٍ .

وفي رواية أخرى : بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ اللَّهِ تُرْبَةٌ : أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ ،
وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ ، وَبِهَا تِسْعَةُ أَغْشَارِ الشَّرِّ ،

السفينة (أو نعامة جائمة) أى واقعة على وجه الأرض ، فإن شرفات المسجد لعلوها لم
يغمرها الماء بل بقيت ظاهرة .

وفي رواية :

، (كَجَوْجُو طَيْرٍ) أى صدره (فى لجة بحر) أى فى وسطه ، فإن الإنسان يرى
الطير الرابض على ماء البحر والذى يملأ عين الإنسان منه هو الصدر منه . ولعل
الامام عليه السلام قال ذلك مكررا ، فاختلف الروايات حسب اختلاف كلام الامام عليه
السلام ، فإن العادة قد جرت بان الإنسان يذكر الخبر الطريف - تبشيرا وتحذيرا -
مكررا فى كل مناسبة ، والله العالم .

وفي رواية أخرى :

(بلادكم) يطلق البلاد على البلد الواحد باعتبار المحلات (انتن بلاد الله
تربة) وذلك لكثرة البخار المتصاعد من المياه الموجب للرطوبة والعفونة ، بالإضافة
الى ان قرب الأرض من الماء يوجب عفونتها لاحتباس الأبخرة فيها - كما ذكروا فى
كتاب الطب - (اقربها) أى اقرب البلاد (من الماء) لانخفاض مستواها حتى انها
قريبة من مستوى المياه الداخلية و سطح البحر (و ابعدها من السماء) أى من
الرحمة ، أو المراد ((السماء النقى)) فإن الأرض كلما كانت ارفع كانت اقرب الى الهواء
النقى الذى لم تشبه الأبخرة والعفونات ، والمراد بـ ((التفضيل)) النسبى ، لا الحقيقى
كما لا يخفى (وبها) أى فى بلادكم (تسعة اعشار الشر) هذا عدد يقال للمبالغة ،

الْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ ، وَالْخَارِجُ بِعَفْوِ اللَّهِ . كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرِيَّتِكُمْ
هَذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا الْمَاءُ ، حَتَّى مَا يَرَى مِنْهَا إِلَّا شُرْفُ الْمَسْجِدِ ، كَأَنَّهُ
جَوْجُو طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ !

لا للحصر الحقيقي ، والمعنى ان فيها سر كثير .

(المحتبس فيها) اي الباقي - وقد شبه الامام عليه السلام بالمحبوس، لانها
مثل الحبس في رداثتها - مرتين (بذنبه) وحذف ((مرتين)) لدلالة الكلام عليه
(والخارج) منها انما خرج (بعفو الله) فان بقاءه هناك الموجب لتخلفه باخلاقهم
معصية تحتاج الى عفو الله سبحانه للخلاص منها ، ومن هذا يظهر ان قوله عليه
السلام (المحتبس) (٠) يراد به: بأن الباقي، انما احتبس هناك بسبب ذنب صدر منه
(كأنى انظر الى قريتك هذه) والقرية تطلق في مقابل الصحراء ، وان كانت بلدة
كبيرة ، كما قال سبحانه ((وان من قرية الا خلا فيها نذير)) ((اخرجوهم من قريتك))
((قريتك التي اخرجتك)) وكانها سميت قرية لانها ((مقرى)) الضيف (قد طَبَّقَهَا
الماء) اي شملها (حتى ما يرى منها) اي من القرية (الا شرف المسجد) جمع
شرفه وهي ما يبنى في اعالي جدار المسجد للزينة (كانه جَوْجُو طير في لجة بحر)
قد سبق تفسير الجملتين .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في مثل ذلك

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنْ الْمَاءِ ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ . خَفَّتْ عُقُولُكُمْ ،
وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ ، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ ، وَأَكْلَةٌ لِأَكِلٍ ، وَفَرِيسَةٌ لِمَصَائِلٍ .

((ومن كلام له عليه السلام))

قاله عليه السلام ((في مثل ذلك)) لاذم أهل البصرة

(أرضكم) يا أهالي البصرة (قريبة من الماء) لا انخفاض مستواها (بعيدة من السماء) أي الرحمة أو الهواء النقي (خفت عقولكم) تشبيه للعقل بالشئ الخفيف الذي يحركه هبوب الرياح ، في مقابل العقسول الرزينة التي لا تتحرك بادنى حركة وأقل اضطراب وعاصفة (وسفهمت حلومكم) أي أنكم سفهاء لاكمال لعقولكم (فأنتم غرض لنابل) القرض هو الشئ الذي ينصب ليرمى بالسهم ، والنابل الضارب بالنبل وهو السهم ، فانهم صاروا غرضا لطلحة والزبير وعائشة (واكلة لأكلي) يعني أنكم لا حصانة لكم ، حتى أن كل أحد يطمع في أكلكم كلقمة سائغة (وفرسة لمصائل) أي من صال من السباع والفريسة هو الحيوان الصغير الضعيف الذي يفترسه السباع وصال به ، هاجم ووثب بقوة .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان

وَاللَّهُ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ ، وَمُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ ، لَرَدَدْتُهُ ؛
فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً . وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ ، فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ !

((ومن كلام له عليه السلام))

((فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان))

فان عثمان كان قد اعطى بعض اراضي المسلمين لاقربائه ومن اليهم فلما جاء
الامام عليه السلام الى الحكم قطع ايدي اولئك الذين استولوا عليها بامر عثمان ،
وردها للمسلمين كما كانت لهم .

(والله لو وجدتته) اي وجدت المال الذي اقطعه عثمان (قد تزوج به النساء)
بان جعله المعطى له مهرا وتزوج به امرأة (وملك به الاماء) بان اشترى به امسة
(لرد دته) فابطلت كونه مهرا وكونه ثعنا لا شترأ الامة ، والنكاح لا يمنعني من ابقاء
المال المغتصب على غصبيته ، وهذا لبيان ان استحلال الفرج بهذا المال لا يلزم
الاغتصاب فكيف بسائر التصرفات ؟ (فان في العدل سعة) اذ العدل يسع الكل ، و
لا يوجب التخصيص ببعض دون بعض — كما في الظلم — (ومن ضاق عليه العدل
فالجور عليه اضيق) فان الانسان انما يفر من العدل خوف ان لا يرضى به اهـ
المطامع والمطامح ، فاذا جار هذا الانسان ارضا لرغبة اولئك كان الناقون عليه
اكثر ، ويكون هو في ضيق اشد ، كما ان عثمان لما ارضى خاصته ضاق عليه الامر حتى
قتل .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما بويع في المدينة

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةً. وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ. إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ، حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ. أَلَا وَإِنْ بَلَيْتَكُمْ

((ومن كلام له عليه السلام))

((لما بويع في المدينة)) بعد مقتل عثمان

(ذممتي بما أقول رهينة) الذمة هي النفس الملتزمة بشئ ، أي ان نفس مرتبه بصحة ما أقول ، فكما ان الرهينة لا تفك الا بأعطاء المال المقابل لها ، كذلك الذمة لا تفك — ولا يظهر صدق القائل وصحة دعواه — الا بمطابقة كلامه للواقع (وانا به) أي بما أقول (زعيم) أي كفيل بصدق ما أقول — والجملة ان بمنزلة الحلف — ومتعلق الحلف قوله (ان من صرحت له العبر) جمع عبرة ، وهي الموعظة التي تقع في الناس فيعتبر بها غيرهم ، ومعنى تصريح العبرة دلالتها على النتيجة (عما بين يديه من المثالات) بمعنى العقوبات ، أي ان العبر تكشف عن العقوبات التي تقدمت ، ومعنى بين يديه ، ما تقدم على زمانه ، كانه امامه ، ويعبر عن الآثام بـ ((بين اليديسين)) لامتداد الفضاء من ذلك الى بين يدي الانسان .

(حجزته التقوى) أي منعه تقواه — واتقائه عن العذاب — (عن تقحم الشبهات) الشبهة هي ما يشتبه حاله ، فلا يدري احل هو ام محرم ، والتقحم الدخول بلا رؤية ، أي ان العبر أدت الى ان لا يقتحم هذا الشخص في الشبهة ، خوفا من نزول العقاب عليه ، فان الشبهة مظنة الخطيئة (الا) فليتنبه السامع (وان بليتكم) أي ابتلائكم و

قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بُعِثَ اللَّهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وَالَّذِي
بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلَبُنَّ بَلْبَلَةً ، وَلَتُغْرِبُنَّ غَرْبَةً ، وَلَتَسَاطُنَّ سَوَاطِنُ الْقَدْرِ ، حَتَّى
يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ ، وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ
كَانُوا قَصُورًا ، وَلَيَقْصُرَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا سَبَقُوا

اختباركم (قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم) فكما بعث النبي
(صلى الله عليه وآله وسلم) كان موجبا لامتحان العظيم ليظهر المؤمن والكافر والمنافق ،
كذلك اخذ الامام بالزمام اوجب امتحان الناس ، وان ايهم يتبع الحق وايهم يتبع الباطل .
(والذى) اي قسما بالله الذى (بعثه) اي ارسل الرسول (بالحق) اي ارسالا
بالحق ، فلم يكن الارسال بالباطل ، كما رسال الجابرة جلاوزتهم للجور والطغيان
(لتبلبن بلبلة) يقال بلبلت اللسان بمعنى اختطلت اي يخلط بعضهم ببعض ، فان
الاحداث تخلط الناس اعاليهم بادانيهم ، وادانيهم باعاليهم ، او المراد البلبلة في
الكلام .

(ولتغربن غربة) هي نخل الدقيق في الغريال ، كانهم في الاحداث الاتية
ينتخلون فيبقى القوى الايمان ، ويسقط الضعيف الايمان ، وان كان الظاهر استوائهما
او العكس ، قبل الاحداث ، فان الاحداث تظهر جواهر الرجال (ولتساطن سواط
القدر) السوط تحريك ما في القدر بالة و نحوها ، يعنى تكونون هكذا ، (حتى يعود
اسفلكم) جاها ورتبة و دينا (اعلاكم) لما فيه من الجوهر الكامن الذى يرتفع عند الاحداث
(و اعلاكم اسفلكم) لما فيه من الضعف الموجب لسقوطه في الفتن ، كما قال سبحانه
((الافى الفتنة سقطوا)) تشبيه للسقوط المعنوى بالسقوط الحسى (وليسبقن) الى
الجهاد والخير والفضيلة (سابقون) اليها (كانوا) فى السابق (قصروا) فلم يبلغوا
المقادير الممكن لهم (وليقصرن سابقون كانوا سبقوا) اي كان اناس فى زمن الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم وهما بعده سابقون الى الفضيلة والجهاد ، وفى هذا

١٠٢ توضيح نهج البلاغة

وَاللّٰهُ مَا كَتَمْتُ وَشَمَةً ، وَلَا كَذَبْتُ كَذِبَةً ، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ
وَهَذَا الْيَوْمِ . أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَخُلِعَتْ
لُجْمُهَا ، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ . أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلِّلَ ،

الدور يقصرون في العمل، كالزبير الذين كان من السابقين في نصرته الرسول والامام
ثم صار من أعدائه فاورد نفسه النار بذلك .

(والله ما كتمت وشمة) هي الكلمة، أي لم اكنم شيئا من الحق، بل اظهرت
الحق كما هو فقد كان عليه الصلاة والسلام هاديا الى الحق امارا بالمعروف نهيا
عن المنكر (ولا كذبت كذبة) واحدة ابداء فقد كان عليه السلام صريحا غير مجامل في
الحق ولا مدهن في العدل (ولقد نبئت) أي اخبرت، والمخير له هو الرسول صلى
الله عليه وآله وسلم (بهذا المقام) الذي اقوم فيه لبيعتمكم (وهذا اليوم) الذي
تبايعونني فيه، وكان الامام عليه السلام اراد بهذا قطع السبيل على الذين يريدون
منه المواربة والمداجات كما اعتادوه عن سلفه، ثم بين عليه السلام ان المخالف له
انما يعصى الله سبحانه، فاللزم ان يأخذ بزمام نفسه لئلا يقع في الخطاء (الا)
فليتنبه السامع (وان الخطايا) جمع خطيئة وهي المعصية سميت بها لان الانسان
يأتي بها غلطا، والا فالعاقل لا يعفل ما يضره .

(خيل شمس) جمع شمس، وهي الفرس التي تمنع ظهرها عن الركوب، وتقحم
في المهالك (حمل عليها) أي على تلك الخيل - وهو اسم جنس - (اهلها)
أي اهل الخطايا والذنوب، تشبيه للمذنب براكب الفرس الشموس التي لا يأمن الانسان
منها (وخلعت لجمها) أي افلقت من يد الراكب لجامها الحافظ لها عن تقحم المهالك
(فتقحمت بهم في النار) أي ادخلتهم فيها (الا وان التقوى مطايا) المراد به ((التقوى))
الجنس ولذا وصف بالجمع بقوله ((مطايا)) جمع ((مطية)) وهي المركوب، كما قالوا
((اهلك الناس الدرهم البيض والدينار الصفر)) (ذلّل) جمع ذليل، فان التقوى

حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَأَعْطُوا أَرْزَمَتَهَا ، فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةُ . حَقٌّ وَبَاطِلٌ ،
وَلِكُلِّ أَهْلٍ ، فَلَيْتَنَ أَمْرَ الْبَاطِلِ لَقَدِيمًا فَعَلَ ، وَلَيْتَنَ قُلَّ الْحَقِّ فَلَرُبَّمَا وَ
لَعَلَّ ، وَلَقَلَّمَا أَذْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ !

تفنع الانسان عن المهالك ، بعكس الخطايا فانها توردها فى المهالك ، ولذا شبهت
الخطايا بـ ((الشمس)) والتقوى ، بـ ((الدليل)) .

(حمل عليها) أى على تلك العطايا (اهلها) أى اهل التقوى (واعطوا ازممتها)
جمع زمام ، فان الانسان الذى اعطى زمام الخيل حفظها عن السرعة والحركة غير
المرغوبة ، وهكذا التقوى كالمطية التى بيد الانسان زمامها (فاوردتهم الجنة) فى سير
مريح ، وهذا تحريض على اجتناب المعاصى والاثام والتزام التقوى فى الامور (حق
باطل) فان الله سبحانه حيث جعل الدنيا دار اختبار اسلس قياد كل من الحق
والباطل ليختبر فيها الناس كما قال سبحانه ((انا هديناه السبيل اما شاكرا واما
كفورا)) (ولكل اهل) فبعض يختار الحق وبعض يختار الباطل (فلئن امر الباطل)
اى تسنم مقام القيادة والامر والنهى (لقديما فعل) اى فعل الباطل قديما ذلك
حيث كان الباطل من قديم الزمان يأخذ بزمام الامر والنهى (ولئن قل الحق) اى
اتباعه (فلربما) يغلب الباطل مع قلته (ولعل) ياتى يوم يغلب الحق الباطل ، كما
قال سبحانه ((كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله)) (ولقلما اذبر شئ فاقبل)
هذا استبعاد منه عليه السلام ان يعود الحق الى نصابه كما كان فان الشئ اذا اذبر
كان بسبب ذهاب مقوماته ، ومع ذهاب المقومات لا يعود كما كان ، وكان هذا اشارة
الى ما وقع فعلا من عدم رجوع الناس الى سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

أقول : ان فی هذا الكلام الادنی من مواقع الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان وان حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ولا يتطلع فجبها انسان و لا يعرف ما أقول الا من ضرب فی هذه الصناعة بحق وجری فیها على عرق ((وما يعقلها الا العالمون))



مرکز تحقیقات علوم اسلامی

وَمِنْ هَذِهِ الْخُطْبَةِ

شُغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ ! سَاعٍ سَرِيعٍ نَجَا ، وَطَالِبٌ بَطِيءٌ
رَجَا ، وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى . الْيَمِينُ وَالشَّمَالُ مَضَلَّةٌ ، وَالطَّرِيقُ الْوَسْطَى

((ومن هذه الخطبة))

اي من جملة هذه الخطبة تقسيم الناس الى ثلاثة اقسام

(شغل من الجنة والنار امامه) اي ان الانسان الذي يعلم بان امامه احد
الامرئين : الجنة او النار ، يشتغل بذلك عن غيره ، فانه لا بد وان يعمل ليل نهار
لتحصيل الجنة والابتعاد عن النار ، وشغل مبنى للمفعول ، ونائب الفاعل له ((من))
والجملة اما اخبارية ، او انشائية بمعنى ان اللازم ان يعمل الانسان دائم الاوقات
للاخرة ، لان امامه اما جنة واما نار فلا مجال له للاشتغال بامور الدنيا .

ثم اخذ الامام عليه السلام يقسم الناس الى ثلاثة طوائف (ساع سريع نجا) اي
اسرع في السير الى رضوان الله سبحانه نجا بنفسه وفاز بالجنة ، واصل ((ساع))
((ساعي)) وحيث كانت الضمة ثقيلة على الياء حذفت ، فالتقى الساكنان فحذف الياء
لدلالة الكسرة عليها ، واتصلت التنوين بالعين فصار ((ساع)) (وطالب) لرضوان الله
وجناته (بطيء) في سيره فمرة يعمل بالخير ومرة بالشر (رجا) اي رجا الثواب و
الجنان (ومقصر) في العمل (في النار هوى) اي سقط لانه لم يعمل بالواجب ولم
يترك المحرم (اليمين والشمال مضلة) اي ان ما زاغ عن جادة الشريعة نحو
الافراط او التفريط ، ضلال وانحراف عن الحق كالطرفين في الطريق اذا سلكهما
الانسان ضل وحاد عن الجادة الموصلة (والطريق الوسطى) صفة الطريق ، لانها

هِيَ الْجَادَةُ ، عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَآثَارُ النُّبُوَّةِ ، وَمِنْهَا مَنَفَذُ السُّنَّةِ ،
وَالْيَسَارَةُ مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ . هَلَكَ مَنْ أَدْعَى ، وَخَابَ مَنْ أَفْتَرَى . مَنْ أَبْدَى
صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ . وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا إِلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ . لَا يَهْلِكُ
عَلَى التَّقْوَى سِنْخٌ أَصْلٌ ،

مونث ساعى (هى الجادة) الموصلة الى الهدف .

(عليها) اى على الجادة (باقى الكتاب وآثار النبوة) اى الكتاب الباقي ، واثار
الانبياء ، فكان الكتاب وآثار النبوة سارا على ذلك فمن سار فى الجادة كان تابعا
لها (ومنها) اى من الطريق الوسطى (منفذ السنة) اى ان سنة الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم تنفذ وتسير من الجادة ، وتصل للهدف ، فالسائر فى الجادة سائر
على منهاج السنة (واليها) اى الى الجادة (مصير العاقبة) اى ان العاقبة
المحمودة للانسان تصير الى الجادة ، اما من كانت عاقبته سيئة فانه يخالف الجادة
حتى يصل الى تلك العاقبة السيئة (هلك من ادعى) انه على الحق وهو يسير فى
اليمن والشمال (وخاب) اى خسر (من افترى) وكذب بنسبة اليمن والشمال ،
الى الله سبحانه ، كاهل الاهواء الباطلة الذين ينسبون اعمالهم المنحرفة الى الله
سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

(من ابدى) اى اظهر (صفحة) اى صفحة وجهه (للق) اى من بارز الحق
صريحا ، فان العدو يبدي صفحة وجهه لعدوه (هلك) لان الحق يحطمه ويهلكه
(وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره) فان الانسان له قابلية ان يسير فى مراقى
السعادة حتى يكون اعظم السعداء فى الدنيا وعظيم الحظ فى الآخرة ، وهذا
هو قدر الانسان ، فاذا لم يعرف الانسان قدر نفسه ضاعها والحق بها الشقاوة فى
الدنيا والآخرة ، واى جهل اعظم من هذا الجهل الموجب لخسارة الدنيا والآخرة
(لا يهلك على التقوى سنخ اصل) السنخ النبت ، اى ان اصل نبات الانسان لا

وَلَا يَظْمَأْ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ . فَاسْتَتَرُوا بِبُيُوتِكُمْ ، وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وِرَائِكُمْ ، وَلَا يَحْمَدُ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَلُمُ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ .

يهلك اذا كان مقتربا بالتقوى ، كما لا يفسد اصل نبات الاشجار اذا وفرت له الارض الصالحة والماء والهواء والضياء (ولا يظما عليها) اي لا يعطش اذا كان مقتربا بالتقوى (زرع قوم) فالاعمال الخيرية اذا كانت بدون تقوى صاحبها عطشت عطشا يوجب فسادها ، فان الله انما يتقبل من المتقين ، اما اذا كانت مقتربة بالتقوى لم تعطش بل بقيت ريانة غير فاسدة ولا ذابلة .

(فاستتروا ببيوتكم) اي الزموا البيوت ، ولا تعرضوا انفسكم لمقابلة الحق ، كما هو العادة في ايام الاضطراب والفوضى ، من ان ضعفاء الايمان يسيطرون عليهم قادة الباطل ، فيبدون صفحتهم للحق وفي ذلك هلاكهم (واصلحوا ذات بينكم) فكأن الصلة شئ بين الطرفين ، اذ صارت بينهما منافرة ، فسدت ، واصلاحها ارجاعها الى نصابها الصالح الموجب للسعادة والالفة (والتوبة من ورائكم) تتمكنون من الاتصال بها ، كما ان من وراء الانسان يتمكن الفساد من الاتصال به ، وهذا كناية عن عدم قوت محل التوبة (ولا يحمد حامدا لربه) اذ جميع النعم منه تعالى ، والمراد ان اصل الحمد مربوط به وان كان اللازم ان يشكر الانسان وسائط النعم كما قال سبحانه ((ان اشكر لى ولوالديك)) (ولا يلوم) من لام يلوم (لائم الا نفسه) والمراد لزوم اشتغال كل انسان بعيوب نفسه عن عيوب الآخرين ، وقد اجاد الشاعر في قوله :

لسانك لا تبدى به سوءة امرء فكلك سؤات وللناس السن
وعينك ان اهدت اليك معائبها من الناس قل ياعين للناس عين

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل
 إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ ،
 فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامٍ بِدْعَةٍ ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ ،

((ومن كلام له عليه السلام))

((في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل))

(ان ابغض الخلائق) جمع خليفة ، ولعل التأنيث باعتبار كونها صفة للنفس
 (الى الله) والاتيان بـ ((الى)) لان السوء الموجب للبغض والعداوة - عند الله
 سبحانه - يبتدء من الانسان ، وينتهي اليه سبحانه ، كما قال تعالى : ((اليه يصعد
 الكلم الطيب)) (رجلان) اي صنفان من الرجال .

(رجل وكله الله الى نفسه) فان الانسان اذا رأى الهدى فلم يتبعه تركه سبحانه
 وشأنه ولا يلطف به الا لطف الخفية الموجبة لعونه ومدده ، كما ان الاب اذا عرض
 ولده عن اطاعته ، تركه وشأنه لا يابه به ولا يعتنى بامره ، وكان المراد بهذا الصنف
 الحكام ، الجائرون ، والمراد بالصنف الثاني العلماء الضالون المضلون .

(فهو جائر) اي مائل (عن قصد السبيل) اي وسط الطريق الموصل الى الهدف
 (مشغوف بكلام بدعة) اي مولع به ، قد بلغ حبه شغاف قلبه ، وهو غلافه ، كما قال سبحانه
 ((قد شغفسها حيا)) (ودعاء ضلالة) فهو يتكلم بما هو بدع - اي جديد - في الدين
 ويدعوا الناس الى الضلالة ، ك معاوية مثالا الذي كان يتكلم بما ابدع لا بما سنه الرسول
 صلى الله عليه وآله وسلم ، ويدعوا الناس الى نفسه وضلالاته ، لا الى الحق واهله

فَهُوَ فِتْنَةٌ مِنْ أَفْتَتَنَ بِهِ ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيٍ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، مُضِلٌّ لِمَنْ
أَقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ .
وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا ، مُوضِعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ

(فهو فتنة) أي موجب لامتحان (من افتنن به) وتعلق بأعماله وأقواله ، والفتنة هي ما توجب تحريف الإنسان عن جادة الهدى إلى الضلالة (ضال عن هدى من كان قبله) أي قد ضل الطريق فلم يسر على طريق من قبله من الصالحين (مضل لمن اقتدى به) واتبعه (في حياته وبعد وفاته) فإن من يرسم طريق الضلالة يوجب اضلال الناس سواء كان المضل حيا أم ميتا (حمل خطايا غيره) أي انه كثير الحمل لخطايا الذين اتبعوه ، فإن من سن سنة سيئة كان له وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة (رهن بخطيئته) أي انه مرتهن بعصيانته معاقب عليه وليس مطلقا ليرتقى في مراقى السعادة والكمال .

(ورجل) وهو الصنف الثاني ، وهم العلماء الضالون المضلون ، فإن هاتين الطائفتين هما الحكام على الأبدان والعقائد ولذا قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ((طائفتان في امتي إذا صلحتا صلحت امتي وإذا افسدتا فسد امتي : العلماء والامراء)) وذلك لان الناس تابعون لمجرى حياتهم ومجرى تعليمهم - لان الاول يؤمن ابدانهم والثاني عقائدهم - فاذا فسد احدهما فسد الناس واذا صلح صلح الناس (قمش) أي جمع - واصل القمش جمع التفرق - (جهلا) فمثلا قال بعدم عدالة الله كما يقول الاشعري ولعدم حشر الاجساد كما يقول الفلاسفة غير المتألهين ، وهكذا فما جمعه انما هو جهل ، لا علم (موضع في جهال الامة) ((موضع)) اسم فاعل من اوضع بمعنى اسرع ، كما قال سبحانه ((لا تضعوا خلالكم)) أي مسرع بالافساد في جهال الناس ، فانهم هم الذين يفسدون بفساده .

عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ ، عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ ؛ قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ
عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ ، بَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ ؛ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ ،
حَتَّى إِذَا أَرْتَوَى مِنْ آجِنٍ ، وَاکْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ ، جَلَسَ بَيْنَ
النَّاسِ قَاضِيًا

(عاد) من ((عدا يعدو)) بمعنى أسرع، أى مسرع (فى اغباش الفتنة) جمع ((غباش))
بالتحريك، بمعنى الظلمة، أى انه يسرع فى ظلمات الفتن، بخلاف العاقل فانسه لا
يذهب فى الفتنة بل يتنحى عنها لئلا تصيبه بظلماتها واثامها (عم) صفة مشتقة من
((العمى)) (بما فى عقد الهدنة) فالهدنة والمسالمة بين الناس - التى يعقدها
العقلاء - ذات منافع جمة ومثل هذا الشخص جاهل بما فيه من المصالح، ولذا يسعى
للاضطراب والفتن، وهذه حقيقة يشاهدها الانسان فى الظروف الامنة، فان امثال
اولئك الجاهل يسعون لتحطيمها بظن أن التحطيم يحسن الحال غافلين عن أن
الهدنة والمسالمة لا تعقدان الا بشق النفس وبصعوبات جمة، وانها اذا هدمت
ساد الفوضى والاضطراب .

(قد سماه اشتباه الناس) الذين هم فى صورة الناس، وليس لهم حقيقة الانسانية
لعدم انطوائهم على العلوم والمعارف ولا يميزون بين الصالح والطالح والصحيح
والفاسد (عالماو) الحال انه (ليس به) أى ليس بعالم وانما جاهل فى صورة عالم
(بكر) أى اصبح (فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر) فان مثل هذا العالم شكلا،
يأتى كل صباح ليحفظ ويتلقى دروسا من الاضاليل والاباطيل (حتى اذا ارتوى) أى
امتلاء كالعطشان الذى يرتوى من الماء (من آجن) هو الماء المتعفن المتغير طعمه
ولونه (واكتنز) أى جمع فى نفسه ما عده كنزا من العلوم (من غير طائل) أى بدون
فائدة لانه شئ خسيس حقير، فقد جمع اقوالا فارغة وادلة وهمية، واحاديث موضوعية
وما اشبه ذلك (جلس بين الناس قاضيا) ليقضى بينهم فى امور الحلال والحرام و

ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ
هَيَّا لَهَا حَشْوًا رَثًا مِنْ رَأْيِهِ ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي
مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ : لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ ، فَإِنْ أَصَابَ خَافَ
أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ . جَاهِلٌ
خَبَاطُ جَهَالَاتٍ ، عَاشَ

الدعاوى والمرافعات .

(ضامناً لتخليص ما التبس على غيره) فان الذى يجلس مجلس القضاء والافتاء كان
أظهراً للضمان ذلك ، ومعنى ((تخليص ما التبس)) انه يظهر الحق ، ويخلصه من بين
المشتبهات والم احتملات (فان نزلت به احدى المبهمات) اى جائته احدى القضايا
المبهمة المشكلة (هيأ لها) اى لحل تلك المبهمة (حشوا) اى كلاماً زائداً فارضاً ،
فان الحشو هو الزائد الذى لا فائدة فيه (رثاً) اى بالياء ، ضد الجديد (من رأيه) كما هو
العادة فى الجهال انهم يهينون كلاماً كثيراً فى المشكلات للحفاظ على كيانهم امام
الناس (ثم قطع به) اى بذلك المهيئ البالى ، وجعله المطلب المقطوع به المصاب
لكبد الحقيقة (فهو) اى هذا الشخص (من لبس الشبهات) والشك والالتباس فيها
(فى مثل نسج العنكبوت) و هو بيتها ، يعنى انه شاك فى نفسه لا يعلم ان حكمه
صحيح او باطل .

(لا يدري اصاب ام اخطأ) لانه يعلم ان ادلته واهية وانه لعقها تلفيقاً (فان
اصاب) الواقع فى حقيقة الامر (خاف ان يكون قد اخطأ) لانه لا يعلم الصواب والخطأ
عن دليل ومستند (وان اخطأ) فى الواقع (رجا) فى نفسه (ان يكون قد اصاب) و
هذا تمثيل بليغ لحال الجهلاء المتعرضين للفتوى والقضاء (جاهل) بنفسه و ان
تترى بزي اهل العلم والقضاة (خباط جهالات) يقال ((خبط)) اى سار فى الليل على
غير هدى ، اى انه يسير فى الجهالات بدون دليل ومرشد (عاش) هو الذى ضعف

رَكَابُ عَشَوَاتٍ لَمْ يَعْصُ عَلَى الْعِلْمِ بِصُرْسٍ قَاطِعٍ يَذُرِي الرُّوَايَاتِ
أَذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ لَا مَلِيَّ - وَاللَّهِ - بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَلَا هُوَ
أَهْلٌ لِمَا فُوضَ إِلَيْهِ لَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مَّا أَنْكَرَهُ ، وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ
مَا بَلَغَ مَذْهَبًا لِغَيْرِهِ ،

بصره حتى لا يميز بين الامور و انما يرى الاشباح (ركاب عشوات) جمع ((عشوة)) مثله
الاول ، وهى ركوب الامر على غير هدى ، اى انه يركب الامور و يفتنى بها بدون هداية
و دليل (لم يعص على العلم بصرس قاطع) فان الانسان اذا اراد اختيار ((عود))
انه لين او صعب ، عض عليه فيعرف حقيقته ، والجازم فى الامور العالم بها كذلك
بخلاف الجاهل الذى لا يدرك حقيقة الاشياء اذ لا يقدر على العض الكامل الشديد
ليختبر الامور .

(يذرى الروايات) اى يطرحها (اذراء الرياح الهشيم) الهشيم ما ييبس من النبات
و تفتت اى كما ان الرياح تنشر و تفرق الهشيم كذلك هذا الجاهل يطرح ما روى عن
الرسول صلى الله عليه و آله وسلم لانه يعتمد على رأيه لا على الروايات (لا ملئى)
الملئى هو الذى يحسن القضاء و يجيده و هذا الناصب نفسه للقضاء ليس مجيداً
(- و الله - باصدار ماورد عليه) اى بان يحكم فى القضية بما هو الحق ، حتى تصدر
القضية عنه و قد بلغت نصابه من الحق و اعطيت حقها من الفصل و الحكم (ولا هو
اهل لما فوض اليه) اى للقضاء الذى فوضه الخليفة اليه ، فقد كان القضاة فى زمان من
تقدم على الامام كذلك فانهم بمجرد ان تعلموا بعض روايات الرسول صلى الله عليه و
آله وسلم او صحبوه اياماً قلائل كانوا يعينون قضاة بلا علم و معرفة (لا يحسب العلم
فى شئ مما انكره) اى انه اذا لم يعرف شيئاً يزعم انه ليس بعلم ، وان العلم منحصر
فيما عرفه وهكذا شأن الجهال دائماً يظنون ان ما لديهم هو العلم ، فقط ، دون ما لدى
سواهم .

(ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهباً لغيره) فيزعم ان المذهب الحق هو ما ذهب

وَلَا أَنْظَلَمَ أَمْرًا أَكْتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ ، تَضَرُّخٌ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءَ ، وَتَعَجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ . إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهْلًا وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا ، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلَّى حَقَّ تِلَاوَتِهِ

اليه فكل ما ذهب اليه غيره مما وراء رأيا قيمة لمولا ثمن لم ينظره (وان اظلم امر اکتتم به) ((اظم امر)) بمعنى انه جهله حتى كان الامر في ظلمة فلا يرى ، يعنى انه اذا لم يعرف شيئا كتبه وستره ، كما هوشان الجبال ذوى الاتفة ، بخلاف العلماء الراسخين الذين يبحثون ويستلون عما لا يعلمونه ، ولذا قالوا ((اذا رأيت العالم يكثر من قولة لا ادرى فاقربوا اليه ، فانه عالم ، متقى)) (لما يعلم من جهل نفسه) فانه يظن ان لو اظهر جهله بعدم اطلاعه على المسألة الفلانية تبدل رأى الناس في كونه عالما فان الانسان الفارغ يخاف ان يظهر للناس امره بخلاف العالم فانه وزين بما لديه ولذا لا يخشى .
(تصرخ من جور قضائه الدماء) يعنى ان الدماء التى يريقها فى الحدود و الديات التى حكم فيها بغير حق تصرخ الى الله سبحانه للانتقام منه ، وهذا كناية عن بطلان احكامه فى الدماء (وتعج منه المواريث) العجيج رفع الصوت ، اى ان المواريث التى يحكم فيها بغير ما انزل الله ترفع صوتها شاكية الى الله سبحانه ، بانه جار فيها واعطاها غير اهلها ، وحرّم اهلها ، والمواريث جمع ميراث (الى الله اشكوا من معشر) اى جماعة ، وتسمى الجماعة معشرا ، لمعاشرة بعضهم لبعض (يعيشون جهالا) اى جاهلين بالاحكام والسنة (ويموتون ضلالا) جمع ضال ، اى انهم ضالون الى حين المعاة لا يهتدون الى السبيل حتى يموتوا بتلك الحالة (ليس فيهم سلعة) اى متاع (ابور) اى اكثر كسادا ، من ((بارت السلعة ، اذ كسدت)) (من الكتاب اذا تلى حق تلاوته) اى عمل به كما ينبغى العمل به ، وانما جئ بلفظ ((التلاوة)) لانها طريق الى

وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقَ بَيْعًا وَلَا أَغْلَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ،
وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَلَا أَعْرَفٌ مِنَ الْمُنْكَرِ !

ومن كلام له عليه السلام

في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

تَرِدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ،
ثُمَّ تَرِدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى

العمل

(ولا سلعة انفق بيعا ولا اغلى ثمن من الكتاب اي القرآن الكريم) اذا حرف عن مواضعه اي فسر بغير معناه ، ولذا يرى الانسان كل ذي مبدع باطل يأخذ بايعة يفسرها كما يشاء ثم هي عنده افضل شيء ، واذا افسرت كما هو ظاهره كانت باثرة يهرب صاحب ذلك المبدع منها (ولا عندهم انكر) اي اكثر انكارا (من المعروف) فانهم ينكرون المعروف لانه يصادم مصالحهم (ولا اعرف من المنكر) لانه يوافق مآربهم وامورهم .

((ومن كلام له عليه السلام))

((في ذم اختلاف العلماء في الفتيا))

فلقد كان اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - غالبا - يعملون بآرائهم في الامور لقلّة ما حفظوه من الروايات ، واذا قيل للخليفة بذلك صوب آرائهم جميعا لانه هو الاخر ، يعمل بالرأى ويوصى قضاؤه وولاته بالعمل بالرأى .

(ترد على احد هم) اي على احد القضاة او العلماء (القضية في حكم من الاحكام) الشرعية سواء كانت مرتبطة بالقضاء او بغير القضاء (فيحكم فيها) اي في تلك القضية (برأيه) وحسب فكرته غير المستقاة من الكتاب والسنة (ثم ترد تلك القضية بعينها) لتأكيد كون القضية الثانية مثل القضية الاولى في جميع الجهات (على

غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ
الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً - وَاللَّهُمَّ وَاحِدٌ ! وَ
نَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ أَفْأَمَرَهُمُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - بِالْإِخْتِلَافِ
فَأَطَاعُوهُ ! أَمْ نَهَاَهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً
فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ !

غيره) أي غير ذلك القاضي الأول (فيحكم فيها) أي في تلك القضية (بخلافه) أي
بخلاف حكم القاضي الأول (ثم يجتمع القضاة بذلك) الحكم، في تلك القضية (عند
الإمام الذي استقضاهم) أي طلب منهم أن يكونوا قضاة (فيصوب آرائهم جميعاً) فانه
يحكم بأن كل أولئك مع اختلافهم، على صواب وسداد، وهذا هو الفرق بيننا نحن
- الشيعة - وبين السنة، فان نقول بأن حكم الله واحد، وان من أصابه فقد أصاب
الحق، ومن لم يصبه فقد أخطأ، لكنه معذور اذا لم يقصر في المقدمات بخلاف
السنة القائلين بأن المجتهدين المتخلفين على صواب كلهم، وان تناقضوا في الآراء
والفتاوى .

ثم يتعجب الإمام من انه كيف يمكن ان تكون آرائهم جميعاً على صواب (واللهم
واحد) الواو للحال (ونبيهم واحد) هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (وكتابتهم
واحد) هو القرآن، فلو كان احد هذه الثلاثة متعدداً امكن الاختلاف، لكن مع
الوحدة لا يمكن الاختلاف (أفأمرهم الله - سبحانه - بالاختلاف) أي اختلاف بعضهم
مع بعض (فأطاعوه)؟ هذا استفهام انكاري فان الله لم يأمر الا بالتحاد والائتلاف
لا بالاختلاف والتعدد في الفتيا (ام نهاهم عنه فعصوه)؟ ولم هذا العصيان بعد
النهي؟ قال سبحانه ((ولا تكونوا كالذين اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم)) (ام انزل
الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم) أي بهولاء القضاة (على اتمامه)؟ بان يقولوا من عند
انفسهم، ولذا استغنوا عن الكتاب والسنة باجتihad آرائهم، ومعلوم ان السراى

أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ ، فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًا فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : « مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » وَفِيهِ تَبْيَانٌ
لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَ

يختلف باختلاف اصحاب الرأي .

(ام كانوا) هؤلاء القضاة (شركاء له) اي لله سبحانه (فلهم ان يقولوا) ما شائوا
(وعليه) تعالى (ان يرضى) ؟ كما هو حال الشريك مع شريكه اذ كل واحد لا بد
وان ينفذ آراء شريكه ، والا انفسخت الشراكة بينهما (ام انزل الله سبحانه ديناً
تاماً فقصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن تبليغه) للناس (وادائه) اي اعطاء
ذلك الدين (اليهم) اي الى الناس ؟ ولذا لما وصل بيد الناس دين ناقص يحتاج
الى الاتعام ، واداء القضاة بمنزلة المتعم له ، ولكن هذا خلاف القرآن الحكيم
(والله سبحانه يقول) ما يرد هذا الزعم (ما فرطنا في الكتاب من شيء) اي ما قصرنا
في القرآن من امر يحتاج اليه الناس ، فان الكتاب قد بين الخطوط العامة لما
يحتاج اليه الناس في امور دينهم ودنياهم ، وقد شرح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
آله وسلم بما كفى الامة ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ((ما من شيء يقربكم الى
الجنة ويبعدكم من النار الا وقد امرتكم به وما من شيء يقربكم الى النار ويبعدكم
عن الجنة الا وقد نهيتكم عنه)) .

وقال تعالى (فيه) اي في القرآن (تبیان كل شيء) اي بيان كل ما يحتاج الناس
من الخطوط العامة لامور دينهم ودنياهم ، فاصول التوحيد والعدل والمعاد
والرسالة ، والعبادات والمعاملات والفضائل وما اشبه موجودة في القرآن الحكيم
(و) لا تناقض في القرآن حتى يقول كل صاحب رأى انا اخذت بطرف منه وجانب

ذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ
سُبْحَانَهُ : « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا »
وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ ، وَلَا
تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ ، وَلَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتُ .

مما بين فيمكن أن يكون ذلك منشاء الاختلاف فقد (ذكر) سبحانه (أن الكتاب يصدق بعضه بعضا)
لا انه يناقض بعضه بعضا (وانه لا اختلاف فيه) أي في الكتاب (فقال سبحانه)
بهذا الصدد (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فان اعظم المنكرين
لا يمكن أن يولف كتابا في ظرف ثلاث وعشرين سنة ، ويطرأ عليه مختلف الاحوال و
الاطوار العجيبة ، ومع ذلك يأتي بالكتاب الذي الفه في اسلوب واحد ونسق واحد
بلا اختلاف وتناقض وتهافت .

وقد زعم من لا خبرة له ولا معرفة له بالتفسير ، ان هذا التحدى منظور فيه ،
اذ نرى كثيرا من الكتب لا اختلاف فيها ؟ وهذا زعم الجاهل ، فان الآية تقول :
(لو كان القرآن)) — والمراد بظروفه وملابساته — لا ان المراد كل كتاب ولو ذو
عشرين صفحة واللفه انسان في نصف يوم ١٠٠ اذاً فالقرآن لا نقص فيه — كما ذكر ذلك
في الآية الاولى — وقد اوضح كلشئ توضيحا — كما ذكر ذلك في الآية الثانية — ولا
يخالف بعضه بعضا — كما ذكر ذلك في الآية الثالثة — وما هذا شأنه لا يمكن ان
يسند الخلاف اليه ، ومع ذلك كله فالقرآن ذو روعة خاصة وروح عجيبة اخاذه
(وان القرآن ظاهره انيق) حسن معجب بانواع البلاغة والبيان والاسلوب الحسن
والانسجام المدهش ، يقال آتقنى الشئ أي اعجبني (وباطنه عميق) فلا يدرك
اسراره الا الراسخون في العلم ، كالبحر الذي لا يدرك ما فيه الا الغواص الماهر .
(لا تنفى عجائبه ولا تنقض غرائبه) فقد اضى الله سبحانه عليه حالة جدة بحيث كلما
طالع ما لسان وتلاه رآه عجيبا مدهشا (ولا تكشف الظلمات) أي ظلمات المناهج في

الحيات (الابه) اى بالقرآن فانه هو الذى يقرر برامج الحيات السعيدة التى تنجى الانسان من ظلمات العقائد والعادات والاخلاق والاعمال وما الى ذلك ، فان الانسان بدون القرآن فى ظلمة الجهل لا يعرف الطريق الى العقائد الحقه ، و الاعمال الحسنه ، والفضائل ، والاحكام الصحيحة ، واذا كان معه القرآن اهتدى الى كل ذلك وتبدد الظلام بنور القرآن الحكيم ، فان قلت كيف اختلف العلماء عندنا ، فى بعض الاحكام ؟ قلت ذلك اختلاف فى فهم الكتاب والسنة لا اختلاف فى الاداء ، بدون استناد الى كتاب وسنة ، بالاضافة الى ضياع كثير من السنة عندنا ولو وصلت اليها السنة كما كانت فى زمان الامام ، او فى زمان اولاده الطاهرين لم يكن اختلاف .



مركز تحقيقات كليات علوم اسلامی

٢٠ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب ، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه عليك لا لك ، فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال :

ومن كلام له عليه السلام

(قاله للأشعث بن قيس ، وهو على منبر الكوفة يخطب ، فمضى في بعض كلامه شيء ، اعترضه الأشعث ، فقال يا أمير المؤمنين : هذه عليك لا لك ، فخفض عليه السلام إليه بصره ، ثم قال عليه السلام)

قالوا : كان أمير المؤمنين عليه السلام يتكلم في أمر الحكمين ، فقام رجل من أصحابه ، وقال نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها ، فلم ندر أي الأمرين أرشد ؟ فصفق عليه السلام باحدى يديه على الأخرى وقال هذا جزاء من ترك العقدة ، وأراد بذلك أن تحكيم الحكمين كان جزائكم حيث تركتم معقد الأمر وهو خلافته عليه السلام ورضيتم بالتحكيم الذي لا يدرى ما عاقبته ، فظن الأشعث أن الإمام أراد بذلك جزاء نفسه ، حيث حارب القوم ، فقال الأشعث قوله مریدا بذلك أن هذا الكلام في ضررك يا أمير المؤمنين لا في نفعك ، فقال الإمام : ما يدريك . وهنا قول آخر ذكره ابن ميثم ، لكن ما ذكرناه هو الأظهر والله العالم .

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي ، عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ ! حَائِكُ
أَبْنُ حَائِكِ ! مُنَافِقُ ابْنُ كَافِرٍ ! وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ
أُخْرَى !

(ما يدريك) يا اشعث (ما على مما لي) ؟ فانك لم تفهم الكلام حتى تعرف
هل انه في ضررى او نفعى (عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين) وقد كان اشعث هذا
منافقا ، واشترك - اخيرا - هو في قتل الامام ، في مؤامرتة مع ابن ملجم ، كما
اشتركت ابنته ((جعدة)) في قتل الامام الحسن عليه السلام ، باسقائه السم الذى
بعثه اليها معاوية ، واشترك ابنه ((محمد)) بن الاشعث في قتل الامام الحسين
عليه السلام يوم عاشوراء ، فقد كان من قواد جيش ابن سعد (حائك ابن حائك) اما
حقيقة بان كان هو وابوه حائكا ، فقد كان اهل اليمن يحيكون الاثواب ، او مجاز
يراد به نقصان العقل ، فان الحائك حيث انه مشغول بالحياكة طول وقته يجمد فكره
على جهة خاصة ولا يتسع افق عقله ، ولذا لا يكون له دقة سائر الناس المطلقى
الآفاق ، ولذا ورد نقصان عقل الحائك ، هذا بالاضافة الى ان حركات بدن
الحائك في حال الحياكة توجب خفه فيه .

(منافق ابن كافر) فقد كان اشعث منافقا في اصحاب الامام عليه السلام كما كان
عبد الله ابن ابي منافقا في اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يظهر كل
منهما الولاء ، ويبطنان العداء وكان ابو الاشعث كافرا (والله لقد اسرك الكفر
مرة (و) اسرك (الاسلام) مرة (اخرى) فقد وقع بين طائفتين من الكفار مقاتلة فغلب
الجانب الاخر واسروا في جملة اسراهم الاشعث ، وارتد الاشعث بعد موت
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقاتله المسلمون وغلّبوا عليه واسروه الى ابي بكر
ثم عفا عنه ، وتفصيل ذلك كما ذكرنا : ان قبيلة مراد قتلت قيسا الاشج ابا الاشعث

فَمَا فِدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسْبُكَ ! وَإِنَّ أَمْرًا دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ
السَّيْفَ ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ ،

فخرج الأشعث طالبا بثأر أبيه ، فخرجت كعدة متساندين الى ثلاثة الوية ، على
احدها كبش ابن هاني ، وعلى احدها القشعم بن الأرقم وعلى احدها الأشعث
فاخطأوا مرادا ووقعوا على بني الحارث بن كعب ، فقتل كبش والقشعم واسر
الأشعث وفدى بثلاثة آلاف بغير لم يفد بها عربى قبله ولا بعده واما اسر الاسلام
له فذلك ان بني وليعة لما ارتدوا بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم و
قاتلهم زياد بن لبيد البياضى الانصارى لجثوا الى الأشعث مستنصرين به فقال لا
انصركم حتى تملكونى فتجوه كما يتوجه الملك من قحطان فخرج معهم مرتدا يقاتل
المسلمين وامد أبو بكر زيادا بالمهاجر ابن ابي امية فالتقوا بالأشعث فتحصن منهم
فحاصروه اياما ثم نزل اليهم على ان يؤمنوه وعشرة من اقاربه حتى يأتى ابا بكر فيرى
فيه رأيه وفتح لهم الحصن فقتلوا كل من فيه من قوم الأشعث الا العشرة الذين
عزلهم وكان المقتولون ثمانمائة ، ثم حملوه اسيرا مغلولا الى ابي بكر فعفى عنه و
عن كان معه وزوجه اخته ام فروة بنت ابي قحافة .

(فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك) أى لم ينفعك اموالك ولا مزايك
فى عدم الأسر ، فلقد أسوت مع ما كان لك من الاموال والحسب - كما زعمت - وليس
ذلك الا لانحراف شخصك عن الجادة المستقيمة حتى انك كنت فى كل واحد من
الكفر والاسلام منحرفا عن اهل ملتك (وان امرا دلا على قومه السيف) أى ارشد
السيف الى قومه ليقتلهم ، فانه كما تقدم فتح باب الحصن حتى هجم المسلمون و
قتلوا ثمانمائة رجل من قومه ، وكان ذلك منه استيثارا لنفسه وترجيحا لنجاته على
نجات اقوامه ، ويأتى احتمال اخر فى هذا (وساق اليهم الحتف) هو الموت - و

لَحْرِيٌّ أَنْ يَمُقَّتَهُ الْأَقْرَبُ ، وَلَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ !

اللفظان كناية - (لحري) أي جدير (أن يمقته الأقرب) أي يغضب عليه أقربائه و
عشيرته (ولا يأمنه الأبعد) إذ من يفعل من قريبه ذلك ، لا يأمن من شره الأبعد
الذين ليسوا من قومه وعشيرته .

لكن السيد الشريف الرضي ، قال : أراد بقوله عليه السلام : دل على قومه
السيف ما جرى له مع خالد بن الوليد باليمامة ، فانه غرقومه ومكربهم حتى أوقع
بهم خالد وكان قومه بعد ذلك يسمونه ((عوف النار)) وهو اسم للغادر عندهم
انتهى ، ثم ان هنا سؤالاً وهو انه كيف سب الامام عليه السلام الاشعث بمثل هذا
السب الشديد ، وهو التنزيه اللسان والجوارح ؟ وقد قال عليه السلام لاصحابه :
اني اكره لكم ان تكونوا سبايين - في قصة حرب صفين - ؟ والجواب : ان السب
على نوعين : سب للتشفى وهو امر شخص موقت وسب لهدم الضلال وتعريفه
للناس كي لا يتبعوه ، فانه نوع من محاربة الباطل والذي نهى الامام عنه هو القسم
الاول ، وما فعله عليه السلام هو من القسم الثاني ، ولذا نرى القرآن العظيم
بينها ، يقول : ((ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)) يقول
((انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)) ويقول في وصف بعض الكافرين ((عتل
بعد ذلك زميم)) وفي بعض المنافقين ((قاتلهم الله)) .

و من كلام له عليه السلام
وفيه تخويف الناس من الموت ، وترغيبهم للطاعة

فَإِنْكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزَعْتُمْ وَوَهَلْتُمْ ،
وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ، وَلَكِنْ مَخْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا ، وَقَرِيبٌ مِمَّا
يُطْرَحُ الْحِجَابُ ! وَلَقَدْ بَصُرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ ، وَأَسَمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ ،
وَهَدَيْتُمْ إِنْ أَهْتَدَيْتُمْ ، وَبِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ : لَقَدْ جَاهَرْتَكُمْ الْعِبْرُ ،

((و من كلام له عليه السلام))

وفيه تخويف الناس من الموت ، وترغيبهم للطاعة

(فانكم) ايها الناس (لو عايَنتُم ما قد عايَنَ من مات منكم) اي ابصرت الأحوال و
الشدائد التي عاينها الاموات (لجزعتم ووهلتم) هو الخوف والفرع الشديد ، من
(و هل) بمعنى خاف (وسمعتُم) كلام الله سبحانه (واطعتم) او امره (ولكن محجوب
عنكم ما قد عاينوا) اي مستور ما شاهدوه من الشدائد (وقريب ما يطرح الحجاب) و
المراد بذلك حين موت الانسان ، فانه يرى ما حجب عنه (ولقد بصرتُم) اي اريكم
الرسول واريتم الطريق (ان ابصرتُم) بمعنى لقد انتفعتُم لو اردتم الانتفاع و
البصيرة (واسمعتُم) المواعظ والزواجر (ان سمعتُم) اي انتفعتُم بالمسموعات
الدينية ان اردتم الاستماع لها والعمل بها (وهديتُم) هداكم الكتاب والسنة
(ان اهتديتُم) اي ان اردتم الاهتداء وسلوك الطريق المستقيم .
(بحق اقول) هذا كقوله سبحانه ((والحق اقول)) اي ان قولي حق مطابق
للواقع (لقد جاهرتكم العبر) جمع عبرة بمعنى الموعظة ، اي ان المواعظ ظهرت لكم

وَزَجَرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ . وَمَا يُبَلِّغُ عَنْ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ .

ومن خطبة له عليه السلام

يزهد عليه السلام ، الناس في الدنيا ، ويرغبهم في الآخرة

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ ، وَإِنَّ وَرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ . تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا ، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ .

في جهر ، بلاخفاء و تستر (وزجرتم) أي منعتم ونهيتم (بما فيه مزدجر) مصدر ميمي أي بالنواهي المخدرة التي تكفي لزجر الانسان عن المعاصي والاثام (وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء الا البشر) يعني هل تنتظرون احدا غيري ؟ فان تبليغ الاحكام والمواعظ لا يكون الا على أيدي الرسل ، وبعد الرسل يبلغ البشر احكامه وتخويفاته ، وقد بلغتكم واندركم ، وبعضهم فسّر هذه العبارة ، بغير المعنى الذي ذكرناه ، لكن هذا اقرب .

((ومن خطبة له عليه السلام))

يزهد عليه السلام ، الناس في الدنيا ، ويرغبهم في الآخرة

(فان الغاية امامكم) الغاية هي الجنة والسعادة ، وهي في امام الانسان ، لان الانسان يسير حتى يصل اليها ، (وان ورائكم الساعة تحدوكم) فكان القيامة كالسائق الذي يسوق الانسان ليوصله الى غايته ، ويعبر عن المستقبل بالامام بالورا باعتبارين (تحفوا) فعل امر من باب ((التفعّل)) أي خفوا في اثقالكم وذنوبكم (تلحقوا) بالغاية المترتبة من السعادة والجنة ، وبالصالحين الذين ذهبوا قبلكم وماتوا في الماضي (فانما ينتظر بأولكم آخركم) أي ان الاموات الذين ذهبوا قبلكم ، انما هم باقون في البرزخ ، ليلحق بهم سائر الناس الآخرون ، حتى

قال السيد الرضى ره :

اقول : ان هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه و بعد كلام رسول الله (ص) بكل كلام لعال به راجحا و برز عليه سابقا ، و اما قوله عليه السلام : تخففوا فما سمع كلام اقل منه مسموعا ولا أكثر محصولا ، و ما ابعد غورها من كلمة و انفع نطفتها من حكمة و قد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها و شرف جوهرها .

و من خطبة له عليه السلام

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ ، وَاسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ ، لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ

يذهبوا جميعا الى المحشر للحساب و الجزاء ، فانتم لستم هملا ، و انما ينتظرونكم للموت و الالتحاق بالسابقين .

((و من خطبة له عليه السلام))

قد بلغ الامام عليه السلام خبر الناكثين لبيعته ، فخطب هذه

الخطبة ، مبينا ان الناكثين هم مريقو دم عثمان

((الا وان الشيطان قد ذمر حزبه) اي حشهم و خصهم يقال ((ذمر فلانا بالامر)) اي حشه عليه (واستجلب جلبه) الجلب على وزن فرس بمعنى ما يجلب من بلد الى بلد ، يعنى احضر جيشه من هنا و هناك ، ليحارب الحق و يلقي الفتن (ليعود الجور) اي الظلم و الباطل (الى اوطانه) اي محاله الاولى التي ازالها الاسلام عنها (و يرجع الباطل الى نصابه) اي اصله ، و قد ظهر صدق

وَاللّٰهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصِيفًا .
وَأَنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوهُ ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ : فَلَيْتَنِي كُنْتُ
شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ ، وَلَيْتَنِي كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي ، فَمَا
التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ ،

كلام الامام عليه السلام، فقد انقسم المسلمون بهذه الحركة قسمين، فتفرقوا بعد
الالفه، وتعادوا بعد الحب والوداد، وجاء الباطل يسوق معاوية فاخذ مكان
الحق وهكذا (والله ما انكروا) اي هولاء الناكثون لبيعتي كطلحة والزبير و من
لف لفهم (على منكرا) بأني عملت عملا منكرا ولذا هم ينكثون بيعتي ويخرجون
علي (ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا) النصف - بالكسر - بمعنى العدل، اي لم
يحكموا العدل بيني وبينهم ليعدلوا في الامر، وانما جائوا بالكذب والمكر، وهم
يبتغون وراء ذلك رئاسة وسلطة.

(وانهم) في طلبهم بدم عثمان - كما يقولون - (ليطلبون حقا هم تركوه) فانهم
تركوا عثمان بين الشرار والناقمين عليه (ودما هم سفكوه) فقد كانت عائشة
وطلحة والزبير يصرون على قتل عثمان ويحرضون الناس حتى ان عائشة كانت تقول
(اقتلوا نعتلا قتله الله)) والامام عليه السلام كان يأخذ دور الناصح المشفق
فيطلب من عثمان اصلاح الامر ويتوسط بين عثمان وبين الشوار، في قضية طويلة
مذكورة في التاريخ (فلئن كنت شريكهم فيه) على الغرض والتقدير (فان لهم) اي
لهولاء الناكثين (لنصيبهم منه) فلا حق لهم في ان يطالبوني ما هم شركاء (ولئن
كانوا ولوه) اي تولوا قتله و اراقة دمه (دونى) بان لم اكن شريكا معهم - كما هو
الواقع - (فما التبعة الا عندهم) التبعة ما يتبع الانسان من الائم ولوازم السوء
من جراء عمله الشئ، يعنى ان اللوازم السيئة انما هي من طرف الناكثين لا من

وَأَنَّ أَكْثَرَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ ، يَرْتَضِعُونَ أُمًّا قَدْ فَطَمَتْ وَيَحْيُونَ
بِدَعَاةٍ قَدْ أُمِيتَتْ . يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي ! مَنْ دَعَا ! وَإِلَّامَ أَجِيبَ ! وَإِنِّي لَرَاضٍ
بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِمْ . فَإِنْ أَبَوْا أُعْطِيتُهُمْ حَدَّ السِّيفِ وَكَفَى
بِهِ شَافِيًا مِنَ الْبَاطِلِ ،

(وَأَنَّ أَكْثَرَ حُجَّتِهِمْ) التي يحتجون بها على - من قتل عثمان - (لعل على أنفسهم)
لأنهم هم المحضرون المسيبون (يرتضعون أما قد فطمت) أي أنهم يريدون أحياء
الجاهلية بعد انقضاء أوانها ، فإن الام إذا فطمت رضيعها فقد انقضى وقت
الرضاع (ويحيون بدعة قد أميتت) فإن بدع الجاهلية وضلالاتها قد أمتتها
الاسلام وهؤلاء يريدون أحيائها بشق عصي المسلمين والقاء الفتن والتفرقة فيهم
(يا خيبة الداعي) يعني أن الداعي إلى هذه البدعة خائب خاسر ، والتقدير ((يا
خيبة الداعي احضري فهذا وقتك)) أو يا قوم انظروا خيبة الداعي ، ولقد كان كما
قال الامام عليه السلام خاب طلحة والزبير بان قتلا واستحقا اللعنة في الدنيا
والعذاب في الآخرة (من دعى) ؟ تحقير للداعي ، بأنه انسان لا قيمة له (و الام
اجيب) ؟ يعني الذين اجابوه الى أي شيء اجابوه ؟ وهذا تحقير للمطلب ، واصل
((الى م)) ((الى ما)) فان ((ما)) الاستفهام يحذف الفها اذا دخل عليها حرف
الجر نحو ((عم)) و ((لم)) وما اشبههما .

(واني لراض بحجة الله عليهم) أي بما يحتج عليهم يوم القيامة من ما
ارتكبه من الاثام (وعلمه فيهم) فانه سبحانه يعلم ما يفعلون كما هو عالم
بنواياهم وسيجازيهم عليها (فان ابوا) أي امتنعوا عن الانقياد للحق والرجوع الى
الطاعة (اعطيتهم حد السيف) أي اجبرت على مقاتلتهم بنزأ للفساد (وكفى به)
أي بالسيف (شافيا من الباطل) اذ الباطل الذي لا يرتفع بالنصح والهداية لا بد

وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ ! وَمِنْ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أُبْرَزَ لِلطَّعَانِ ! وَأَنْ أَصْبِرَ
لِلْجَلَادِ ! هَبَلَتْهُمْ الْهَبُولُ ! لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدُدُ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أُرْهَبُ
بِالضَّرْبِ ! وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي ، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي .

و ان يرتفع بالسيف (و ناصرا للحق) فان الحق يغلبه الباطل اذا لم تسنده القوة
و المال (ومن العجب) ((من)) للتبعيض ، وغالبا يأتي - في مثل هذا الموضع -
لشدة العجب (بعثهم الى) اي ارسال هؤلاء الناكثين الى (ان ابرز) اي استعداديا
على عليه السلام (للطعان) مصدر من باب المفاعلة ، فان لهذا الباب مصدرين
المفاعلة و الفعال (وان اصبر للجلاد) اي المجالدة و المحاربة .

(هبلتهم الهبول) هبلتهم اي ثكلتهم ، و الهبول المرأة الثكلى التي لا يبقى
لها ولد ، وهذا دعاء عليهم بالموت حتى لا تندبهم امهاتهم (لقد كنت وما اهدد
بالحرب) اي كنت سابقا بحيث يخشى بطشى ، و يعرف الناس شجاعتي فلم يكن
يهددنى احد بالحرب ، لانهم يعلمون انى لا اخافها (ولا ارهب بالضرب) اي لا
أخوف بان اضرب و اقاتل ، لان الناس كانوا يعلمون انى اقتل و اضرب (وانسى
لعلى يقين من ربي) و المتيقن لا يخاف الموت لانه يعلم انه لو مات انتقل الى جوار
رحمة ربه و تخلص من الدنيا و احزائها و اشجانها و آلامها (و غير شبهة من
دينى) فاعرف ان الدار الاخرة خير لى من الدنيا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسَمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ ، فَاذْأَرَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً ؛

((ومن خطبة له عليه السلام))

(اما بعد) اصله مهما يكن من شئ بعد الحمد والصلاة ، فقلبت ((مهما))
 ((اما)) وحذفت سائر الكلام وبقى لفظة ((بعد)) (فان الأمر) المراد به الجنس من الاجال والارزاق ، والمناصب ، وما اشبه ذلك (ينزل من السماء الى الارض) كناية عن ان التقديرات انما تكون في السماء (كقطرات المطر) فكما ان المطر ينزل من السماء كذلك التقديرات ، كما قال سبحانه ((وفي السماء رزقكم وما توعدون)) (الى كل نفس بما قسم لها) اي لتلك النفس ، والنفس مؤنث سماعي (من زيادة او نقصان) في كل شئ ، زيادة المال او نقصانه ، زيادة العلم او نقصانه ، زيادة الاولاد او نقصانهم ، وهكذا (فاذا رأى احدكم لاهيه غفيرة) اي زيادة مؤكدة (في اهل او مال او نفس) بان صار له اهل وعشيرة ، او اموال كثيرة ، او اولاد وبنين وحفدة (فلا تكونن) تلك الغفيرة (له) اي لهذا الرائي (فتنة) وامتحانا ، بان يحسد هذا الانسان الذي يرى اخيه ويعمل للحط منه ، كما هو عادة الكثيرين ، فانهم اذا رأوا رفعة اخوانهم في امر من الامور الدنيوية كادولهم وعملوا لتحطيمهم .

وقد قال الامام قوله السابق ((ان الامر ينزل)) تمهيدا لهذا ، فان من علم ان الامور بالزيادة لاحد من تقدير الله سبحانه ، فما السبب في حسده وكيده لمن زيد له والزيادة لم تكن باختياريه وانما بارادة الله سبحانه ؟

فَإِنَّ أَلْمَرَءَ الْمُسْلِمَ الْبَرِيءَ مِنَ الْخِيَانَةِ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ ، وَتُغْرَى بِهَا لِثَامُ النَّاسِ ، كَانَ كَالْفَالَجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْرَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ

والذى ينبغى ان يعمل هذا الحاسد ويدعولىقدّر له مثل ما قدر لآخيه ، قال سبحانه ((وقل اعملوا)) وقال ((وقال ربكم ادعوني استجب لكم)) (فان المرء المسلم البرئ من الخيانة) هذا تأكيد لقوله ((لا تكونن له فتنة)) وعلّة لذلك وحاصله ان المسلم ارفع من ان يحسد غيره ، بل اللازم عليه - اذا رأى رفعة اخيه - ان ينتظر احد الحسنين ، اما الرفعة له من الله سبحانه فى الدنيا ، واما ان يرزق الخير فى الآخرة ، وقوله ((فان)) ابتداء الكلام وما يأتى من قوله ((كان)) خبر له ، وقد وصف عليه السلام المؤمن المنتظر لاحد الحسنين ، بعدم الخائن لدينه ، لانه اذا خان لم يرج احديهما ، فان نصيب الخائن الشقاء لا السعادة .

(ما لم يغش دنائة) اى لم يعمل ، من ((غش)) بمعنى ارتكب واحاط بالشئ ، والدنائة العمل الدنى القبيح (تظهر) اى دنائة ظاهرة ، فى مقابل ما لو غش دنائة جاهلا بكونها دنائة (فيخشع لها اذا ذكرت) اى يخاف من ذكرها ويوجل ، فان الانسان العامل للقبيح يخجل من ذكر عمله ويخشع نفسيا من افشائه (وتغرى بها) اى بتلك الدنائة (لثام الناس) فان الدنائة يغرّ بها الادنياء ، والاغراء هو الالتزام للشئ ، كان الشيطان يغريهم يغويهم ويلزمهم اياها (كما) خبر قوله ((فان المرء المسلم)) وقوله ((تظهر)) جملة معترضة لوصف الدنائة (كالفالج الياسر) الياسر هو المقامر ، والفالج بمعنى الظافر وهذا من اضافة الصفة الى الموصوف ، فان اصله كان كالياسر الفالج .

(الذى ينتظر اول فورة) اى نجاح ، من ((فار)) اذا غلى ، فان الانسان الناجح لعلّوه وارتفاعه ، كالمرجل الذى يغلو الى فوق (من قداحه) جمع ((قدح))

تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمُ ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ .

وهو سهم المقامرة ، فانهم كانوا يكتبون على السهام اسامى الانصبة او اسامى الاشخاص ، فيجعلون بعض السهام اعلى من بعض ، وبعض السهام فارغة لا نصيب لها (توجب) تلك القداح (له) اى لهذا الفالج الياسر (المغنم) اى الغنيمة والفائدة وريح القمار (ويرفع بها) اى بسبب هذه القداح (عنه) اى عن الفالج الياسر (المغرم) اى الغرامة ، فهو مصدر ميمي قالوا وكان من ترتيب قمارهم انهم يعدون احد عشر سهما ، يكون لسهم نصيب وللثاني نصيبان وللثالث ثلاثة انصبة وهكذا الى السهم السابع الذى له سبعة انصبة ، ويجعلون اربعة منها فارغة لا نصيب لها ، ويكتبون بذلك فوق السهام ، ثم يأتون بجزور عن صاحبها بغير ان يدفعوا اليها قيمتها فينحرونها ويقسمونها عشرة اجزاء متساوية .

ثم يأتى بشخص تعصب عينه، وتعطى القداح فيخرج احدها باسم احدهم ، فما كان فى ذلك السهم من الاجزاء يعطى الى المسمى الاول ، وهكذا حتى تتم الاجزاء العشرة للابل ، وهؤلاء يأخذون الاجزاء بدون اعطاء ثمن البعير ، فمن كان ظافرا خرج له سهم السبعة ودونه الستة وهكذا ، وبعد تمام اجزاء الجزور، من خرج سهم باسمه لزم عليه ان يغرم من ثمن البعير بمقدار حصص سهمه الخارج باسمه حتى يتم الثمن ، ومن خرج باسم احدى تلك السهام الفارغة فلا يخسر ولا يربح ، مثلا اذا خرج السهم الاول باسم زيد وكان مكتوبا عليه اربعة ، اخذ اربعة اجزاء من الجزور ، ثم خرج السهم الثانى باسم عمرو وكان مكتوبا عليه ستة اخذ ستة اجزاء من الجزور ثم اذا خرج السهم الثالث باسم بكر وكان مكتوبا عليه سبعة لزم ان يغرم سبعة اعشار ثمن الجزور ، وهكذا حتى يتم الثمن ويتم اجزاء الجزور .

فكما ان الياسر المقدر له الظفر والنجاح ينتظر الخير ، كذلك المسلم البرئ من

وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ
إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ ، وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ
وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ .

العيب ينتظر احد الحسنين ، وهذا من باب تشبيه اهل الدين في فوزهم بالآخرة
او حسنى الدنيا ، باهل الدنيا ، تقريبا لاذهان اولئك الناس الذين كانوا قريبي
عهد بهذه الاعمال المقامرية (وكذلك المرء المسلم البرئ من الخيانة) في دينه فان
العاصي خائن لنفسه ولدينه (ينتظر من الله ماحدى الحسنين) اي احد الامر من الحسنين
(اما داعي الله) اي الموت ، الذي يوتى بسبب داعي الله وهو ملك الموت الذي يدعو من
قبله سبحانه (فعا عند الله خير له) من الدنيا كما قال سبحانه : ((وما عند الله خير)) .
(واما رزق الله) في الدنيا (فاذا هو ذو اهل و مال) بفضله سبحانه (و معه
دينه) اذ لم يحسد غيره الذي رآه متفوقا عليه (و حسب) اي شرفه الذي حصله من
علم و فضيلة وما اشبه ، فاذا كان المرء من بين احد الحسنين دنيا او آخرة ، فما
الداعي له الى ان يحسد غيره الذي رآه متفوقا عليه ، فانه اما ان يبقى - فى
الدنيا - على وضعه المنحط حتى يأتيه الموت ، فقد حصل على جزاء الآخرة ونعيم
الجنة ، واما ان يرتفع فى الدنيا بفضله سبحانه ، فقد حصل على خير الدنيا ، و
من هو الى خبر لا ينبغي ان يحسد الغير ، نعم هذا مشروط بكونه نظيفا من
الذنوب ، كما عبر عنه عليه السلام بقوله ((ما لم يغش دنائة)) وقوله ((البرئ
من الخيانة)) وحيث ان جملة الشرط وهى قوله ((فان المرء المسلم البرئ)) ابتعدت
عن الجواب الذى هو قوله ((ينتظر)) كرر الشرط بقوله عليه السلام ((وكذلك))

إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ ، وَقَدْ
يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ ، فَاحْذَرُوا مِنْ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ،
وَأَخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ ، وَأَعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ ؛ فَإِنَّهُ
مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ .

(ان المال و البنين حرت الدنيا) اى زرعها الذى يزرعه الانسان فى دار الدنيا
ثم يرى حاصل زوعه فى الدنيا (والعمل الصالح) الذى يعمل به الانسان يرى جزاءه
فى الآخرة (حرت الآخرة وقد يجمعهما الله لا قوام) كما ينسب الى الامام عليه السلام
قوله ((ما احسن الدين و الدنيا اذا اجتمعا)) (و اقيح الكفر و الافلاس بالرجل)
و اذ بين عليه السلام حرمة افتتان الانسان بما يرى من نعمة الغير ، قال (فاحذروا
من الله) اى خافوا منه سبحانه (ما حذركم من نفسه) فانه تعالى حذركم من المعاصى
و الآثام كما قال سبحانه ((و اياى فارهبون)) (و اخشوه خشية ليست بتعذير) اى
خشية خالية من الاشياء الموجبة لعذر الانسان ، فان الانسان قد يخش الله
سبحانه ، لانه قد اذنب فيخشى من ذنبه ، وقد يخش الله سبحانه بدون ان كان
قد اذنب ، و انما رفعة مقامه سبحانه توجب الخشية ، فان ((تعذير)) مصدر
((عذّر)) بمعنى لم يثبت له عذر .

(و اعملوا فى غير رياء ولا سمة) فلا يكن اتيانكم بالعمل الصالح لاجل ان يرى
الناس عملكم او يسمعون بما عملتم فيحسنون عملكم ، فان الرياء و السمة يبطلان
الاعمال الصالحة (فانه من يعمل لغير الله) اى يأتى بالاعمال الصالحة لكن بدون
ان يكون قصده الله سبحانه بل قصده تحسين الناس له (يكله الله الى من عمل له)
اى ان الله سبحانه لا يعطيه اجر عمله ، و انما يتبغى ان يطلب ثواب عمله ممن

نَسْأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَمُعَايِشَةَ السَّعْدَاءِ ، وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ .
 أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ - وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ - عَنْ
 عَشِيرَتِهِ ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَالسِّنْتِهِمْ ، وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ
 حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ ، وَالْمَهْمُ لِسَعْتِهِ ، وَأَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا

رَأَى لِأَجَلِهِ ، مَثَلًا لَوْ أُعْطِيَ الْمَالُ لِلْفَقِيرِ لِأَجْلِ تَحْسِينِ النَّاسِ لَهُ ، كَانَ ثَوَابُ انْفَاقِهِ
 عَلَى النَّاسِ لَا عَلَى اللَّهِ ، أِذَا كَيْفَ يَعْمَلُ الْإِنْسَانُ لِشَخْصٍ وَيُرِيدُ جَزَاءَهُ وَاجْرَهُ مِنْ
 آخِرٍ ؟ (نَسْأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ) جَمْعُ الْمَنْزِلَةِ (الشُّهَدَاءِ) الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 (وَمُعَايِشَةَ السَّعْدَاءِ) فِي الْآخِرَةِ (وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ) بَانَ نَكُونُ مِنْ اتِّبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا
 حَتَّى نَحْشُرَ فِي زَمَرَتِهِمْ وَنَكُونُ رَفِيقًا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ .

(أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ - وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ - عَنْ عَشِيرَتِهِ) أَيْ
 قَبِيلَتِهِ الَّتِي جَمَعَهُمْ وَأَيَّاهُ أَحَدُ الْأَجْدَادِ الْقَرِيبِينَ (وَدِفَاعِهِمْ) أَيْ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ
 دِفَاعِ الْعَشِيرَةِ (عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَالسِّنْتِهِمْ) فَإِنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَسَادًا وَاعْدَاءً ، خُصُوصًا
 إِذَا كَانَ نَابِهَا عَظِيمًا ، وَالْعَشِيرَةُ تَأْخُذُهَا الْحَمِيَّةُ نَحْوَ قَرِيبِهِمْ فَهُمْ يَدَافِعُونَ عَنْهُ
 فِي الْمَشَاكِلِ وَالْأَزْمَاتِ (وَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ حَيْطَةً) أَيْ أَحَاطَةً ، كَالسُّورِ الْمُحِيطِ
 بِالْبَلَدِ الَّذِي يَحْفَظُهُ مِنْ هُجُومِ الْإِعْدَاءِ (مِنْ وَرَائِهِ) يَحْفَظُونَهُ مِنْ مَهَاجِمَةِ الْإِعْدَاءِ وَهُمْ
 الْحَسَادُ وَالْإِتْدَادُ (وَالْمَهْمُ لِسَعْتِهِ) أَيْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَمَّا وَجِعُوا لِتَفَرُّقِهِ وَانْتِشَارِهِ فَإِنَّ
 الشَّعْثَ بِمَعْنَى الْإِنْتِشَارِ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ بِإِعْتِبَارِ عَرَضِهِ وَمَالِهِ وَاهْلِهِ مُمْتَشِرٌ فِي النَّاسِ
 فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يَجْمَعُ أَمْرَهُ ، نَالَ كُلُّ عَدُوٍّ شَيْئًا مِنْهُ ، وَهَذَا تَشْبِيهُ بِمَنْ انْتَشَرَ
 مَالُهُ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يَجْمَعُ لَهُ مَا لَهُ ضَلَّ بَعْضُهُ وَصَارَ عَرَضًا لِلنَّهْبِ .

(وَأَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ) أَيْ يَمِيلُونَ إِلَيْهِ ، مِنَ الْعَطْفِ بِمَعْنَى الْمِيلِ (عِنْدَ نَازِلَةٍ) أَيْ
 مُصِيبَةٍ نَازِلَةٍ وَأَمَّا قِيلَ نَازِلَةٌ ، لِأَنَّهَا تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، بِكَوْنِهَا مُقَدَّرَةٌ هُنَاكَ (إِذَا

للامام الشيرازي ١٣٥
نَزَلَتْ بِهِ . وَلِسَانُ الصَّدَقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَلْمَالِ
يُورِثُهُ غَيْرُهُ .

ومنها : أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ
يَسُدَّهَا

نزلت به) من فقد مال أو جاء أو أهل أو ما أشبهه (ولسان الصدق يجعله الله للمرء
في الناس) بأن يمدحوه ويذكروه بالحسن ، وإنما سمي لسان الصدق ، لأن
الإنسان النزيه ، إذا مدحه الناس كانوا صادقين في مدحهم له وإذا ذمموه كانوا
كاذبين (خير له من المال يورثه غيره) وهذا كناية عن لزوم سير الإنسان بالسياسة
الحسنة ، وتحليه بالفضائل حتى يبقى له ذكر طيب في الناس ، ومعلوم أن الذكر
الطيب خير من جمع الإنسان للمال حتى يبقى بعده ، فإن المال خاص لبعض
الورثة في مدة قليلة ثم يفنى ، أما الذكر الحسن فيبقى مدى الأزمان ، وقد دعا
إبراهيم عليه السلام قائلا ((واجعل لي لسان صدق في الآخرين)) .

ومنها :

أي من تلك الخطبة

((ال) كلمة تنبيه (لا يعدلن أحدكم عن القرابة) بأن يهمل قريبه ولا يرعاه
بالمال والعطف (يرى بها الخصاصة) الخصاصة الفقر ، أي إذا رأى يقربه الفقر
(أن يسدها) أي يسد تلك الخصاصة ، ومعنى سدّها رفعها بالمال ، وهذا

بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِلَّا أَمْسَكُهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِلَّا أَهْلَكَهُ ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ ، فَإِنَّمَا تُقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ ، وَتُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ ، وَمَنْ تَلَّنَ حَاشِيَتَهُ يَسْتَدِمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ

بدل الاشتغال لقوله ((القربة)) اى لا يعدلن احدكم عن سدّ خصاصة القربا—
(بالذى) اى بالمال و الجاه و العون ، الذى (لا يزيد ه ان امسكه) يعنى ان امسك
ذلك العون عن قريبه لا يزيد الممسك شيئا ، فان اموال الدنيا و سائر شئونها اذا
امسكها الانسان لا تزيد الانسان شيئا ، فان المقدّر كائن لا مما له (ولا ينقصه ان
اهلكه) يعنى لو بذل ذلك المال و اهلكه فى سبيل قريبه ، لا ينقص منه شئ ، و قد
تقدم قول الامام عليه السلام فيما ينسب اليه
اذا اقبل الدنيا عليك فجد بها على الناس طرا قبل ان تتفلت
فلا الجود مضيها اذا هي اقبلت  *مركز تحقيق تكملة آية الله* ولا البخل مبقيا اذا هي ولّت
(ومن يقبض يده عن عشيرته) اى لا يساعد هم بالمال و العون (فانما تقبض منه)
اى من هذا الانسان (عنهم) اى عن العشيرة (يد واحدة) فان يد الانسان واحدة
لا اكثر (و تقبض منهم) اى من جانب عشيرته (عنه) اى من هذا الانسان القابض يده
(أيد) جمع يد (كثيرة) فان الانسان اذا لم يساعد الناس كف كل يد المساعدة عنه
و ليس من العقل ان يكف الانسان يده لىخسر ايا دى كثيرة (ومن تلن حاشيته)
بمعنى ان يكون انسانا لينا ، و الحاشية الاطراف تشبيه بالشئ اللين جوانب—
الفمكـن لأن يد اس و يقترب منه (يستدم من قومه المودة) اى يكون بلىن الحاشية طالبا
لدوام حب قومه له ، فان الناس ينغرون من الشخص الخشن ، اما الشخص اللين
الهش البش ذو الاخلاق الفاضلة ، فالناس يجتمعون حوله ، لانه لا يؤذيهم

أقول : الغفيرة ههنا الزيادة والكثرة من قولهم للجمع الكثير الجم الغفير والجماء الغفير ، ويروى عفو من اهل او مال . والعفو الخيار من الشيء يقال اكلت عفو الطعام اى خياره . وما احسن المعنى الذى اراده عليه السلام بقوله : ومن يقبض يده عن عشيرته الى تمام الكلام فان المعسك خير من عشيرته انما يمسك نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر الى مرافدتهم قعد وعن نصره و تناقلوا عن صوته ففنع ترافد الابدى الكثيرة وتناهض الاقدام الجمعة .
و من خطبة له عليه السلام

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ ، وَخَابَطَ الْغَيَّ ، مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِيْهَانٍ .

مركز تحقيق مكتبة التراث العربى

بلسانه او عمله .

((ومن خطبة له عليه السلام))

(و لعمرى) ((اللام)) للقسم و ((عمرو)) بمعنى الحيات و بمعنى الدين ، اى قسما بحياتى ، او قسما بدينى - و الاول اقرب - (ما على من قتال من خالف الحق) اى ليس على من قتال المخالفين (و خابط الغى) اى داخل الضلال و خالطه (من ادهان) اصله ((اندهان)) باب افتعال من ((الدهن)) بمعنى المصانعة و المداهنة على جهة الباطل ، كما قال سبحانه ((ودوا لو تدهن فيدهنون)) كان المصانع يستعمل الدهن ليلين للناس و يلينوا له ، كما يستعمل الدهن فى الرضوض و ما اشبه لغرض التليين (ولا ايهان) اى الدخول فى الوهن ، اما بمعنى الضعف

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَفَرُّوا مِنْ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ، وَأَمْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ
لَكُمْ ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلَجِكُمْ آجِلًا وَإِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ
عَاجِلًا .

او المراد به نصف الليل ، فيكون كناية عن التستر والمخاتلة ، اى لا يدخلنى ضعف
اولا اتستر ولا اخاتل (فاتقوا الله) خافوا عقابه ونكاله (عباد الله) منادى حذف
منه حرف النداء ، وعباد جمع عبد ، فان لعبد اثنين وعشرين جمعا او اكثر، ومناسبة
هذا الكلام لسابقة ان الانسان لا ينبغي له ان يهين فى امر الله واطاعته لمصانعة
الناس ومداهنتهم .

(وفروا من) عذاب (الله) سبحانه (الى) رحمة (الله) ومن عذابه الى رضوانه
فكما ان الفاريفر من الشئ المكروه الى الشئ المرغوب فيه ، كذلك
ينبغي ان يكون الانسان بالنسبة الى تعالى غير كما يوجب سخطه من الكفر و
العصيان الى ما يوجب رضوانه من الاطاعة والايمان (و امضوا) اى سيزروا (فتى)
الطريق (الذى نهجه) و اوضحه وجعله (لكم) من الاحكام والشرائع (وقوموا
بما عصبه بكم) اى ربطه بكم وكلفكم بادائه ، فان الانسان مربوط بتكاليفه (فعلى)
عليه السلام ، يعنى لنفسه الشريف (ضامن) اذا علمتم بما ذكرت لكم (لفلجكم) اى
ظفركم ، فان الفلج بالمعنى الفوز بالمرغوب فيه (اجلا) اى فى المستقبل ، اما المراد
فى الدنيا ، او فى الآخرة ، (وان لم تمنحوه) اى تعطوا الظفر (عاجلا) سريعا ،
او فى الدنيا ، فان الانسان العامل باوامره سبحانه يظفر بالسعادة فى الدنيا ولو
بعد حين ، وفى الآخرة بكل قطع و يقين .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

((ومن خطبة له عليه السلام))

كان قوم بصنعاء من شيعة عثمان يعظمون قتله ، فبايعوا عليا عليه السلام على دخل فلما اختلف الناس عليه عليا السلام بالعراق وكان العامل له عليه السلام على صنعاء عبيد الله بن العباس وعلى الجند بها سعيد بن نمران ، ثم قتل محمد بن ابي بكر بمصر وكثر غارات اهل الشام تكلم هؤلاء ودعوا الى الطلب بدم عثمان فانكر عليهم عبيد الله بن العباس وتظاهروا بمناجزة علي عليه السلام ، فحبسهم فكتبوا الى اصحابهم الجند ، فعزلوا سعيد بن نمران عنهم واطهروا امرهم فانضم اليهم خلق كثير ارادة مع الصدقة ، فكتب عبيد الله وسعيد الى امير المؤمنين عليه السلام يخبرانه الخبر فكتب عليه السلام الى اهل اليمن والجند كتابا يهددهم فيه ويذكرهم الله تعالى ، فاجابوه انا مطعون ان عزلت عنا هذين الرجلين عبيد الله وسعيدا ، ثم كتبوا الى معاوية فاخبروه فوجه اليهم بسر بن اوطات ، و كان فظا سفاكا للدماء ، فقتل في طريقه بمكة داود وسليمان ابني عبد الله بن العباس ، وفي الطائف عبد الله بن المدان .

وكان صهرا لابن عباس ثم انتهى الى صنعاء ، وقد خرج منها عبيد الله وسعيد واستخلفها عليها عبد الله بن عمرو بن اراكة الثقفي وقتله بسر ، واخذ صنعاء فلما قدم ابن عباس وسعيد عليا عليه السلام بالكوفة عابهما على تركهما قتال بسر فاعتذرا اليه بضعفهما عنه ، فقام عليه السلام الى العنبر ضجرا من مخالفة اصحابه له في الرأي ، وانشاء الخطبة . . قال السيد ((ره)) وقد تواترت عليه الاخبار باستيلاء

مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ ، أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا ، إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ ، تَهْبُ أَعَاصِيرُكَ فَقَبِّحَكَ اللَّهُ !

وتمثل بقول الشاعر :

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي عَلَى وَضْرٍ - مِنْ ذَا الْإِنَاءِ - قَلِيل

اصحاب معاوية على البلاد ، وقدم عليه عاملاه على اليمن ، وهما عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران لما غلب عليهما بسر بن أرطاة ، فقام عليه السلام الى العنبر ضجرا بتناقل اصحابه عن الجهاد و مخالفتهم له فى الراى فقال :

(ماهى الا الكوفة) اى ليس فى يدي على نحو التام والاستقلال الامدينة الكوفة (اقبضها وابسطها) اى هى تحت تصرفى اتصرف فيها كما اشاء ، كما يتصرف الانسان فى الثوب الذى تحت يده بالقبض والبسط فان الامام كان لا يعتمد على جند سائر البلاد التى كانت فى تصرفه وتحت يده ، وان كانت هى كثيرة حتى ذكروا انه كان للامام عليه السلام الف عامل على البلاد ، وكان الخارج عن حوزته - قبل قصة مصر واليمن - الشام فقط ، ثم توجه الامام عليه السلام بالخطاب الى الكوفة قائلا (ان لم تكونى) ياكوفة (الانت) تحت تصرفى (تهب اعاصيرك) الجملة صفة ، يعنى ان لم يكن ملكى الا الكوفة التى تهب اعاصيرها ، وهى جمع اعصار ، ريح تهب وتمتد من الارض الى السماء فيها الغبار الكثير ، وهب الاعاصير كناية عن اختلاف الاراء الموجود فى الكوفة (فقبحك الله) اى جعلك الله قبيحا ، وهذا جواب ((ان)) وذلك مثل ان يقال : ان لم يكن الا انت فلا تكن ، وقد اراد الامام عليه السلام من ذلك اظهار ضجره وبيان قلة ما يعتمد عليه من ملكه .

(وتمثل) الامام عليه السلام (بقول الشاعر) :

(لعمر ابيك الخير ، يا عمرو اننى على وضر من ذَا الاناء قليل)

الوضر هو غسالة السقاء والقصة وبقيّة الدسم فى الاناء ، وعمر ابيك ، اى

ثم قال عليه السلام : أَنبِئْتُ بُسْرًا قَدْ أَطْلَعَ الْيَمَنَ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ
لَأُظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيِّدُ الْوَنِّ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرُّقِكُمْ
عَنْ حَقِّكُمْ وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ
وَبِإِدَائِهِمْ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ ، وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ

قسما بحياته ، والخير صفة للاب من باب ((زيد عدل)) والمراد ان الذي بقى عليه
من الملك مما اعتمد عليه ، كالوضر الباقي في الاناء الذي هو شئ قليل ، في مقابل
الاناء الممتلى بالماء او الطعام ((ثم قال عليه السلام)) ((انبئت)) اي اخبرت (بسرا)
ابن ارجات وكان سفاكا من عملاء معاوية (قد اطلع اليمن) اي بلغها وتمكن
منها ، وقد فعل بسر بيمن ما تقدم بعضه ، وقد دعا عليه السلام بقوله ((اللهم
اسلبه عقله ودينه)) فجئ من دعاء الامام عليه السلام وكان يلتقم بفيه عذرتة ، بعد
ان غلوا يديه لثلا يأكل القاذورات (وانى والله لاظن ان هؤلاء القوم) اي معاوية
واتباعه (سيد الون منكم) اي ستكون لهم الدولة ، عوضا عنكم (باجتماعهم على
باطلهم) اي بسبب انهم مجتمعون على امرهم الباطل وهو التمسك بطاعة معاوية
(وتفرقكم عن حقكم) فان اهل الكوفة كانوا متفرقين عن الامام عليه السلام ، لا يطيعون
اوامره .

(وبمعصيتكم) اي عصيانكم — فان المعصية هنا مصدر ميمي — (امامكم) امير
المؤمنين ، عصيانه (في الحق) الذي يأمر به (وطاعتهم) اي اصحاب معاوية —
(امامهم) معاوية (في) الامر (الباطل) الذي يأمر به (وبادائهم الامانة الى
صاحبهم) فلو امرهم بشئ انجزوا ما قال بدون اية خيانة (وخيانتكم) فواحد منكم
يشرد وواحد منكم ينهب المال وهكذا كما اتفق في اصحاب الامام عليه السلام
(وبصلاحهم في بلادهم) فانهم يحبون بلادهم ويصلحونها ويجلبون اليها الخير

وَفَسَادِكُمْ . فَلَوْ أَتَمَمْتُمْ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ
 اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُّونِي ، وَسَمِئْتُهُمْ وَسَمِئُونِي ، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ
 خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي ،

(وفسادكم) فان اهل الكوفة كانوا بالعكس (فلو اتممت احداكم على قعب) القعب
 القدح الضخم (لخشيت ان يذهب بعلاقته) اي يده .

وهنا امران لا بد من التنبيه عليهما . الاول ان جماعة زعموا ان معاوية كان
 ذا سياسة رفيعة ، وبذلك تمكن من الاستيلاء على اجهزة الحكم ، دون الامام عليه
 السلام ، والثاني ان الحق لا يتمكن من اخذ القيادة امام الباطل ، ولذا لم يتمكن
 الامام من ذلك ، لكن الزعمان باطلان ، فان معاوية كان لا يبال باي اثم ارتكب ومن
 المعلوم ان الانسان المحدود بحدود الشرع لا يتمكن من مثل ذلك ، فالامر لم يكن
 الا لصوصية ونهب وسفك ، لا حكومة وسياسة . اما ان الحق لا يتمكن فيكذب به
 الوجدان بل الحق اقوى من الباطل في الادارة ، كما رأينا الرسول صلى الله عليه
 وآله وسلم ادار الامور وتغلب على الباطل ، وكما رأينا غير الرسول صلى الله عليه
 وآله وسلم من الحكام العادلين . وهنا يبقى سؤال انه لم انهزم الامام امام
 معاوية ؟ والجواب ان الله سبحانه جعل الامام امتحانا ، ولذا لم يكن مأمورا
 الا بالسير الدقيق ليميز الخبيث من الطيب ، كما ان عيسى المسيح عليه السلام
 انهزم امام قوى اليهود ، وهكذا بعض الانبياء الآخرين .

(اللهم اني قد مللتهم) اي القوم (وملوني) فان الناس لا يستعدون للمداقة و
 لذا يعلمهم الحاكم الدقيق وملونه ، اي يحصل لهم منه السأم والضجر والملل
 (وسمئتهم وسمئوني) وهي بمعنى الملالة ، وكأنها رتبة بعد الملل (فابدلني بهم
 خيرا منهم) والمراد الانبياء والصلحاء في الآخرة (وابدلهم بي) اي بعوضي (شرا
 مني) عقوبة لاعمالهم ، والتفضيل منسلخ عن معنى الفضل ، كما هو كثير في هذا

للامام الشرازي..... ١٢٣
 اَللّٰهُمَّ مِثْ قُلُوْبُهُمْ كَمَا يُمَاطُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ، اَمَّا وَاللّٰهُ لَوَدِدْتُ اَنْ لِّيْ
 بِكُمْ اَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بَنِ غَنَمٍ .
 هُنَالِكَ ، لَوْ دَعَوْتُ ، اَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسٌ مِثْلُ اَرْمِيَةِ الْحَمِيْمِ

الباب ، او المراد الشرية في الاصطلاح المتعارف (اللهم مث) من ((ماث))
 بمعنى ((اذاب)) (قلوبهم كما يماط الملح في الماء) وذلك كناية عن ازالة القوة
 والصلابة عنها ، فان القلب اذا لم يقو ، جرد الانسان كل شر ، اذ قوة القلب هي
 مبعث العزة والسعادة و سائر الفضائل ، فقد كان الامام عليه السلام يريد من
 اهل البلاد عامة ان يكونوا مستقيمين في جادة الشرع بحيث لا يحيدون عنها قيد
 شعرة ، فاذا رأى منهم ذلك اظهر التضجر منهم ، والا فقد كان للامام عليه السلام
 من خيرة الاصحاب ما يضرب بهم الامثال ، وقد ضمن لثلاثين الف منهم الجنة ، و
 كانوا يسمون بشرطة الخميس - كما في منتهى المقال للعالماني - وهذه الادعية
 والتضجرات اتما هي بالنسبة الى المنحرفين .

(اما والله لوددت) اي احببت (ان لي بكم) اي عوضكم (الف فارس من بني
 فراس بن غنم) وهم قبيلة مشهورة بالشجاعة ، ومنهم ربعة حامى الضعن حيا وميتا
 ولم يحم الحريم احد وهو ميت غيره ، عرض له فرسان من بني سليم ، ومعه ضعائن
 من اهلهم يحميهم وحده فرماه احد الفرسان بسهم اصاب قلبه فنضب رمحه في الارض
 واعتمد عليه وأشار اليهن بالمسير فسررن حتى بلغن بيوت الحق و بنو سليم قيام
 ينظرون اليه لا يتقدم احد منهم نحوه خوفا منه حتى رموه فرسه بسهم فوثبت من تحته
 فسقط و تبين للقوم انه كان ميتا منذ اصابته السهم .

(هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتُ اَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسٌ مِثْلُ اَرْمِيَةِ الْحَمِيْمِ)

يعنى لو دعوت بني فراس لرفع الضيم ، ا تاك جماعة منهم راكبين خيولهم - فان
 الفارس الشجاع الراكب للخيول - وهم مثل سحب الصيف في السرعة ، فان ((ارمية))

((اقول : جمع رمى وهو السحاب والحميم ههنا وقت الصيف بالذكر لانه اشد جفولا واسرع خفولا لانه لا ماء فيه وانما يكون السحاب ثقیل السیرلا متلائه بالماء وذلك لا يكون فی الاكثر الأزمان الشتاء . وانما اراد الشاعر وصفهم بالسرعة اذا دعوا والاغاثة اذا استغيثوا والدلیل على ذلك قوله : هناك لو دعوت اتاك منهم

ومن خطبة له عليه السلام

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ ،
وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرُ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ ، وَفِي شَرِّ دَارٍ ،
مُنِيخُونَ



جمع ((رمى)) وهو السحاب سمي به لانه يرمى به فى الهواء ، والحميم وقت الصيف ،
من ((حم)) بمعنى الحرارة ((ثم نزل عليه السلام من المنبر)) .

((ومن خطبة له عليه السلام))

(ان الله بعث محمدا صلى عليه وآله وسلم نذيرا للعالمين) اى لينذر الناس
ويخوفهم من الكفر والمعاصى ، والمراد بالعالمين ، الانس والجن ، ومن فى الكرات
الآخرى ، الى يوم القيامة (وامينا على التنزيل) اى كان مؤتمنا على القران والوحى
لا يزيد فيهما ولا ينقص منهما (وانتم معشر العرب على شر دين) وهو الكفر والشرك
فانه شر طريقه ، اذ لا يعتقد صاحبها بالاله ولا بالانبياء ولا بالمعاد ، فقد كان
ذلك صبغة العرب بصورة العموم وان كان فيهم اليهودى والمجوسى والمسيحى ، و
فئة قليلة ، على دين ابراهيم عليه السلام (وفى شر دار) اذ كان دارهم - وهى
مكة - محلا للاوثان والاصنام والشرك والفسوق والعصيان (منيخون) من اناخ

بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشِنَ ، وَحَيَاتٍ صُمٌ ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ ، وَ
تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ . الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنُصُوبَةٌ ، وَ
الْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ .

بالمكان اذا اقام به ، وفي بعض النسخ ((متنخون)) من باب التفعيل على وزن
« مصرفون » وهو بالمعنى السابق (بين حجارة خشن) جمع خشنا بمعنى الخشونه
ضد اللين ، وحيث ان المراد بالحجارة الجنس ، جئ لها بوصف الجمع (و
حيات) جمع حية (صم) جمع صماء وهي التي تمشي في طريقها لا تلوى على شئ
كالانسان الاصم الذي لا يزجره الصحية .

فان اراضي الحجاز لبعد ها عن الماء ، وقربها الى خط الاستواء ، تكون الشمس
فيها اكثر اشراقا وحرارة فتتطلب حجارتها اكثر ، وتكون حياتها اخشن (تشربون)
الماء (الكدر) الذي غيره البقاء الطويل ، واما لونه الى الكدر لعدم توفّر
المياه لديهم ، المياه الغدران والابار والامطار وما اشبه (وتأكلون الجشب) هو
الطعام الغليظ ، والذي لا ادام معه (وتسفكون) اي تريقون (دمائكم) بعضكم
يريق دماء بعض (وتقطعون ارحامكم) فلا تواصلوهم بالبر والاحسان (الاصنام
فيكم منصوبة) تجعلونها للعبادة والخضوع لها (والآثام) جمع اثم وهو المعصية
(بكم معصوبة) اي مشدودة بكم ، فانتم ملازمون لها ، ملازمة احد الشيئين
المشدودين للآخر .

لقد كان العرب كذلك قبل الاسلام ، حتى من الله عليهم بالرسول ، فانتشروا في
الارض واستبدلوا باماكنهم الحارة ذات الاحجار والصلال ارياف الشام والعراق
وايران وغيرها ، وصاروا سادة يجبي اليهم الخير من كل مكان ، بل فوق ذلك فقد
ارتفع مناخهم بكل وسائل الراحة ، كما نشاهد اليوم في الحجاز فقصور مشيدة ، و
حدائق ، ومياه عذبة ، وخيرات كل شئ .

ومنها اي بعض هذه الخطبة

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي ، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنْ أَلَمَاتِي ،
وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى ، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظْمِ ،
وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ .

ومنها :

وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا ،

ومنها : اي بعض هذه الخطبة

(فنظرت فاذا ليس لي معين) يعينني لاخذ حقى من الذين جلسوا مجلسى
بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (الا اهل بيتى) من ابناء عمومى واولادى
ومن اليهم (فضننت بهم عن الموت) اصل الطن البخل ، والمراد هنا تحفظت
عليهم ان لا يموتوا فى سبيل امرى ، اذا انا حاربت القوم ، ولقد كان فى اسباب
عدم نهضة الامام ، ذلك فلو قتل الامامان الحسن والحسين انقطعت الامامة (و
اغضيت على القذى) القذى ما يقع فى العين من ذرات التراب وما اشبه فيؤذى العين
اذية كثيرة ، والاعضاء هو الاعراض ، وذلك كناية عن شدة تألمه عليه السلام من
الغاصبين لمكانه (وشربت على الشجى) هو ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه مما
يؤذى الانسان اذية كبيرة ، والشرب عليه اكثر اذى ، حيث لا بد للانسان من
الشراب (وصبرت على اخذ الكظم) الكظم ، الحلق ، اي انى كنت كالشخص السدى
اخذ حلقه عنق ، من جهة اولئك الذين تقدموا على ، وفى شدة كسدة الاختناق
(وعلى امر) اي اكثر مرارة (من طعم العلقم) اي الحنظل .

ومنها : اي بعض هذه الخطبة ، وفيه ذم ابن العاص

(ولم يبايع) عمرو بن العاص معاوية (حتى شرط ان يؤتیه على البيعة ثمنًا)

فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِسِ ، وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ ، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا
وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا ، فَقَدْ شَبَّ لَهَا ، وَعَلَا سَنَاها ، وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ ،
فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ .

بان يولييه مصر لو تمت لموخرجت من يد الامام عليهما السلام (فلاظفرت يد البائع) هذا ادعاء على
البائع وهو معاوية بعدم الظفر والفوز (وخزيت امانة المبتاع) هو عمرو بن العاص الذي
ابتاع ملك مصر بالبيعة لمعاوية ، ومعنى خزيت ، ذلت وسفلت ، والمواد بالامانة
الدين الذي جعله الله امانة عند الناس ليري كيف يؤدونها هل بحق ام يبيعونها
بمقابل عرض زائل (فخذوا) يا اهل الكوفة بعدما عرفتم الامر بالنسبة الى اهل
الشام - (للحرب اهبتها) اي استعدادها ، والحرب مونث سماعي (واعدوا لها
عدتها) اي لوازمها من سلاح ونحوه ، والعدة هي ما يهيئها الانسان لملاقات
العدو (فقد شب) اي اشتغل (لظاها) اي نار الحرب ، واللظى هي النار
المشتعلة (وعلا سناها) اي ضوئها ، وهذا كناية عن قرب الحرب (واستشعروا
الصبر) اي اجعلوه شعاركم ، فان الانسان المصمم على الصبر ينجح (فانه) اي
الصبر (ادعى الى النصر) اي اكثر دعوة ، فان الانسان الصابر لا يفر من الميدان
بل يصمد مهما كلف الامر ، والصمود سر النجاح .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ،

((ومن خطبة له عليه السلام))

وقد خطب عليه السلام هذه الخطبة حين بلغه ان جيش معاوية غزى بعض مملكته .

قالوا: ورد الى الامام شخص من اهل الانبار يخبره ان سفيان بن عوف الغامدي قد ورد في خيل معاوية الى الانبار وقتل عامله حسان بن حسان البكري فصعد عليه السلام المنبر وخطب الناس وقال : ان احاكم البكري قد اصيب بالانبار وهو مغتر ، لا يخاف ما كان واختار ما عند الله على الدنيا ، فانتدبوا اليهم حتى تلاقوهم فان اصبت منهم طرفا انكلتموهم عن العراق ابدًا ما بقوا. ثم سكت رجاء ان يجيبوه بشئ فلم يفه احد منهم بكلمة فلما رأى صمتهم نزل وخرج يمشى راجلا حتى احاط به قوم من اشرافهم وقالوا يا امير المؤمنين الا ترجع ونحن نكفيك؟ فقال: ما تكفونسي ولا تكفون انفسكم فلم يزالوا به ، حتى رده الى منزله ، فبعث سعيد بن قيس الهمداني في ثمانية الاف في طلب سفيان بن عوف فخرج حتى انتهى الى ادنى ارض قنسرين فاتوه فرجع ، فخرج الامام مغضبا يجر دائه حتى اتى النخيلة ومعه الناس فرقى رباوة من الارض فحمد الله واشتفى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال :

(اما بعد) اصله مهما يكن من شئ بعد الحمد والصلاة ، فابدلت ((مهما)) بـ ((اما)) وحذفت الجملة ، وبقي لفظ ((بعد)) دالاعليها (فان الجهاد باب من ابواب الجنة) وهذا تشبيه ، اذ كما ان باب الدار منفذ اليها ، كذلك الجهاد منفذ

فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى ، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ ، وَ
جَنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ . فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ ، وَشَمَلَةَ الْبَلَاءِ ، وَ
دُبِثَ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءَةِ ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْهَادِ

الى الجنة ، وسميت الجنة جنة ، لتسترها بالاشجار ، مأخوذة من ((جن)) بمعنى
استتر (فتح الله لخاصة اوليائه) جمع ولي وهو المحب الموالى ، ومعنى ذلك انه
لا يوفق للجهاد الا خواص عباد الله الصالحين (وهو لباس التقوى) فكما ان
اللباس يقي الانسان من الحر والبرد ، ويجمّله بين الناس ، كذلك التقوى تقى
الانسان من المعاصي وتجمّله بين الناس لتحليه - بسببها - بالفضائل (و درع
الله الحصينة) اى التى تحصن الانسان وتحفظه عن الاثام والمعاصي ، وعن
النار والنكال فى الآخرة ، والدرع مؤنث سماعي (وجنته) هى ((المجن)) او
بمعنى وقايته (الوثيقة) التى يوثق بها .

(فمن تركه) اى الجهاد (رغبة عنه) اى تنفرا عنه ، وذلك لا يكون الا بعد
اجتماع الشرائط اذ الترك عند فقدها ، ليس رغبة عنه ، وانما لعدم امكانه وتوفر
شراء له (البسه الله ثوب الذل) لان الاعداء يتسلطون عليه فيذل (وشملة البلاء)
الشملة هى ما يشتمله الانسان ويلبسه ، فان الاعداء اذا تسلطوا على الانسان
احاطوه بانواع البلاء فى ماله وعرضه وسائر اموره ، حتى كانه لبس شملة منه (وديث)
من ((ديته)) باب التفعيل بمعنى ((ذلّه)) اى ذل (بالصغار) مقابل الكبر (والقماءة)
يقال ((قمى)) الرجل ، على وزن ((كرم)) اى ذل واهين (وضرب على قلبه بالاسدانا)
جمع سد ، وهو الحجاب الذى يحول بين الانسان وبين الحسنات الموجب لهلاكه
فى الدنيا والآخرة ، فان الانسان لا يلبث ان يعتاد المنكرات والاثام ، وفى ذلك
كل شقاء وبلية .

وَأَدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ ، وَسِيَمِ الْخُسْفِ ، وَمُنْعِ النَّصْفِ .
 أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَسِرًّا
 وَإِعْلَانًا ، وَقُلْتُ لَكُمْ : أَغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُواكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ
 فِي عَقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا . فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتِ الْغَارَاتُ

(وادل الحق منه) اي اخذ انتقام الحق منه ، حيث لم ينصره ، وانتقام الحق
 بما يفعله سبحانه به من شقاء الدنيا و نار الاخرة من ((ادال)) بمعنى اخذ الدولة
 وذلك (ب) سبب (تضييع الجهاد) وعدم القيام به في مقابل الباطل ، وقد صار
 اهل الكوفة كما قال الامام عليه السلام حيث سيطر عليهم معاوية - بعد مدة -
 فاذلهم بما لا فوقه ذلة ، بينما انهم لو كانوا يجاهدون فينصرون الامام وولده الحسن
 عليهما السلام لكانوا امنع من عقاب الجور (وسيم الخسف) الخسف الذل والمشقة
 وسيم بمعنى كلف ، اي كلفه الباطل ما يذله وما يشق عليه (ومنع النصف) بمعنى
 العدل ، اي لم يعدل الاعداء فيه ، بل يظلمونه و يجورون عليه .

(الا) فليتنبه السامع (واني قد دعوتكم) يا اهل الكوفة (الى قتال هؤلاء
 القوم) معاوية واصحابه (ليلا ونهارا وسرا واعلانا) اي جهارا (وقلت لكم
 اغزوهم) بالذهاب الى بلادهم لاستلابها منهم (قبل ان يغزوكم) ويستلبوا
 منكم بلادكم ويغيروا عليكم في بلادكم (فوالله ما غزى قوم في عقر دارهم) عقر الدار
 وسطها (الاذلوا) فان الانسان اذا بقى في داره لم يستعد للقتال ، فاذا جائه
 جيش مستعد غلب على اهل الدار ، فاذلهم ، بخلاف الانسان الذي يستعد للجهاد
 والغزو ، فانه لا يمكن ان يغزى في داره ، لانه خارج متطلع مستعد ، فاذا لاقاه
 جيش كان كفوا له (فتواكلتم) اي اوكل الامر بعضكم الى بعض (وتخاذلتم) اي تنحى
 كل واحد منكم ناحية (حتى شنت الغارات) جمع غارة ، وهي الدفعة من هجوم

عَلَيْكُمْ وَمُلِكْتُ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانَ.

العدو، وشنها: الهجوم (عليكم) فقد امر معاوية جيشه بان ينالوا اطراف بلاد الامام لالقاء الرعب في قلوب الامة (وملكت عليكم الاوطان) فقد كان جيش معاوية يسيطر على بعض اطراف البلاد .

وقد ذكر اهل السياسة، ان بعض الناس فيه طبيعة الاستعلاء، يحب الترفع بالمال والجاه وما شبه، ومنهم رعا يعقب السادة حيثما يوجهونهم، فمن جبل على الاستعلاء بيده قلوب الرعا، فاذا جلبه الانسان الى نفسه باشباع رغبته من اعطاء المال، او منح المنصب، تبع الانسان وجرا اتباعه تحوه، واذا اراد الانسان ان يعطى كل ذي حق حقه، اغضب، فان تمكن جاهر بالعداء والمبارزة، وان لم يتمكن نافق وانتهاز الفرص للنيل من كرامة الانسان، وهذا هو السر لكثرة اعداء الانبياء سواء غلبوا ام غلبوا، فانهم كانوا يزدون الحق، واعطاء كل ذي حق حقه، وعدم منح الباطل شيئا، فكان ذلك مثال غضب الذين يرون لانفسهم فضلا، فيحاربونهم او ينافقون اذا لم يجدوا للحرب سبيلا .

وحيث ان الامام كان ينهج منهاج الانبياء، لم يكن اشراف قومه يطيعونه و يكفونه الامور بخلاف معاوية الذي كان يعمل بما يقوى سلطانه، فمثلا لو كان الامام اعطى طلحة والزبير الكوفة والبصرة، ومعاوية الشام، وعائشة عشرة الاف درهم كل سنة - كما اعطاها عمر، خلافا للعدل - لاستقامت له الامور، لكنه عليه السلام كان يرى ان ذلك كله باطل، ولذا انقض هؤلاء عليه، بخلاف ابى بكر، الذي يمنح الفاسق الزانى ((خالد بن الوليد)) منصبا، ويسميه سيفا، وعمر الذي يعطى عائشة الاف الدراهم جورا في العطاء، وعثمان الذي يقرب بنى امية ويركبهم رؤس المسلمين ويبعد اباء العظم، ومعاوية الذي يعطى مصر ابن النابغة عمرو بن العاص في سبيل تقوية سلطانه . . . نعم قد تساعد الظروف احدا، فيتمكن ان يسلح نفسه

وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ
وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، وَلَقَدْ بَلَّغْنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ
عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلُبَهَا وَ
ذَلَائِدَهَا وَرُعَائِهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا
وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ،

ليعمل بالحق، ويسيطر على اصحاب الاطماع حتى لا يتمكنوا من القيام ضده علنا، و
يتولد من ذلك النفاق، كما تمكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك، ولذا
كثر المناقون حوله، حتى نزلت فيهم آي من الذكر الحكيم .

(وهذا اخو غامد) هو سفيان بن عوف من بني غامد قبيلة من اليمن بعثه معاوية
لشن الغارات على اطراف العراق تهويلا لاهلها (قد وردت خيله الانبار) هو
بلدة عراقية كما ذكروا (وقتل حسان بن حسان البكري) والى الامام عليه السلام
على هناك (وازال خيلكم عن مسالحها) جمع مسلحة وهي الثغر سمي بذلك لانه
محل السلاح (ولقد بلغني ان الرجل منهم) اي من جيش معاوية (كان يدخل
على المرأة المسلمة (و) المرأة (الاخرى المعاهدة) اي المسيحية واليهودية اللتين
في عهد الاسلام و ذمته (فينتزع حجلها) اي خلخالها وهو الذهب والفضة
المصنوع لزينة الرجل (وقلبيها) هو السوارزينة اليد (وقلائدها) جمع قلادة ما
تلبسها المرأة في عنقها للزينة (ورعائها) جمع (رعثة) بمعنى القرط ما يلبس في
الاذن (ماتمتنع) تلك المرأة المسلوية (منه) اي من ذلك الرجل الناهب (لا
بالاسترجاع) بان تقول (انا لله وانا اليه راجعون) او تردد صوتها بالبكاء
(والاسترحام) بان تطلب رحمه وشفقته لعدم ان ينالها بمكروه .

(ثم انصرفوا) جيش معاوية (وافرین) تأمين عدد هم لم ينقص احد هم بالقتل
لما نال رجلا منهم كلم اي جرح، لانه لم يقابلهم احد من جيش العراق ورجاله

وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمٌ ؛ فَلَوْ أَنَّ أَمْرًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا ، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا ؛ فَيَا عَجَبًا ! - وَاللَّهِ -
يُمِيتُ الْقُلُوبَ وَيَجْلِبُ لَهُمُ مِنْ أَجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ ،
وَتَفَرِّقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ! فَتَقْبَحُ لَكُمْ وَتَرَحُّا ، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى :

(ولا اريق لهم دم) اي لم يجرحهم احد حتى يراق على الارض دمه و هذا مما يشجع اولئك الغزاة على اعادة الغزو و الارهاب لانهم لم يروا مقابلة و مقاتلة (فلو ان امرا مسلما مات من بعد هذا) الحادث (اسفا) اي حزنا (ما كان به) اي بسبب موته (ملوما) فلا يلام على موته لم قد مات ؟ (بل كان به) اي بالموت (عندي جديرا) اي حقيقا حزيا (فيا عجبا) اي يا عجبى و المنادى المضاف الى اليا يجوز فيه تبديل يا المتكلم بالالف ، كما قال ابن مالك ((واجعل منادى صح ان يضاف ليا)) ((كعبدي عبدي عبدا عبديا)) و المنادى اما محذوف بمعنى يا قوم اعجب انا او هو هو المنادى اي يا عجبى احضر فهذا وقتك (والله يميم القلب) و يخمد فيه النشاط (و يجلب الهم) و الحزن و هذه جملة معترضة بين العجب و المتعجب منه .

(من اجتماع هؤلاء القوم) اي معاوية و اصحابه (على باطلهم) الذى دعوى الخلافة و الاستقلال فى الامارة و سائر اعمالهم المنكرة (و تفرقكم عن حقكم) فان لكم آراء مختلفة لا تجتمعون على الطاعة ، كاجتماع اولئك و لقد كان بإمكان الامام ان يجمعهم على الطاعة بمنع الروسا منهم ما يريدون و قتل المعارضين حتى يصفولسه الجولكن كان ذلك خلاف الحق و لذا كف الامام عنه بل اراد عليه السلام ان يجمعهم الحق فلم يجتمعوا (فقبحالكم) منصوب بفعل محذوف اي قبح الله قبحا لكم (و ترحا) الترح مقابل الفرح بمعنى الهم و الحزن (حين صرتم غرضا) هو ما يجعل فى محل ليحرب الرماة مقدار اصابتهم الهدف فيرميه كل واحد منهم (يرمى) فانكم

يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ ، وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ
فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ : هَذِهِ حَمَارَةُ الْقَيْظِ أَمْهَلْنَا
يُسَبِّحُ عَنَا الْحَرُّ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ : هَذِهِ
صَبَارَةُ الْقُرِّ ، أَمْهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَا الْبَرْدُ ؛ كُلُّ هَذَا فِرَارٌ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ
فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَغِيرُونَ ؛ فَأَنْتُمْ وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ يَا أَشْبَاهَ
الرِّجَالِ

مثل الغرض في تناول كل أحد عليكم بالسوء والهجوم .

(يغار عليكم) أى يهجمكم اصحاب معاوية (ولا تغيرون) فلا تتهجمون معاوية و
بلاده (و تغزون) أى يغزوكم العدو (ولا تغزون) فانكم لا تردون الاعتداء بمثله (و
يعصى الله) يعصيه معاوية واصحابه (و ترضون) فان السكوت علامة الرضا (فاذا
امرتكم بالسير اليهم فى ايام الحر) كالصيف (قلتم) معذرين (هذه حمارة القيظ)
اى شدة الحر فان حمارة بمعنى ذلك ، والقيظ فصل الصيف (امهلنا يسبح عنا
الحر) التسبيح التخفيف والتسكين ، ومعناه حتى يخف الحر فان السفر والقتال
فى ايام الحراشد وقعا على الانسان (واذا امرتكم بالسير اليهم فى الشتاء و ايام
البرد) قلتم معذرين (هذه صبارة القر) بمعنى البرد ، والصبارة شدة برود
الشتاء (امهلنا ينسلخ) ويذهب (عنا البرد) فان الهواء البارد يؤذى الانسان
المسافر .

(كل هذا) تقولون (فرارا من الحر و القر) اى البرد ، ونصب فرارا ، لكونه
مفعولا لاجله (فاذا كنتم من الحر و القر تغزون) ولا تريدون السفر والقتال فيهما
(فانتم والله من السيف افر) اى اكثر فرارا ولعل قوله ((كل هذا)) على نحو
الاستفهام الانكارى ، لاعلى نحو الجملة الخبرية ، فالمعنى الانكار عليهم بكون
فرارهم - كما يقولون - من الحر و البرد وانما من القتال (يا اشباه الرجال) جمع

وَلَا رِجَالَ! حُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ
وَلَمْ أَغْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً - وَاللَّهِ - جَرَّتْ نَدَمًا، وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا . قَاتَلَكُمْ اللَّهُ!
لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَّعْتُמוُنِي نَغَبَ التَّهْمَامِ
أَنْفَاسًا، وَأَفْسَدْتُكُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيَانِ وَ

شبه اي انتم في شكل الرجال (ولا رجال) ليس فيكم حقيقة الرجولية فان الرجل يكون ذا
غيرة وحمية وانفه من ان يغار ويهان ويذل (حلوم الاطفال) اي فيكم عقول
الاطفال التي لا تقدر الاشياء قدرها الحقيقي (وعقول ربات الحجال) جمع ((ربة))
وهي المرأة العروسة التي في الحجلة، فان عقلها غير كامل ولا ناضج لانها جديدة
العهد بالدخول في مزدحم الحيات، حتى ان العجوز اعلى منها عقلا وتجربة .
(لوددت اني لم اركم) بان لم اكن سافرت من الحجاز الى العراق لاراكم (ولم
اعرفكم) ثم بين ذلك بقوله (معرفة) اي اني معرفتي لكم معرفة (- والله - جرت
ندما) الى (واعقبت) اي خلفت (سدما) اي هما واسفا (قاتلكم الله) دعاء عليهم
بان يهلكهم الله و انما جئ بباب المفاعلة، لان الاصل قتل احدا لاحد، انما يكون من
طرفين كل يريد قتل صاحبه، وان كان هذا المعنى مفقودا في اهلاك الله سبحانه،
كما قال سبحانه ((قاتلهم الله اني يؤفكون)) (لقد ملئتكم قلبي قيحاً) هذا تشبيه
فان المحل المتقيح يتألم ويشتد وجعه، وهكذا قلب الامام عليه السلام كان متألما
منهم اشد التألم كالمكان المجروح المتقيح .

(وشحنتم صدري غيظا) الشحن هو الملاء، اي ملئتكم، وانما نسب الى الصدر
لان القلب الذي هو محل النفس في الصدر، والغيط هو الحزن على الامر مع ارادة
الانتقام والدفع (وجرعتموني نغب) جمع نغبة مثل جرعة لفظا ومعنى (التَّهْمَامِ)
بمعنى الهم (انفاسا) جمع نفس، اي اشريتكموني بعدد انفاسي جرعا من الهم و
الحزن بما فعلتم من المعصية ومخالفة الامر (وافسدتم علي رأيي بالعصيان و

الْخِذْلَانِ ؛ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ : إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ وَ
لَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ . اللَّهُ أَبُوهُمْ ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا
وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي ! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ ، وَهَآنَذَا
قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السِّنِينَ ! وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ !

الخذلان) فقد عصيتوني و تركتم اوامري ، و الخذلان هو ترك الشخص وحده بلا
نصرة و اعانة (حتى لقد قالت قريش ان ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب)
لانه لو كان عالما بالحرب لم يغلبه معاوية و لم تدرك قريش ان عدم نصرتي انما هي من
اصحابي الذين لا يطيعون اوامري و يخذلونني (لله ابوهم) كلمة تعجب و
استغراب ، و اصلها التعجب عن شيء حسن ، نحو (لله دره) فان الشيء او الشخص
الذي لله يكون حسنا جميلا ، و من المعلوم ان اب الانسان لو كان حسنا في افعاله
سرى ذلك الى اولاده فان الولد سرايبه .

(و هل احد منهم) اي من قريش (اشد لها) اي للحرب - و هي مونث سماعي -
(مراسا) مصدر ((مارسه)) اي عالجها و زامله ، حتى عرف جميع خصوصياتها (و اقدم
فيها) اي في الحرب (مقاما مني) اي قياما بشئونها و خوضا فيها (لقد نهضت فيها)
اي في الحرب (و ما بلغت العشرين) من العمر (وها) للتبنيه (انا اذا) الانسان السابق
المقدم (قد ذرفت على السنين) اي زدت عليها (ولكن لا رأي لمن لا يطاع) فان
اصحابي اذا لم يطيعوني لا ينفذ رأيي حتى يتبين ان ارائي مصيبة و خططي فسي
الحرب تفوق خطط معاوية و من مثله من الانتهازيين و (لا اري) نفي الحقيقة مجازا
اي لا يفيد رأي من لا يطاع رايه .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا أَذْبَرَتْ ، وَآذَنْتْ بِوَدَاعٍ ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ
أَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ ، أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ ، وَغَدًا السُّبَّاقَ ،

((ومن خطبة له عليه السلام))

وفيهما التحذير من الدنيا والترغيب في الآخرة والوعظ والزجر

(اما بعد) اصله مهما يكن من شئ بعد الحمد والصلاة ، فبدلت ((مهما))
بـ ((اما)) وحذفت سائر الجملة ما عدا ((بعد)) (فان الدنيا قد ادبرت) فـسان
الانسان اذا جاء الى الدنيا ، كانت الدنيا مدبرة عنه اذ في كل ساعة ينقص من
عمره جزء وتتأخر الدنيا عنه (واذنت بوداع) اى اعلنت بانها تودع اهلها للرحيل
عنهم ، واذانها ما ترى الناس من مصرع ابائهم او اصدقائهم (وان الآخرة قد اشرفت
باطلاع) الاطلاع هو الاتيان فجئة ، يقال اطلع فلان علينا اى اتانا فجئة و اشراف الآخرة
قربها ، فان كل يوم تتقدم الآخرة الى الانسان بقدر تأخر الدنيا عنه (الا وان اليوم المضار)
محل ضمور الخيل ، فان الخيل اذ اريد المسابقة عليها تضرر لتنهزل فتتمكن مسن
الجري سريعا ، والمعنى ان الانسان في الدنيا كالخيل في محل الاضرار فان حصل
بما يجب عليه سبق هناك وان لم يعمل تأخر .

(وغدا) اى يوم القيامة (السباق) اى المسابقة ، لانه يعرف هناك من السابق

وَالسَّبْقَةُ الْجَنَّةُ ، وَالْغَايَةُ النَّارُ ؛ أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ ! أَلَا
عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ ! أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ ؛
فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ ، وَلَمْ يَضُرَّهُ
أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ ، فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ
، وَضُرَّهُ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرُّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرُّهْبَةِ .

الى الجنة - باختلاف درجاتها - ومن التأخر الى النار - باختلاف دركاتها -
(والسبقة) هي الغاية التي يجب على السابق ان يصل اليها - وسيأتى فى كلام
السيد معنى اخر له - (الجنة) فان السابق يفوز بها (والغاية النار) فان الموطن
الاخير الذى ينتهى اليه الانسان الذى لم يعمل فى النار . ثم عطف الامام عليه
السلام الى العظة والتحذير (افلا تأتب من خطيئته) ؟ استفهام ترغيبى يريد الامام
عليه السلام الترغيب فى التوبة (قبل منيته) أى قبل موته (الاعامل لنفسه) أى
لنجاتها و خلاصها (قبل يوم بؤسه) البؤس سوء الحالة ، واشتداد الحالة (الا)
فليقتنبه السامع (وانكم فى ايام امل) يأمل كل حسن العاقبة (من ورائه اجل) أى
من وراء الامل الموت .

(فمن عمل فى ايام امله) فى الدنيا (قبل حضور اجله) وموته (فقد نفعه
عمله) لانه يرى ثوابه فى الآخرة (ولم يضره اجله) اذ غير العامل يضره اجله ، لما
يلاقى من الاهوال والعذاب (ومن قصر فى ايام امله) بان لم يعمل كما ينبغى
(قبل حضور اجله) وموته (فقد خسر عمله) الذى عمل من الاثام والمعاصى (وضره
اجله) لانه يبطل هنالك بالعذاب والنكال (الافاعلوا) ايها الناس (فى الرغبة)
أى فى السراء والحالات الحسنة (كما تعملون فى الرهبة) أى فى الضراء والحالات
السيئة ، فان من عادة الانسان ان ينسى الله سبحانه حالة السراء ويذكره حالة

أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا ، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا ، أَلَا وَإِنَّهُ
مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ الْهُدَى ، يَجْرُ بِهِ
الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظُّعْنِ وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ ؛
وَإِنَّ أَنْخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَانِ : اتِّبَاعُ الْهَوَى ، وَطُولُ الْأَمَلِ ،
فَتَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ أَنْفُسَكُمْ بِهِ .

البؤس والشدائد (الا واني لم ار كالجنة نام طالبها) ((نام)) بمعنى ((لמעمل))
(ولا) رايت (كالنار نام هاربها) اي الذي يخاف منها ، وهذا كناية لعدم العمل
الموجب للجنة والخلاص من النار مع اعظم الامرين - بما لا عظم فوقهما - .
(الا وانه من لا ينفعه الحق) بان لم يتبعه لينتفع به (يضره الباطل) اذ هناك
طرفان فمن لم يلتحق بطرف الحق لا يد وان يلتحق بطرف الباطل ويضره ذلك
فان لم يجد ييخل، ومن لم يقدم يحجم، ومن لم يشجع يجبن وهكذا (ومن لم يستقم به الهدى)
اي لم ينفعه الهدى فلم يقمه عن الاعوجاج والضلal (يجر به الضلال الى الردى)
اي الهلاك ، كما قال سبحانه ((انا هديناه السبيل اما شاكرًا واما كفورًا)) (الا)
فليتنبه السامع (وانكم قد امرتم بالظعن) اي الرحيل عن الدنيا (ودللتم على الزاد)
اي دلکم الكتاب والسنة على لوازم هذا السفر الطويل وهو تقوى الله والعمل
الصالح (وان اخوف ما اخاف عليكم) اي اشد الاشياء التي اخافها عليكم (اثنتان)
اي خصلتان (اتباع الهوى) الهوى ميل النفس الى اللذات حلالا كانت او حراما ،
واتباع الهوى غالبا يردى الانسان .

(وطول الامل) بان يأمل الانسان البقاء في الدنيا طويلا فان الانسان اذا
امل البقاء الطويل يقترب الاثام ويقول سوف اتوب وبعد لا امر انقلع (فتزودوا من
الدنيا) اي خذوا زادكم للآخرة (ما تحرزون) اي تحفظون (انفسكم) عن النار (به)

اي بذلك الزاد (غدا) في الآخرة، يقال حرز نفسه اذا حفظها عن العطس و الهلاك .

قال السيد الشريف الرضى ((ره)) :

اقول : لو كان كلام يأخذ بالاعناق الى الزهد في الدنيا و يضطر الى عمل الآخرة لكان هذا الكلام ، وكفى به قاطعا لعلائق الآمال ، وقادحا زناد الاتعاض والازدجار ، ومن اعجبه قوله عليه السلام : (الا وان اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار) فان فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه سرا عجيبا ومعنى لطيفا وهو قوله عليه السلام : (والسبقة الجنة والغاية النار) فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين . ولم يقل السبقة النار كما قال : السبقة الجنة لان الاستباق انما يكون الى امر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجودا في النار نعوذ بالله منها فلم يجز ان يقول والسبقة النار بل قال والغاية النار لان الغاية ينتهي اليها من لا يسره الانتهاء ومن سيره ذلك ، فصلح ان يعبر بها عن الامرين معا فهي في هذا الموضوع كالمصير والمآل ، قال الله تعالى : ((قل تمتعوا فان مصيركم الى النار)) ولا يجوز في هذا الموضوع ان يقال سبقتكم ((بسكون الباء)) الى النار فتأمل ذلك فباطنه عجيب وغور ، بعيد وكذلك اكثر كلامه عليه السلام (وفي بعض النسخ) وقد جاء في رواية اخرى (والسبقة الجنة) بضم السين . والسبقة عندهم اسم لما يجعل للسابق اذا سبق من مال او عرض والمعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الامر المذموم وانما يكون جزاء على فعل الامر المحمود .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ ، الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ، كَلَامُكُمْ يُوْهِى الصَّمَّ الصَّلَابَ ،

(ومن خطبة له عليه السلام)

وقد خطب عليه السلام بهذه الخطبة حين بلغه ان الضحاك اغار على الحجاج بامر معاوية وذلك ان معاوية لما سمع باختلاف الناس على علي عليه السلام وتفرقهم عنه وقتله من قتل من الخوارج بعث الضحاك بن قيس في اربعة الاف فارس وامره بالنهب والغارة على اطراف بلاد الامام لالقاء الرعب والخوف في قلوب الناس لينفضوا عن علي عليه السلام ، فان الناس اذا رأوا ضعف القيادة لم يلتفتوا حولها فاقبل الضحاك يقتل وينهب حتى مر بالشعليه فاغار على الحجاج فاخذ امتعتهم و قتل عمرو بن عيسى بن مسعود ابن اخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتل معه ناسا من اصحابه فلما بلغ عليا عليه السلام ذلك استصرخ اصحابه على اطراف اعماله واستشارهم للقاء العدو فتلكتوا فخطبهم بهذه الخطبة :

(ايها الناس المجتمعة ابدانهم) فبعضهم تلو بعض (المختلفة اهوائهم) اي ارائهم فلكل واحد منهم رأى خاص به (كلامكم يوْهى) اي يضعف (الصم) جمع « اصم » وهو من الحجارة الصلب شبه بالاصم الذى لا يؤثر فيه الكلام لفقد سمعه (الصلاب) جمع صلب وهو الشديد القوى اي ان كلامكم بقوته و بريقه يؤثر في الحجر

وَفَعَلَكُمْ يَطْمَعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءُ! تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ : كَيْتَ وَكَيْتَ ،
فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ : حَيْدِي حَيَادٍ! مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ ، وَلَا
أَسْتَرَا حَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ وَسَأَلْتُمُونِي التَّطْوِيلَ ، دِفَاعَ
ذِي الدِّينِ الْمَطْوِلِ .

فيوهيه (وفعلكم) المنى عن ضعفكم وعدم عزمكم على الامر (يطمع فيكم الاعداء) فان
الاعداء اذا راوا قولهم خافوا واذا راوا فعلهم المنى عن ضعفهم طمعوا (تقولون
في المجالس كيت وكيت) اي كذا وكذا، وهذا كناية عن قولهم انما نعمل بالاعداء
وننهجم عليهم ونبيدهم وما اشبه ذلك و((كيت)) لا يستعمل الا مكررا بدون حرف
العطف او معه (فاذا جاء) وقت (القتال) والمبارزة (قلتم حيدى حياى) هذه
كلمة يقولها الهارب فى من مصطلحاتهم عند الفرار من الحرب من ((حساد))
بمعنى مال والغرب، كانه يطلب من الحرب ان تميل عنه ولا تصيبه باذاها اي ميلى
ميلا (ما عزت دعوة من دعاكم) اما جملة خبرية اي ليست عزيزة دعوته لانكم
تخونون ولا تنصرون او دعاء عليهم بان يكونوا اذلاء حتى لا يعتمد احد عليهم ،
لان الرئساء اذا راوا تفرقهم لم يعتمدوا عليهم (ولا استراح قلب من قاساكم) اي
رافقكم لانكم تخالفونه فهو فى تعجب دائم منكم (اعاليل) جمع اعلال، جمع علل، جمع
علة ، وهو مرض ونحوه مما يتعلل به الانسان (باضاليل) جمع اضلوله وهو الباطل
اي انكم تتعللون لخذلانكم وتفرقكم بالف باطل وضلال (وسئلتموني) لفراركم عن
الحرب (التطويل) فى موعد الحرب بان تتأخرون عن النفور اليها، فانكم تدفعون
الحرب عن انفسكم (دفاع ذى الدين) اي المديون (المطويل) اي الكثير المطيل
- وهو تأخير اداء الدين بغير عذر - اي انكم فى دفع الحرب عن انفسكم تشبهون
دفاع المديون الدين عن نفسه بلا عذر وجهة، وانما فرارا عن الاداء فقط .

لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الدَّلِيلُ ! وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ ! أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ
تَمْنَعُونَ ، وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ ؟ الْمَغْرُورُ وَاللَّهُ مِنْ غَرَرْتُمُوهُ ،
وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ - وَاللَّهِ - بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى
بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ . أَصَبَحْتُ وَاللَّهُ لَا أَصَدِّقُ قَوْلَكُمْ ،

(لا يمنع الضيم) اي الظلم (الدليل) فان الانسان الدليل لاقوة له حتى
يتمكن من دفع الظلم و الوقوف دون الظالم لئلا يظلم (ولا يدرك الحق الا بالجد) في
مقابل الهزل ، فان العمل الجدى هو الذى يسبب ادراك الحق و الوصول اليه ، و
في هاتين الجملتين تلميح الى انهم اذلاء غير جادين في اعمالهم (اي دار بعد
داركم تمنعون) اي اذا لم تدافعوا عن بلادكم فعن اي بلاد تدافعون؟ وهذا
تحريض لهم على الدفاع لان الاغارة وقعت على بلادهم (ومع اي امام بعدى تقاتلون)؟
فان الامام عليه السلام كان جامعاً بشرائط الامة فلو كان الانسان يدافع عن امامه
لكان الامام عليه السلام احق الناس بالدفاع عنه (المغرور - والله - من غررتموه) فان
الذى يخدع بكم ، هو المخدوع الكامل ، اذ لا تمدون اليه يد العون ابداء ، فهو كامل
الغرور اذ غره من لم يفله بشئ اصلا (ومن فاز بكم) بان صار رئيسكم (فقد فاز - والله
- بالسهم الاخيب) وهو من سهام العيسر الذى لاحظ له واخيبت تفضيل من الخيبة
بمعنى الفشل وعدم الفوز .

(ومن رمى بكم) كناية عن معاضدتهم في الحرب كالرامي الذى يعتمد على
سهمه ورميه في الحرب (فقد رمى بأفوق ناصل) ((الفوق)) موضع الوتر من السهم ،
والافوق السهم المكسور فوقه والناصل العارى عن النصل ، وهى الحديد التى تغرز
في الجسم على رأس خشب السهم يعنى ان من رمى باهل الكوفة فكانما رمى بسهم
لا يثبت في الوتر حتى يرمى ، وان رمى به لم يقتل احدا اذ لا نصل له (اصبححت
- والله - لا اصدق قولكم) فيما تقولون ، فان الانسان لا يصدق كثير القول ، الذى لا

١٦٢ توضيح نهج البلاغة

وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ ، وَلَا أُوْعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ . مَا بَالُكُمْ ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ ؟
مَا طِبُّكُمْ ؟ الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ . أَقُولَا بِغَيْرِ عَمَلٍ ! وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ
وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ !؟

يعمل إبان العمل (ولا اطمع في نصركم) لعلمي بخذلانكم (ولا اوعد العدو بكم)
الايعاد هو وعد الشيء، اي لا اتمكن تهديد العدو بان لي جنود الكوفة، لعلمي بعدم
نصرتكم (ما بالكم) ؟ استفهام انكارى اي لا دواء لدائكم النفسى .
(ما طبكم) ؟ استفهام انكارى، اي لا يمكن شفاكم من مرض التفريق و التشتت وعدم
الاستقامة وعدم العمل (القوم) اصحاب معاوية الذين يأتعون باوامره الباطلة
(رجال امثالكم) فلماذا لا تكونون مثلهم في العمل والاقدام ؟ (اقولا بغير عمل) ؟
استفهام انكارى اي هل تقولون قولا - بأننا نفعل كذا وكذا - بغير ان تعملون
بقولكم (وغفلة من غير ورع) ؟ اي انكم غافلون عن شئون دنياكم، لامل غفلة الناس
المتقين الذين غفلتهم عن الدنيا انما هي لاشتغالهم بامور الآخرة (وطمعاً في غير
حق) ؟ اي انكم تطمعون طمعاً في المال حين تقسيم بيت المال ، وفي الجاه و
المنصب بغير ان يكونوا مستحقين لذلك ، لانهم لا يعملون حتى يستحقوا المزيد من
النفسى و المناصب الرفيعة في الدولة .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في معنى قتل عثمان

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا ، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا ، غَيْرَ أَنَّ
مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، وَمَنْ خَذَلَهُ
لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي .

(ومن كلام له عليه السلام)

في معنى قتل عثمان

يفصل عليه السلام فيه حديث قتله وأنه لم يقتل ؟

(لو امرت به) أي بقتل عثمان (لكنك قاتلا) لأن السبب كالمباشر في الفعل (او نهيت عنه) أي عن قتله (لكنك ناصرا) له فان الامام حيث نصح الطرفين ولم ينفع فيهما النصح اعتزل الامر فلم يأمر ولم ينه وان كان المجرم في الامر عثمان حيث خالف وعده واراد الفتك بالطالبيين للاصلاح في قصة طويلة - راجع الغدير للاميني - (غير ان من نصره لا يستطيع ان يقول) في مقام ترجيح نفسه على قاتليه (خذله من انا خير منه) فمروان - مثلا - لا يتمكن ان يقول انا خير من الثائرين لاني نصرت عثمان وهم خذلوه فان نصرة رجل مثل عثمان لا يوجب مدحاً للناصر (ومن خذله) كالثائرين (لا يستطيع ان يقول نصره من هو خير مني) كان يجعلوا مروان ، خيرا من انفسهم ، اذ نصرة عثمان لا توجب خيرية الناصر من الخاذل ، ومن هذا

وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ، أَسْتَأْثِرُ فَاسَاءَ الْأَثَرَةَ، وَجَزَعْتُمْ فَاسَأْتُمُ الْجَزَعَ
وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَقَعَ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَاذِعِ.

الكلام يفهم ان الامام عليه السلام كان ناقما على عثمان وعلى ناصريه ، اذ لم يعكس
الامر في الفقرة الثانية .

(وانا جامع لكم امره) اي امر قتل عثمان ، ومعنى ((جامع)) ملخص لكم الواقعة
(استأثر) عثمان اي استبد بارائه (فاساء الاثرة) فان المستبد برأيه الذي يسلك
طريق الحق لا غضاظة عليه ، اما المستبد المسمى فانه يستحق كل لوم واثم (وجزعتم)
عن اعماله واستبداده (فاساتم الجزع) اذ الجزع اورث قتلا سبب انقسام المسلمين
ولعله لو كان الجزع مع الحنكة والتروي - اكثر مما تروا وصبروا - لكان افضل اذ
لعله حصلوا على مخرج من الامر (ولله حكم واقع) في الدنيا ، او المراد حكمه في
الآخرة (في المستأثر) وهو عثمان (والجازع) وهم الثوار فانه يعاقب - في
الآخرة - المخطئ منهما كما انه ترك الامر بالاختيار والارادة - في الدنيا - حتى
وقع ما وقع كما هو شأنه سبحانه حيث جعل الدنيا دار اختبار واختيار وليمتحن
الناس على اعمالهم .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَا تَلْقَيْنَ طَلْحَةً ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقَّاهُ تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ : هُوَ الذَّلُولُ . وَلَكِنْ أَلْقِ الزُّبَيْرَ ، فَإِنَّهُ أَلَيْنُ عَرِيكَةٍ ،

(ومن كلام له عليه السلام)

وقد ارسل عليه السلام عبد الله بن عباس الى الزبير يطلب عنه الرجوع عن الحرب وذلك قبل وقوع حرب الجمل

(لا تلقين) يا بن عباس (طلحة فانك ان تلقاه من ((لقي)) بمعنى المواجهة و المكالمة حول رجوعه عن الحرب (تجده كالثور عاقصا قرنه) من عقص الشعر اذا قتله ولواء وهذا كناية عن كبريائه ، فان الثور الذي يلوى قرنه — طبيعيا — فيه من القوة البدنية شئ كثير وهكذا المتكبر فيه من الكبر النفسى شئ غير قليل (يركب الصعب) اى الامور الشاقة وركوبها كناية عن اقدامه عليها (ويقول هو الذلول) الذلول الابل اليسير الذى لا يوذى صاحبه ، مقابل الصعب ، يعنى انه لكبره يستهيىن بالامور الصعبة ، وهذا غير استسهال الانسان فى سبيل الحق امرا مشكلا ، فان الاول كبرياء ، والثانى علو همة — وبينهما فرق واضح (ولكن) يا بن عباس (الحق الزبير) ابن العوام (فانه الين عريكة) هى بمعنى الطبيعة ، واصل العرك دبغ

فَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ : عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ
فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا .

قال السيد الشريف : أقول : وهو عليه السلام اول من سمع منه هذا الكلمة
اعنى : فما عدا ممّا بدا

الجلد بالدلك ونحوه ، كانه يوجب لینه و نضجه بخلاف الجلد الذى لم يدبغ .
(فقل له) اذا لقيته (يقول لك ابن خالك) يعنى نفسه عليه السلام وعلسى
ابن خال الزبير لان ابا طالب و صفية ام الزبير من اولاد عبد المطلب بن هاشم
(عرفتني بالحجاز) حيث بايعتني ، فان الانسان المباع لا بد وان يعرف المباع
له والآلم يبايعه (وانكرتني بالعراق) حيث جئت لمحاربتى والمحارب لا بد وان
ينكر فضل الانسان والآلم يحارب (فما عدا ممّا بدا) يقال عداه الامر بمعنى صرفه
وبدا بمعنى ظهره و ((من)) للاستبداء ايها الذى صرفك مما ظهر منك - فى الحجاز -
من بيعتى ؟ وقد كان الجواب واضحا فانه صرفه حب الرئاسة وقد قال الرسول
الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم : حب المال و الجاه ينبتان النفاق فى قلب الرجل
المؤمن كما ينبت الماء البقل .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ وَزَمَنٍ كَنُودٍ ، يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ
نُسِيئًا ، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوًّا ، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلَّمْنَا ،

((ومن خطبة له عليه السلام))

وفيها يصف زمانه بالجور ويقسم الناس الى اقسام

(ايها الناس انا قد اصبحتنا في دهر عنود) الدهر قطعة من الزمان ، وقد يطلق على الزمان كله ، وعنود من ((عند)) على وزن (نصر) بمعنى جار ، ووصف الدهر بالعنود ، باعتبار ما يقع فيه من الجور بعلاقة الحال والمحل ، نحو جرى النهر و الدنيا لم تخل من الجور ، ولكن قد يكون الجور ظاهرا شاملا وقد يكون قليلا غير ظاهرا ، وقد كان زمان الامام عليه السلام ، من القسم الاول ، لكثرة الفتن فيه في البلاد الاسلامية (وزمن كنود) اي الكفور ثم بين الامام عليه السلام سبب ذلك بقوله (يعد فيه المحسن مسيئا) لان طبائع الناس اذا مالت الى الاساءة نفرت من الاحسان فيعدون العامل به مسيئا (ويزداد الظالم فيه عتوا) اي تكبرا و تجبرا ، لما يجد من الانصار والاعوان (لانتفع بما علمنا) من عادة البلغاء ان ينسبون الى انفسهم القضايا العامة ، تليينا للموقف ، و بيانا للعموم .

وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلَا نَتَخَوُّ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا . فَالنَّاسُ عَلَى
 أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ : مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفُسَادُ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ ،
 وَكَلَالَةً حَدِّهِ ، وَنَضِيزُ وَفَرِهِ ، وَمِنْهُمْ الْمُضِلُّ لِسَيْفِهِ ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ ،
 وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ
 أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ ،

(ولا نسأل عما جهلنا) من الاحكام والاداب (ولا نتخوف قارعة) هي الخطب
 العظيم ينزل على الناس من قحط او غلاء او امراض او تسلط الاعداء او ما اشبه ،
 وسميت قارعة لانها تفرع الناس بالشدة ، والقلوب بالفرع (حتى تحل بنا) ثم فصل الامام
 عليه السلام احوال الناس ، استدلالا لما ذكره من كون الدهر عنودا . الخ (فالناس
 على اربعة اصناف منهم) اناس فاسدون في انفسهم وقلوبهم وانما لا يفسدون
 لضعفهم وهم (من لا يمنعه الفساد) اي من الفساد (الامهانة نفسه) من ((هان)) ،
 بمعنى ذل وخف اي خمولها وعدم وجود انتصار وقوة بهما يفسد (وكلاله حده)
 اي ضعف سلاحه عن القطع يقال كل حد السيف اذا ضعف سلاحه عن القطع يقال
 كل حد السيف اذا ضعف عن القطع (ونضيض وفره) النضيض القليل والوفر المال
 اي قلة ماله فليس له مال يصرفه في افساده وشهوات نفسه .

(ومنهم المصلت لسيفه) يقال اصلت سيفه ، اي جره وشهره على الناس ، يعني
 انه مبطل قوى يشهر سيفه في وجه الحق (والمعلن بشره) اي المظهر شره (و
 المحلب بخيله ورجله) اي جمع انتصاره ممن له فرس ومن هو راجل وهذا كناية
 عن جمعه انتصاره لمكافحة الحق واطهار الباطل (قد اشروط نفسه) اي هياها و
 اعداها للفساد (واوبق) اي اهلك (دينه) بما عمل من الاثام (لحطام) هو المتكسر
 من النبات بعد اليبس وقد شبه الدنيا بذلك لان مال اخرها الى ذلك (ينتهازه)
 اي يختلسه ويحصل عليه (او مقنب) طائفة من الخيل (يقوده) يعني انه انما

أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ . وَلَبِئْسَ الْمَتَجَرُّ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا ، وَمَا لَكَ
عِنْدَ اللَّهِ عِوَضًا ! وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ
بِعَمَلِ الدُّنْيَا ، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ

ما فعل أماً للجاء بأن يحصل على الحطام ، وأما للجاء بأن يرئس فئه ، هم كالخيال التي
يقودها الانسان الى حيث ما يريد (او منبر يفرعه) اي يعلوه من ((فرع المنبر)) اذ
علاه بأن يحصل على منصب الجمعة والجماعة والخطابة ، وكان ((المقنّب)) للامارة
وهذا للفقاهة والقضاء ونحوهما .

(و لبئس المتجر) مصدر ميمي (ان ترى) ايها الانسان (الدنيا لنفسك ثمن) اي
بئست التجارة تجارة من يتاجر للدنيا ، لانه يراها ثمناً لا تعابه واعماله مع ان الدنيا
دار رحيل وزوال ، فاللازم ان يعمل الانسان فيها للآخرة لان يعمل لها (و ترى
الدنيا (مالك عند الله) اي من ثواب الذي لك عند الله سبحانه (عوضاً) بأن تتترك
الثواب وتأخذ الدنيا بدله (و منهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة) فانه يصلح
لرئاء ، ويدورس للشهرة وينفق لجلب الانظار الى نفسه وهكذا يعمل اعمال الآخرة ،
ولكن ينوى بها تحصيل الدنيا (ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا) فان الانسان يتمكن
ان يجعل ضروريات الامور الدنيوية من قبيل الاكل والمقاربة والتجمل للآخرة فيأكل
للتقوى على العبادة ويقارب لامر الله تعالى وحفظ نفسه عن الاثام ويتجمل لتقوية
الحق بتحصيل الشوكة له ، وهكذا .

(قد طامن) فعل من الطمأنينة ، اي خفف (من شخصه) اي تواضع لان
يخدع الناس بانه انسان خائف من الله ، مع انه في قلبه يريد بذلك اصطياد
السذج وتمكين نفسه في قلوب البسطاء (وقارب من خطوه) بأن يمشى بخطى
مقاربة تشبها بالصالحين ، ليخدع الناس بانه منهم (وشمر من ثوبه) اي رفعه من

وَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ ، وَاتَّخَذَ سِتْرًا لِلَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤْلَةً نَفْسِهِ ، وَانْقِطَاعَ سَبَبِهِ ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقِنَاعَةِ ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ ، وَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَّاحٍ وَلَا مَغْدَى

الارض، ليظهر انه متقى يتجنب من ان يمس ذيله الاراضى المحتملة للنجاسة (وزخرف من نفسه للامانة) اى زين نفسه بزينة الصالحين ، كالخضاب ، ولبس الخواتيم وما اشبه ذلك ، كل ذلك لان يرى صلاحه ، فيأتمن الناس به ، ويجعلوه فى محل القسوس و التقوى (واتخذ ستر الله) له بان لم يظهره سبحانه على حقيقته و خداعه (ذريعة) اى وسيلة (الى المعصية) لانه مخادع ، يريد بهذه الاعمال النيل من الدنيا و الرئاسة على الناس فقد جعل مظاهر الدين وسيلة لاصطياد الدنيا .
(ومنهم من اقعدته عن طلب الملك ضؤلة نفسه) اى صغرها، فهو انما يترك طلب الملك لا تورعا و خوفا من التلوث بالاثام بل لان نفسه ضئيلة حقيرة لا ترتفع الى معالى الامور (وانقطاع سببه) اى لا اسباب له بها يتوصل الى الملك من مال وقوة وعشيرة وما اشبه (فقصرته الحال) الحال يجوز فيه التذكير والتأنيث (على حاله) اى حصرتة ضؤلة نفسه على حاله الذى هو فيه بدون ان يترقى ويرتفع (فتحلى) اى تزين (باسم القناعة) بان اظهر نفسه : انه قانع لا يريد الملك ، مع انه يعلم فى قرارة نفسه ، انه غير قادر (وتزين بلباس اهل الزهادة) بان اظهر نفسه زاهدا فى الامر غير راغب فى الملك (و الحال انه) ليس من ذلك الذى يظهره من القناعة و الزهد (فى مراح ولا مغدى) المراح المحل الذى تاتوى اليه الماشية بالليل و المغدى المحل الذى تاوى اليه بالنهار وهذا كناية عن انه لا محل له فى صف الزهاد ، فى اى وقت من الاوقات .

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ ، وَأَرَأَقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ
الْمَحْشَرِ ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ ، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ ، وَسَاكِتٍ مَكْمُومٍ ،
وَدَاعٍ مُخْلِصٍ ، وَتَكْلَانٍ مُوجِعٍ ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةُ ، وَشَمَلَتْهُمْ الذَّلَّةُ
فَهُمْ فِي بَحْرِ أَجَاجٍ ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ

(وبقی رجال) ليس اولئك في صف الاقسام الاربعة السابقين (غض ابصارهم)
اي غمضها (ذكر المرجع) اي المعاد ، فان خوفهم من يوم القيامة اوجب ان يغضوا
ابصارهم عن شهوات الدنيا ومتعها (وارق دموعهم) اي اسلبها (خوف المحشر)
فان الانسان اذا خاف من شئ خوفا كثيرا بكى (فهم بين شريدا) يشرد من الناس
خوف ان يشترك معهم في عصيان يرتكبونه (ناد) هو الهارب من الجماعة الى الوحدة
(و) بين (خائف) من الله وهو في المجتمع (مقموع) اي مقهور قد اشتمل على
ذل العبودية (و) بين (ساكت مكوم) من ((كعم البعير)) اذا شذاه لثلا يأكل
او يؤذى باسنانه ، اي ان الخوف قد شد فاه فلا يتكلم خوفا من ان يجلب اليه الكلام
عصيانا واثما .

(و) بين (داع) يدعو الله سبحانه او يدعو اليه تعالى (مخلص) لا يريد
بذلك غير وجهه (وتكلان) الثكل الحزن على فقد بعض الاشياء المحبوبة (موجع)
اي انه محزون حزنا شديدا على فقد بعض المراتب منه في الآخرة ، لانه يرى نفسه
مقصرا امام عظمة الله سبحانه (قد اخملتهم التقية) يقال اخمله اي اسقط ذكره ، فلا
ذكر له بين الناس ، والتقية هي اتقاء المعاصي ، فان الانسان المتقي يتجنب عن
المجتمعات خوف الوقوع في المعاصي ، فيخمل ذكره ، لان الناس لا يختلفون الا بمن
عاشرهم (وشملتهم الذلة) اي ذلة العبودية والطاعة لله تعالى .

(فهم في بحر اجاج) اي بحر مالح و هذا كناية عن عدم انسياقهم وراء شهواتهم
حتى يلتذون بالمعاصي كالتذاذ اهل الدنيا (افواههم ضامرة) من ((ضمز)) بمعنى

وَقُلُوبُهُمْ قَرْحَةٌ، وَقَدْ وَعَظُوا حَتَّىٰ مَلُّوا وَقَهَرُوا حَتَّىٰ ذَلُّوا وَقَتَلُوا حَتَّىٰ قَلُّوا .
 فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْظِ ، وَقَرَّاضَةً الْجَلَمِ ، وَ
 اتَّعَظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ وَأَرْفُضُوهَا ذَمِيمَةً
 فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ

((سكن)) اى لا تتكلم بشرو ولا تتكلم كثيرا (وقلوبهم قرحة) اى مجروحة وهذا كناية
 عن تألم قلوبهم خوفا من الآخرة ، وتألمها لما يرون من الكفر والعصيان فى الناس
 (وقد وعظوا) الناس بامرهم بالتقوى (حتى ملّوا) اى ملّهم الناس وسئموا من
 كلامهم — هذا اذا كان الفعل بالبناء للمفعول — اما لو كان بالبناء للفاعل ، فالمعنى
 انهم ملّوا من كثرة الوعظ واخذهم السأم (وقهروا) اى قهروهم الاعداء (حتى ذلّوا)
 فان الاعداء اذا قهروهم ذلّوا ، اذ الانسان المقهور ذليل فى نفسه (وقتلوا حتى
 قلّوا) اى قتل منهم الاعداء حتى قلّ عددهم وهذا تحفيز للاخيار على مقارعة
 الاشرار وان قهروهم وقتلوا منهم .

(فلتكن الدنيا فى اعينكم) ايها الناس (اصغر من حثالة القرظ) الحثالة
 القشارة وما لا خير فيه كالثقل ونحوه والقرظ ورق السلم يدبغ به فان حثالة القرظ لا
 قيمة لها اطلاقا ولا ينظر اليها احد نظرا لاعتبار (وقراضة الجلم) الجلم هو
 المقرض يجز به الصوف ونحوه ، وقراضته ما يسقط منه عند القرض والجز (واتعظوا)
 اى خذوا العبرة والوعظ (بمن كان قبلكم) من الناس الذين اسلبهم الدهر
 نعمهم (قبل ان يتعظ بكم من بعدكم) بان يسلب الدهر نعمكم فتكون عبرة ووعظة
 للذين يأتون من بعدكم (وارفضوها) اى الدنيا (ذميمة) اى فى حال كونها
 مذمومة فليست ترفضون شيئا مدوحا بل شيئا مذموما (فانها قد رفضت

مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ .

قال الشريف أقول : هذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له الى معاوية و هي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك و أين الذهب من الرغام والعذب من الاجاج ، وقد دلّ على ذلك الدليل الخريت ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ فانه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها الى معاوية ثم قال : هي بكلام علي عليه السلام اشبه وبمذهبه في تصنيف الناس وبالاخبار ، اما هم عليه من القهر والاذلال ومن التقية و الخوف اليقع . قال : ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد .

من كان اشغف بها منكم (اي اشد تعلقا بالدنيا منكم فانهم مع تعلقهم بالدنيا و حبهم الشديد لها ، لم تف الدنيا بهم ، وانما اهلكتهم و ابادتهم .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند خروجه لقتال أهل البصرة

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ
يَقْرَأُ كِتَابًا ، وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً ، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ ، وَ
بَلَّغَهُمْ مَنَاجَاتَهُمْ ،

((ومن خطبة له عليه السلام))

عند خروجه لقتال أهل البصرة

قال عبد الله بن عباس دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذى قار وهو
يخسف نعله ، فقال : لى ماقيمة هذه النعل ؟ فقلت لاقيمة لها . فقال : والله لهنى
احب الى من امرتكم الا ان اقيم حقا او ادفع باطلا ثم خرج فخطب الناس فقال :
(ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله وليس احد من العرب يقرأ كتابا)
اي كتابا سماويا صحيحا فان الكتب السماوية كانت قد حرفت ، كما قال سبحانه
((يحرفون الكلم)) (ولا يدعى نبوة) وهذا كناية عن عدم وجود نبي مرشد بين العرب
فلم يكونوا يهتدون سبيلا ، اذ الحق يظهر اما بالكتاب او بالنبي ، وقد فقدت العرب
كليهما (فساق الناس) الى الحق (حتى بوأهم) اي اعطاهم المحل والمنزل
(محلتهم) اي منزلهم اللائق بالانسان من الالتزام ، بالعقائد الحق والفضائل و
الاداب ، والاعمال الصالحة والنظام الصحيح (وبلغهم منجاتهم) اي محل نجاتهم

فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ ، وَأَطْمَأْنَنْتْ صَفَاتُهُمْ .

أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّيْتُ بِحَذَا فِيرَهَا : مَا عَجَزْتُ وَلَا جَبُنْتُ ، وَإِنْ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا ؛ فَلَا نَقِبْنَ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ . مَالِي وَلِقُرَيْشٍ ! وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ

(فاستقامت قناتهم) القناة هي الرمح، والمعنى صاروا بعد الاعوجاج مستقيمين، و
الاعوجاج هو في العقيدة والشرعة و سائر العادات والملايسات (واطمأنت
صفتهم) أي ان صفاتهم كانت متزلزلة لارسوخ ولا ثبات فيها، اذ كانت الفوضى
تشملهم، فهذا صفة الؤد و ذاك صفة الرحم، وكل يفتخر بما اوتي و هكذا .
(اما والله ان كنت) ((ان)) مخففة من الثقيلة، أي اني كنت (لفي ساقتها) وهي
مؤخرة الجيش التي تسوق الجيش حتى لا يبقى منه احد لا يسير جمع سائق (حتى
تولت) أي فرت (بحذا فيرها) أي بجميعها فكان الامام عليه السلام كان في مؤخر
جيش الكفر يسوقه نحو الايمان او الانهزام لئلا يبقى حدا امام حركة الاسلام، والظاهر
ان الضمائر عائدة الى الجاهلية (ما عجزت) عن المقاومة (ولاجبت) بان اخاف من
كثرة الاعداء (وان مسيري هذا لمثلها) أي ان سيرى الى قتال اهل البصرة مثل
تلك المسيرة في زمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لان كلا السيرين لمكافحة
الباطل (ولانقبن الباطل) النقب هو الثقب (حتى يخرج الحق من جنبه) فكان
الباطل لباس، غشى به الحق فاذا نقب، فيه خرج من جنبه الحق، حتى يظهر
للناس (مالي ولقريش) يعنى عليه السلام طلحة والزبير وامثالهما من حاربوا
الامام و نصبوا له العدا، واصل الكلمة للاستفهام ثم استعملت للانكار والتفريع
على المقابل .

(والله لقد قاتلتهم) تحت راية الرسول في حال كونهم ((كافرين)) بالله واليوم

وَلَا قَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ ، كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمْ الْيَوْمَ !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في استنفار الناس الى أهل الشام

الآخر (ولا قاتلنهم) الان في جال كونهم (مفتونين) قد فتنتهم زهرة الحياة الدنيا وزخرفها ، وان اظهر والاسلام (واثني لصاحبهم) اي الذي حاربهم (بالامس) في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (كما انا صاحبهم اليوم) وهذا كناية عن عدم تغيره عليه السلام عن الحالة التي كانت عليها في زمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

((ومن خطبة له عليه السلام))

في استنفار الناس الى أهل الشام

روى انه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من امر الخوارج ، وقد كان قام بالنهر مد الله واثني عليه ، وقال : اما بعد فان الله تعالى قد احسن نصرتكم فترجعوا ، فوركم هذا الى عدوكم من اهل الشام فقالوا له قد نفذت نبالنا وكلت سيوفنا ارجع بنا الى مصرنا لنصلح عدتنا ولعل امير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منا لنستعين به ؟ فاجابهم عليه السلام يا قوم ادخلوا الارض المقدسة

أَفْ لَكُمْ ! لَقَدْ سَمِئْتُ عِتَابَكُمْ ! أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ
عَوْضًا ؟ وَبِالذَّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا ؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ دَارَتْ
أَعْيُنُكُمْ ،

التي كتب الله لكم ولا تتردوا على ادباركم الآية ، فتلكوا عليه وقالوا ان البرد شديد
فقال عليه السلام انهم يجدون البرد كما تجدون اف لكم ثم تلا قوله تعالى : قالوا
يا موسى ان فيها قوما جبارين الآية ، فقام منهم ناس واعتذروا بكثرة الجراح فسى
الناس وطلبوا ان يرجع بهم الى الكوفة اياما ثم يخرج بهم فرجع بهم غير راض
فانزلهم نخيلة وامرهم ان يلزموا معسكرهم ويوطنوا على الجهاد انفسهم ويقلوا
زيارة اهلهم فلم يقبلوا وجعلوا يتسللون ويدخلون الكوفة حتى لم يبق معه الا
القليل منهم ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة فخطب الناس وقال ايها الناس استعدوا
لقتال عدو في جهادهم القربة الى الله ودارك الوسيلة عنده قوم حيادي عن الحق
لا ينصرونه موزعين بالظلم والجور لا يعدلون به وحفاة عن الكتاب نكب عن الدين
يعمهمون في الطغيان ويتبعون في غمرة الضلال فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلًا ؟ قال الراوى فلم ينفروا فتركهم
اياما ثم خطبهم بهذه الخطبة فقال :

((اف لكم)) كلمة تضجرو ما ياتي بعده يظهر المراد من الضجر (لقد
سمعت) السأم الملالة (عتابكم) اي ان اعاتبكم في الامر لما ارى من انحرافكم
(ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا) ؟ استفهام انكارى ، كيف رضيتم ان تكون الدنيا
بدلا من الآخرة بان تركتم اعمال الآخرة ، للحصول على دنيا زائلة ، والتنعيم بملذاتها
(وبالذل من العز خلفا) اي هل رضيتم ان تذلوا تحت امرة معاوية عوض العز
الذي انتم فيه (اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم) يعنى معاوية واتباعه (دارت اعينكم)
بمعنى اضطربت من الخوف والجزع ، فان الانسان الخائف يلتفت يمينا وشمالا ليجد

كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ. يُرْتَجُّ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ، وَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ، فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ. مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُعَالُ بِكُمْ، وَلَا زَوَافِرُ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ. مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَأَبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا،

مهرباً من الخوف الذي احاط به (كانكم من الموت في غمرة) غمرة الموت شدة كربسه فان الانسان اذا كان في حال الاحتضار، تدور عينه ليجد مخلصاً مما هو فيه وسميت ((غمرة)) لانه يغمر الانسان ويغشاه كالماء الذي يغمر الغريق .

(و) كانكم (من الذهول) الفزع والنسيان فان الخائف ينسى اموره لتوجهه ذهنه الى المخوف عنه (في سكرة) كالانسان الذي شرب الخمر فسكرو لا يشعر بشيء (يرتج عليكم) يقال رتج الباب اذا غلقه (حواري) اى كلامى والمعنى يغلق فهمه عليكم (فتعمهون) من العمه وهو شدة العمى، اى تتحيرون فى كلامى بماذا تجيبون؟ وهذا شأن الخائف الذى يخاف الجانبين جانب التصديق وجانب الانكار، فانهم كانوا يخافون ان يقبلوا كلام الامام فيقعوا فى مشكلة الجهاد، ويخافون ان يردوا ، كلامه خوف الرعية من السلطة (وكان قلوبكم مألوسة) من المس بمعنى اختلط بالجنون (فانتم لاتعقلون) الامر ولا تدركون الواقع .

(ما انتم) ايها القوم (لى بثقة سجيس الليالى) اى ما دامت الليالى ، فان سجيس بمعنى ((ابدا)) (وما انتم بركن يعال بكم) اى يعيل الانسان اليكم لتحفظوه من كوارث الزمن، وانما جئ به ((باء)) الجر دون ((الى)) لاشراب الفعل معنى ((يصول)) (١) انتم (زوافر عز) جمع ((زافرة)) وهى ركن البناء وعشيرة الرجل وانصاره (يفند) اى يحتاج الانسان (اليكم) لانكم لاتنصرون من استعانة بكم (ما انتم الا كابل ضل رعاتها) فان الابل اذا ضل راعيها، تفرقت وتشتتت، وكانت عرضة لكل خطر وهكذا كان اهل الكوفة فهم مختلفوا الاراء مشتتوا الافكار

فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ اُنْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ ، لِبِئْسَ - لَعَمْرُ اللَّهِ - سَعْرَنَارِ
الْحَرْبِ اَنْتُمْ ! تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ وَتُنْتَقِصُ اطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ ، لَا
يُنَامُ عَنْكُمْ وَاَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ ، غَلِبَ وَاللَّهُ الْمُتَخَاذِلُونَ ! وَاَيْمُ اللَّهِ
إِنِّي لَأُظَنُّ بِكُمْ أَنْ نَوْ حَمِيسَ الْوَعَى ، وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ ، قَدْ اَنْفَرَجْتُمْ
عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ اَنْفِرَاجَ الرَّأْسِ .

فكلما جمعت) تلك الابل الضالة رعاتها (من جانب) لتنتظم تحت نظام (انتشرت من)
جانب (آخر) اذ لا تنقاد الا بالراعى دون سواء من يريد جمعها .
(لبئس - لعمر الله -) اى قسما بالله ، فان ((عمر)) بمعنى الحيات ثم استعمل
لمطلق القسم (سعرنار الحرب انتم) اى ماتوقد به الحرب وهذا كناية عن
استعدادهم للحرب لجبنهم وفساد رأيهم (تكادون) اى يكيد الاعداء عليكم (ولا
تكيدون) لهم بالاستعداد لمحاربتهم ومقاتلتهم (وتنتقص اطرافكم) بان يغير
معاوية على اطراف بلادكم فيسلبها ويأخذها (فلا تمتعضون) الامتعاض الغضب
الكثير (لا ينام عنكم) اى ان الاعداء ساهرون على اذا كم والكيد بكم (وانتم فى غفلة)
عنهم لاحباط مؤامراتهم (ساهون) كالانسان الذى يسهو عن الامر فلا يبالي به
(غلب - والله - المتخاذلون) يعنى ان الذين يخذل بعضهم بعضا ، ويترك احدهم
نصرة الآخر ، يغلِبون على ايدى اعدائهم (وايم الله) حلف بالله ، ويجوز فى ((ايم))
وجوه كثيرة منها ((ايمن)) .

(انى لا ظن بكم ان لو حمس الوعى) الوعى الحرب ، ومعنى حمس ، اشتد
اشتعل (واستحرم الموت) اى بلغ فى النفوس غاية حدته ، بان كثرت القتلى وشاع
الموت فى الحرب (قد انفرجتم) اى تفرقتم (عن) اطراف (ابن ابي طالب) يعنى
نفسه الكريمة (انفراج الرأس) اى كما ينفرج الرأس من البدن ، الذى لا التيام

وَاللّٰهُ اِنَّ اَمْرًا يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَغْرُقُ لَحْمَهُ وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ ، وَيَفْرِى جِلْدَهُ ، لِعَظِيمٍ عَجْزُهُ ، ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ اَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ اِنْ شِئْتَ ، فَاَمَّا اَنَا فَوَاللّٰهِ دُونَ اَنْ اُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الْهَامِ ،

وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالْاَقْدَامُ ، وَيَفْعَلُ اللّٰهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ .

بعده و لاجيات للانسان بعد ذلك (والله ان امرا يمكن عدوه من نفسه) بسان لا يأخذ للعدو عذته بل يسهل في الامر حتى يسيطر العدو عليه بسبب انه ترك الحزم ولم يأت باللازم للحرب ، حتى (يعرق) اي يأكل العدو (لحمه ويهشم) اي يكسر (عظمه و يفري) اي يشق و يقطع (جلده) وهذا كناية عن شدة تسلط العدو حتى انه يفعل فيه ما يشاء (لعظيم عجزه) اذ يدل ذلك على انه عاجز كمال العجز ، والام يسمح بالعدو ان يفعل به ذلك .

(ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره) جوانح جمع جانحه و هي الضلع ، وتسمى بذلك لانها كالجناح للانسان ، في طرفه ، والمراد ب ((ماضمت)) القلب ، اي انه ضعيف القلب غير مقدم ولذا ترك عدوه حتى يسيطر عليه (انت) ايها السامع (فكن ذاك) الانسان العاجز (ان شئت) فلك الخيار في ان تفعل بنفسك ما تشاء (فاما انا فوالله دون ان اعطى ذلك) اي امكن العدو من نفسى حتى اعطيه ما يريد (ضرب بالمشرقية) هي السيف سمى بها نسبة الى ((المشارف)) و هي بلدة كانت تصنع السيوف الجيدة (تطير منه) تذكير الضمير باعتبار السيف (فراش الهام) الهام الرأس ، وفراشه العظام الرقيقة المفروشة عليه .

(و تطيح) اي تسقط (السواعد) جمع ساعد و هو اليد (والاقدام) جمع قدم و هو الرجل (و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء) من نصرتي وعدمها وهذا من التعليمات الراقية للناس حيث يجب عليهم ان لا يسلموا للذل مهما كانت النتائج

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ : فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ
فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا ،
وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا . وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ ، وَالنَّصِيحَةُ
فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمْرُكُمْ .

بل يقدمون بما تمكنوا من قواهم ، و الأمر بعد ذلك بيد الله سبحانه (أيها الناس
ان لي عليكم حقا) بصفتي اميركم (ولكم على حق) بصفتيكم رعيتي (فاما حقكم عليّ
فالنصيحة لكم) اي انصحكم وارشدكم الى سعادة الدنيا والاخرة (وتوفير) اي تكثير
(فيئكم) اي الخراج و مال بيت المال (عليكم) لسد حوائجكم وتوفير الفئ باستعمال
اساليب توجب زيادته ، من الامر بزراعة الارض والتعمير وما اشبه مما يوجب زيادة
الحقوق المقررة في الاسلام (وتعليمكم) الاحكام (كيلا تجهلوا) شيئا (وتأديبكم)
وهي التزكية العلمية (كيما تعلموا) فان الانسان بالتأديب يعلم ، اما بالتعليم
فان صور الاشياء تنقش في ذهنه - فقط - .

ثم لا يخفى ان قوام الامور في المجتمع الصالح هذه الاربعة ، النصيحة ، التعليم
والتربية ، و المال (واما حقى عليكم فالوفاء بالبيعة) بعدم نكثها وفعل ما ينافيها
(والنصيحة في المشهد والمغيب) اي تعلمون لي فعل الناصح سواء كنت حاضرا
او غائبا وذلك بـ ((الدعاية)) الحسنة - على ما هو الاصطلاح في هذا اليوم و
المشهد والمغيب مصدران ميميان ، بمعنى الشهود والغيبة (والاجابة) لى
(حين ادعوكم) بان تحضروا حين اريدكم لامر (والطاعة حين امركم) بامر وقد جعل
الامام اربعة حقوق لهم و اربعة حقوق له ، وهذه هي قوام المجتمع الصالح الذى
يسعد فيه الراعى والرعية على حد سواء .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(ومن خطبة له عليه السلام)

بعد التحكيم

ومجعل القصة ان معاوية لما رأى ان جيش الامام سينتصر على جيشه مما يسبب له الهزيمة التجأ الى عمرو بن العاص يستشير في الامر، فاشار عليه برفع المصاحف على الرماح ، وطلب جند الامام الى تحكيم القرآن ، وذلك لكي يستعيد جيش معاوية انفاسه ، لعل هذه المكيدة تقع في اصحاب الامام . موقعها ، و تمنع اصحابه عليه السلام عن مواصلة القتال فرفعوا المصاحف على الرماح يطلبون رد الحكم الى كتاب الله وكانت الحرب اكلت من الفريقين فأنخدع القراء و جماعة اتبعوهم من جيش علي عليه السلام وقالوا دعينا الى كتاب الله ونحن احق بالاجابة اليه فقال لهم امير المؤمنين عليه السلام انها كلمة حق يراد بها باطل انهم ما رفعوها ليرجعوها الى حكمها انهم يعرفونها ولا يعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة اعبروني سواعدكم و جماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق الا ان يقطع دابر الذين ظلموا وخالفوا واختلفوا فوضعت الحرب اوزارها وتكلم الناس في الصلح .

وقد قررا تحكيم حكيمين حكم من جانب الامام وحكم من جانب معاوية يحكمان بما في الكتاب فعين الامام ابن عباس لكن القوم لم يقبلوا ابن عباس واختاروا — بدون رضی الامام ابا موسى الاشعري وقد حذرهم الامام مغبة الامر لكنهم لم يسمعوا لكلامه — واختار معاوية ابن العاص وتشاور الحكمين في الامر ، ثم خدع

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ . وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ
الْعَالِمِ الْمُجْرَبِ تُورِثُ الْحَيْرَةَ ،

ابن العاصي الاشعري وقال له انا نخلع الاميرين ليرجع الامر شورى يختار المسلمون
من شائوا، فقام الاشعري وخلع الامام ، ثم قام ابن العاص وقال لقد رأيتكم - ان
صاحبكم قد خلع صاحبه - يعنى الامام - لكن انا نصبت صاحبي معاوية اميرا للمؤمنين،
فتنازع القوم على غير جدوى ، وقد صار كما اراد معاوية فلما ان سمع الامام بذلك
امتعض امتعاضا شديدا وخطب بهذه الخطبة :

(الحمد لله وان اتى الدهر) اى الزمان (بالخطب) هو الامر العظيم
(الفادح) اى الثقيل، من فدحه الدين اذا اثقله ، يعنى انا نحمد الله فى كل حال ،
حتى فى حال الضراء ، كما وقع الان من نتيجة امر الحكمين ، وتدير ابن العاص
لهذه المكيدة (والحدث) هو الامر الحادث (الجليل) اى العظيم (واشهد ان لا
اله الا اله الا الله لا شريك له ليس معه اله غيره) وهذا الجملة تأكيد للجملة السابقة (وان
محمد عبد الله ورسوله) والظاهر ان كونه عبده يراد به الاعتراف بالوحيته تعالى
فى مقابل اقوال المسيحيين ان عيسى اله يعبد مع الله تعالى (صلى الله عليه و
آله) جملة خبرية اريد بها الدعاء (اما بعد) اصله مهما يكن من شئ بعد الحمد
والصلاة قلبت ((مهما)) ((اما)) وحذفت الجملة باستثناء لفظة ((بعد)) (فان
معصية الناصح الشفيق) هو الذى يشفق على الانسان اى يخاف عليه ان يتأذى
بمؤذى (العالم المجرب) الذى جرب الامور وعرف نتائج الاعمال (تورث الحيرة) اى
توجب المعصية تحير الخالف له اذ المخالفة تؤل الى ما لا يحمد .

وَتُعَقَّبُ النَّدَامَةُ . وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي ، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرِ أَمْرٍ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجَنَّةَ ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعَصَاةَ ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ ،

(وتعقب الندامة) أى ان يندم المخالف (وقد كنت امرتكم فى هذه الحكومة) أى نصب حكيم لانها امر القتال (امرى) بانها مكيدة معاوية للفرار من الحرب و التخلص ، من الانهزام الذى ظهرت بوادره لمعاوية واصحابه (ونخلت) أى اخلصت تشبيه بما ينخل من الدقيق ونحوه لان يظهر خالصه (لكم مخزون رأى) أى الرأى الحصيف الذى كان مخزوناً فى صدرى (لو كان يطاع لقصير امر) هذا مثل، وقصير اسم رجل ، واصل المثل ان ((جذيمة)) كان قتل ابا ((الزباء)) ملكة الجزيرة فبعثت اليه بعد حين انها تريد ان تتزوج به - خدعة - وسئلته القدوم عليها فاجابها الى ذلك وخرج فى الف فارس وخلف باقى جنوده مع ابن اخته عمرو بن عدى وكان قصير اشار الى جذيمة ان لا يتوجه اليها فلم يقبل رايه فلما قرب جذيمة من الجزيرة استقبله جنود الزباء بالعدة ولم يرمهم اكراما له ، فاشار اليه قصير بالرجوع عنها وقال انها امرئة ومن شأن النساء الغدر فلم يقبل فلما دخل عليها غدرت به ، وقتلته ، فعندها قال ((قيصر)) لا يطاع لقصير امر .

فذهب مثلاً لكل ناصح عصاه الاخر وقد كان مصيباً فى رأيه ، وجواب لوم حذف أى لو كان يطاع لقصير امر، لرأى الناس عاقبة امره الحسن (فابيتم) أى خالفتم (على) رأى (ابا المخالفين) أى كانكم مخالفون لى اعداء معى ، لا كانكم انصارى واصحابى (الجنة) جمع الجاني وهو الذى يجنى على آخر (والمنابذين) من نبذ بمعنى طرح امر الطرف المقابل (العصاة) جمع عاصى (حتى ارتاب الناصح بنصحه) يعنى ان مخالفتهم كانت بحيث شك الناصح فى ان نصحيته هل هى صحيحة ام لا ؟ وهذا كناية عن شدة مخالفتهم - لانه عليه السلام شك فى صحة نصيحته - وذلك لان

وَضَنَّ الزُّنْدُ بِقَدْحِهِ ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ :
أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ

الانسان اذا رأى الاجماع على خلافه شك في صحة مقاله ورأيه لانه يستبعد انهم جميعا على خطأ وانه وحده على الصواب .

(وضن) اى بخل (الزند) وهو الحجر الذى يصك باخر فيخرج منه النار (بقدحه) اى باخراجه النار ، وهذا كناية عن امساكه عليه السلام بآرائه المصيبة العقيمة النافعة فان الانسان اذا رأى عصيان الناس لرأيه لا يظهر آرائه ضاربها ان تذهب سدى (فكنت) انا (واياكم كما قال) دريد بن الصحة (اخو هوازن) اى انه من تلك القبيلة فى بيان انهم عصوه فأروا عاقبة عصيانهم .

(امرتكم امرى بمنعرج اللوى) فلم تستبينوا النصح الاضحى الغدا
(منعرج اللوى) اسم مكان اى انى امرتكم بنصيحتي فى ذلك المكان وانتم خالفتونى ، ولم تعلموا صدق كلامى الا غدا عند الضحى حيث فات الاوان .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في تخويف أهل النهروان

((ومن خطبة له عليه السلام))

في تخويف أهل النهروان

قد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينا هو يقسم بعض الغنيمة جاءه رجل من بني تميم يقال له ((ذو الخويصرة)) فقال اعدل يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال قد عدلت فقال له ثانية اعدل يا محمد فانك لم تعدل فقال ويلك من يعدل اذا لم اعدل فقام عمر وقال يا رسول الله ائذن لي في ضرب عنقه؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم دعه فسيخرج من ضيضي هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يخرجون على خير فرقة من الناس تحتقر صلاتكم عند صلاتهم وصومكم عند صومهم يقرئون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، فيهم رجل اسود مخدج اليد احدى يديه كانها ثدي امرئة او بضعة ، قد يقتلهم اولى الفريقين بالحق ، وقد كانت الخوارج من اصحاب الامام عليه السلام ، خرجوا عليه عند نهر قرب الكوفة يسمى ((النهروان)) وقد كان سبب خروج هؤلاء فهو انه عليه السلام لما قهره اصحابه على التحكيم و اظهروا عنه الرضا به بعد ان حذرهم و وعظهم فلم يلتفتوا الى نصحه و انذاره كتبوا كتاب التحكيم و اخذوا الاشعث بن قيس فطاف به على اصحاب معاوية فرضوا به . و طاف به على اصحاب علي عليه السلام فرضوا به حتى مر برايات عنزة وكان مع

فَأَنَّا لَكُمْ نَذِيرٌ أَن تَصْبِحُوا صَرَغِي بِكُنَافِ هَذَا النَّهْرِ وَبِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ ،
عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ،

على عليه السلام منهم بصفين اربعة الاف فارس فلما قراء الكتاب عليهم قال فتيا منهم
لا حكم الا لله ثم حملا على اصحاب معاوية ققتلا، فهما اول من حكم وهكذا خالف
جماعات وقالوا لاحكم الا لله ، فرجع الاشعث فاخبر الامام عليه السلام بذلك فاستصغر
قدرهم ، فلما بلغهم امر الحكمين ماراً ١٠٠٠اً والناس يتنادون من كل جانب لاحكم
الا الله الحكم لله يا على لا لك وقد كنا اخطأنا حين رضينا بالحكمين فرجعنا الى
الله وتبنا فارجع انت وتب الى الله كما تبنا والابرئنا منك فاي عليه السلام الرجوع
وقال ويحكم ابعد العهد نرجع؟ فما نضج بقوله تعالى: واوفوا بعهد الله اذا
عاهدتم الآية (١) وابت الخوارج الاتضليل التحكيم والطعن فيه فبرئوا من على
عليه السلام ثم كان اجتماعهم ب ((حروراء)) فسماهم عليه السلام لذلك بالحرورية
فناظرهم بها فرجع منهم الفان ثم مضوا الى نهروان وكان اميرهم عبد الله بن الكوا، وحين
القتال ((الراسي)) فسار الامام اليهم فخطبهم فلم ينفع فيهم الكلام فقاتلهم حتى
افناهم الاعداء قليلة منهم فروا .

(فانا لكم) ايها الخوارج (نذير) اي منذر مخوف (ان تصبحوا صرعى) جمع
صرع ، وهو القتل الذي يقع مصروعاً طريحاً (باكناف) جمع كف بمعنى الطرف (هذا
النهر) الذي كان قرب الكوفة ، وكان يسمى بالنهروان (وباهضام) جمع هضم وهو
المنخفض من الوادي (هذا الغائط) الغائط ما سفل من الارض : وانما يسمى
المدفوع بذلك لعلاقة الحال والمحل (على غير بينة) اي دليل واضح (من ربكم)

١- لو كان الامام عليه السلام رجع لقال الناس انه خاف ان تكون
الدائرة عليه وعرف انه على باطل وكان الكسر اكثر من الجبر ولذا لم يرجع
الامام عليه السلام بعد المشاق .

وَلَا سُلْطَانٌ مُبِينٌ مَعَكُمْ : قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمْ الدَّارُ ، وَاحْتَبَلَكُمْ أَلْمِقْدَارُ ،
وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ
حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخْفَاءِ الْهَامِ ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ
وَلَمْ آتِ - لَا أَبَا لَكُمْ -

اى ان قتلکم بلا حجة فى خروجکم ، فهناك معاقبون على فعلکم فخر الدنيا والاخرة
(ولا سلطان مبين) اى دليل واضح وحجة ظاهرة (معکم) فى خروجکم علىّ ، ولعل
الثانى شامل للدلالة الظاهرية ، وان لم تكن حجة من عند الله فى الواقع (قد طوحت)
اى توهت والقتکم فى المتاهة والضلالة (بکم الدار) اى ديارکم فخرجکم ليس الى
الطريق حتى تهتدون سبيلا وتصلون الى غاية سعيدة ، وانما الى متاهة وضلال .
(واحتبلکم) اى اوقعکم فى حبالته - وهى شرك الصائد الذى يصيد بسه -
(المقدار) اى الامر الذى قدر لکم ، والمقدار ، هو المسافة الزمنية المحددة يسر
الناس فيها حتى يصلوا الى زمان موتهم ، فكأن القدر احاط بهم كما تحيط الحباله
بالصيد (وقد كنت نهيتکم عن هذه الحكومة) اى التحكيم فى امر الخلافة ، فان الامام
عليه السلام كان يرى زيفها وانها مكيدة ، وهل يعين الحكم لفصل الامر ، فى ان الحق لعل
عليه السلام او لمعاوية ؟ (فابيتم علىّ) اى خالفتم كلامى ورأى (اباء المخالفين)
اى كانهم مخالفون لا اعداء ، لا كانکم انصارى واوليائى (المنابذين) من نبذ ، بمعنى
طرح ويسمى المعادى منابذاً ، لانه يطرح الطرف المقابل ولا يبالى به (حتى صرفت
رأى الى هواکم) اى اجبرت لاسلاس قيادکم (وانتم معاشر اخفاء الهام) الهام
الرأس ، وخفة الرأس كناية عن عدم وجود العقل فيه ليرشد الانسان الى الصلاح .
(سفهاء الاحلام) اى ان لکم عقول السفهاء والسفيه ضد الرشيد فهو الذى
ليس له عقل لتدبير اموره (ولم ات - لا ابالکم) جملة معترضة ، وهذه كلمة تستعمل
لكل من المدح والذم ، فكونها مدحا ، باعتبار ان من لا اب له يملك امر نفسه فليس

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يجري مجرى الخطبة

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشَلُّوا ،

تحت طاعة غيره وكونها ذما باعتبار ان من لا اب له لا كافل له - وهي دعاء في صورة الخبر - (بجرا) اي شرا ، اي ان امر هذا التحكيم كان منكم ولم ات اناشرا ، حتى تخرجون عليّ و تحاربونني ((غيري جنا و انا المعاقب فيكم)) ((فكانني سبابة المتقدم)) (ولا اردت لكم ضرا) حتى تريدون الانتقام مني وهكذا عادة الجهال دائما ، انهم يصرون على الامر ، فاذا راءوا نتائج السيئة القوا باللائمة على العاقل الذي كان يخالفهم .

((ومن كلام له عليه السلام))

يجري مجرى الخطبة

و معنى جريه مجرى الخطبة انه انشأ بذاك الاسلوب وقد اشرنا سابقا الى ان الخطبة انما هي في مجمع من الناس و تبتدء بالحمد و تنشأ بأتكاء صوت ، و في مرتفع و ما اشبه ذلك .

(فقمتم بالامر) اي بامر الاسلام بالجهاد في ميادين القتال و الصبر و الثبات (حين فشلوا) و اصابهم الوهن و الضعف ، فان الخلفاء الذين تقدموا على الامام

وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقْبَعُوا وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا.
وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا، وَأَعْلَاهُمْ قُوْتًا، فَطَرْتُ بِعِنَانِهَا، وَأَسْتَبَدَّدْتُ بِرِهَانِهَا.
كَالْجِبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ. لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ
فِي مَهْمَزٍ

وكثيرا من صنايد الاصحاب كانوا يفرون عن القتال و ينهزمون في مواقع الخوف (و
تطلعت) اي ظهرت (حين تقبعوا) التبع هو الاختفاء، ضد التطلع والظهور (و
نطقت) اي تكلمت بالحق في محل الخوف عن اظهار الحق (حين تعتعوا) التعتعة
الاضطراب في الكلام (ومضيت بنور الله حين وقفوا) اي انى سرت نحو الهدف من
اظهار الاسلام و اعلاء كلمته حين وقف القوم، كما قال سبحانه ((واذا اظلم عليهم
قاموا)) (وكنت اخفضهم صوتا) و هذا كناية عن رباطة جاشه عليه السلام وقوة قلبه
فان الخائف يرفع صوته جزعا و هلعاً اما المطمئن الشجاع، فانه يتكلم بكل هدوء و
اطمئنان .

(واعلاهم قوتا) الفوت السبق، اي ارفع مقاما منهم من حيث السبق الى كل
فضيلة (فطرت بعنانها) هذا كناية عن سرعة سيره عليه السلام نحو الفضيلة،
فالعنان زمام الفرس، ومعنى طرت انى جريت جريا سريعا كالطائر في السرعة، اخذا
بعنان الفضيلة (واستبددت) الاستبداد بالشئ الاختصاص به (برهانها) الرهان
هو الجعل الذى يقرر لمن سبق في مضمار المسابقة، وهذا كناية عن تقدمه عليه
السلام عليهم في الفضائل، وكنت في حالة الاضطراب والخوف (كالجبل) الثابت
(لا تحركه القواصف) جمع قاصفه و هى الكارثة المهلكة (ولا تزيله العواصف) جمع
عاصفة و هى الريح الشديدة الهبوب، يعنى ان المخاوف و الاضطرابات لم تكن
تؤثر في جهادى و عملى، بل كنت لا ابالى بها مهما بلغت .

(لم يكن لاحد في مهمز) المهمز الوقية، اي لم اكن موردا للوقية، اذ لا نقص

وَلَا لِقَائِلٍ فِي مَغْمَزٍ . الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ ،
وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ . رَضِينَا عَنْ اللَّهِ قَضَاءَهُ ،
وَسَلَّمْنَا لِلَّهِ أَمْرَهُ . أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
وَاللَّهُ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ ، فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ .

في وهذا من قبيل ((لاريب فيه)) يعنى ان القرآن ليس محلا للريب وان ارتساب فيه المبطلون (ولا لقائل في مغمز) الغمز هو الاشارة بالسوء نحو احد، وهو مصدر ميعى وكذلك المهمز (الدليل عندي عزيز) اى انزله منزلة الاعزاء (حتى اخذ الحق له) ثم اتركه و شأنه (والقوى عندي ضعيف) لا ابالى بقوته ولا اخاف بطشه و سطوته (حتى اخذ الحق منه) للذى سلب حقه ، وهذا ان كناية عن انه لا يبالي الا بالحق فهو يأخذ من الغاصب ليوفره على المغصوب منه ، وان كان الاول قويا والثاني ضعيفا (رضينا عن الله) سبحانه (قضائه) اى الذى حكم بان نكون نحن سادة وامراء و جعلنا بمنزلة تكون محلا لهجوم الاعداء ، يدا و لسانا (وسلمنا لله امره) فلم نرد امره فينا و التسليم عبارة عن عدم معارضة الانسان قلبا او لسانا مع ما قدر الله من الامور ، قالوا وقد قال الامام عليه السلام ذلك حينما اتهمه بعض الناس فى انبائاته الغيبية وقالوا انه يكذب .

(اترانى اكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله) ؟ اى كيف اكذب عليه فيما اخبر عنه من الاخبار الغيبية (والله لانا اول من صدقه) فان الانسان انما يهون عند منسبة الاقوال الكاذبة الى احد اذا كان غير معتقد بذاك الشخص ، غير عزيز عنده ، اما من يكون عنده عزيز افلا ينسب اليه خبرا مكذوبا حتى اذا ظهر كذبه سقطت منزلته عن القلوب (فلاكون اول من كذب عليه) اى نسب اليه قولا عن المستقبل ، بالكذب قالوا ان الامام عليه السلام لما قال سلونى قبل ان تفقدونى فوالله لا تسئلونى عن فئه تفل مائة و تهدى مائه الا انبئتكم بناعقها و سائقها ، قام اليه انس النخعى

فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي ، فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي ، وَإِذَا أَلْمِثَاقُ فِي عُنُقِي
لِغَيْرِي .

فقال اخبرني كم في رأسي ولحيتي طاقة شعر؟ فقال والله لقد حدثني حبيبي ان
على كل طاقة شعر من رأسك ملك يلعنك وان كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً
يغويك وان في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله ، وقد كان قاتل الحسين عليه السلام
(سنان بن انس) في ذلك الوقت طفلاً يدرج .

(فنظرت في امرى) بعد معات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم — وكان هذه
الجملة باعتبار قوله اول مصدق به — (فاذا طاعتي) على الناس (قد سبقت بيعتي)
عليهم ، فان الله سبحانه وجب على الناس طاعتي ، قبل ان يأخذ الرسول منهم
البيعة لى في غد يرخم (واذا الميثاق) اى العهد الاكيد (فى عنقى لغيرى) وهو
الله سبحانه يعنى انه اخذ على الميثاق بان اقوم باعباء الخلافة ولذا تعرضت للامر
والالم اكن اوقع نفسى فى ميثاق الخلافة ومعارضتها ، وقد يحتمل فى الجملتين
معان اخر والله العالم بمراد اوليائه .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ: فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاؤُهُمْ
فِيهَا الْيَقِينُ ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا

((ومن خطبة له عليه السلام))



(وانما سميت الشبهة) وهو الأمر العسقل وجهه هل هو حلال ام حرام (شبهة
لانها تشبه الحق) فلا يعلم انها حق ام باطل ؟ (فاما اولياء الله) اى احبائه اذا
وقعوا فى الشبهة (فضاؤهم فيها اليقين) اى يستضيئون باليقين العام الذى لهم
فى الامور ، فاذا كانت الشبهة من مصاديق الباطل تركوها ، واذا كانت من مصاديق
الحق اقتحموا فيها ، فمثلا الشبهة التى اثارها معاوية حول ادانة الامام بقتل عثمان ،
يكون موقف اولياء الله منها : انهم سمعوا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله :
((على مع الحق والحق مع على)) ولذا يضربون بالشبهة عرض الحائط (و دليلهم
سنت الهدى) اى طريقة فان الهدى باد العلاقة فى ان الامام على الحق ولو فرض
انه اشترك فى قتل عثمان لانه دائم المواظبة على التقوى والحيطة فى صغيرات
الامور فكيف بكبرياتها .

(واما اعداء الله) الذين لا يريدون اتباع الحق (فدعائهم فيها) اى فى

الضلالُ ، ودليلهم العمى ، فما ينجو من الموت من خافه ، ولا يعطى البقاء من أحبه .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مُنِيْتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ ، لَا أَبَا لَكُمْ ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ ؟

الشبهة (الضلال) اى انما يدعون الى الضلالة (ودليلهم العمى) اى انهم كالذين يتقدمهم اعمى فى القيادة حتى يوردهم موارد الهلكة لانه لا يبصر الطريق (فما ينجو من الموت من خافه) كانه تفريع على عدم اتباع الشبهة ، بغير هدى ، لان الناس عرضة للموت فلا ينبغي للانسان ان يهدم اخرته لدنيا زائلة فالانسان وان خاف الموت لا بد وان يلاقيه (ولا يعطى البقاء من احبه) اى احب البقاء الابدى فكل نفس هالك الا وجهه ، وما كان لبشر من قبلك الخلد .

((ومن خطبة له عليه السلام))

(منيت) اى ابتليت (بمن لا يطيع اذا امرت) بالجهاد ونحوه (ولا يجيب اذا دعوت) ' ' ' مرجع او اقدام او احجام (لا ابا لكم) كلمة تستعمل فى المـسـدح — باعتبار ان الذى لا اب له يملك امر نفسه — وفى الذم — باعتبار ان من لا اب له تسوء تربيته ولا يظهر له ، وهذا دعاء بالخير او الشر ، وان كانت فى صورة جملة خبرية وبالقرينة يعرف المراد (ما تنتظرون بنصركم ربكم) ؟ وهذا استفهام

أَمَّا دِينَ يُجْمَعُكُمْ ، وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمَشُكُمْ ! أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخًا وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثًا ، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا ، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا ، حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ ، فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَارٌ ، وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرَجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرِ ،

استنكاري أي ليس هناك غاية أحسن من نصر الله ، فانه موجب للسعادة في الدنيا ، والآخره ، فهل بعد ذلك انتظار آخر؟ (اما دين يجمعكم؟) على كلمة واحدة حتى تجاهدون في سبيلها (ولاحمية) أي انفة ورفعة نفس (تحمشكم؟) أي تغضبكم حتى تقوموا بالانتقام من اعدائكم ؟ من حمشه أي ساقه بغضب .

(اقوم فيكم مستصرخا) أي اطلب صرختكم وانتصاركم لي ، فان الناصر يصرخ للمنصور له حتى يسمع الصوت من هو بعيد فيأتي للنصرة (وانا ديك متغوثا) أي قائلًا واغوثًا ، والغوث هو الذي يغيث الانسان وينقذه من ايدي اعدائه (فلا تسمعون لي قولًا) أي سماعًا نافعًا تعلمون بحسبه (ولا تطيعون لي امرًا) فيما امركم به (حتى تكشف الامور) اصله تنكشف حذفت احدى تائيه على قاعدة المضارع اذا اجتمعت في اوله تائان (عن عواقب المساءة) أي ان الامور في المستقبل تظهر عن العواقب التي توجب المساءة والحزن والذي يسوء (فما يدرك بكم ثار) الثار هو الدم المراق ظلما ، أي انكم لستم انصارا مجددين حتى يدرك الموتور ثاره بسببكم .

(ولا يبلغ بكم مرام) المرام المقصد أي لا يبلغ الانسان بنصركم مقصده اذ انتم لا تنتظرونه (دعوتكم الي نصر اخوانكم) فقد خطب الامام عليه السلام بهذه الخطبة بعد ان أغار نعمان بن بشير على عين التمر احد اعمال الامام عليه السلام وقد كان المستنهض هم اصحابه حتى يلاحقوا المغيرين فتثاقلوا ، فعاتبهم بهذه الخطبة (فجرجرتم جرجرة) الجمل الاسر) الجرجرة صوت يردده البعير في حنجرتة والاسر

وَتَشَاقَلْتُمْ تَشَاقُلَ النَّضْوِ الْأَذْبَرِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ
« كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ » .

(اقول : قوله عليه السلام متذائب أى مضطرب من قولهم تذائب الريح أى
اضطرب هبوبها . ومنه سعى الذئب ذئبا لاضطراب مشيته)

صفة للبعير الذى أصيب بداء السرور وهو مرض فى سرتة ينشأ من الدبرة التى
تصيب البعير ، وإذا مرض بذلك أظهر صوتا رخيمًا شجيا يدل على الضعف والوهن
والمرض (وتشاقلتم) التشاقل هو التعاجز بإظهار ثقل عن الحركة (تشاقل النضو) هو
المهزول من الأبل (الأذبر) هو البعير المجروح فى ظهره من القتب ونحوه (ثم
خرج إلى منكم) بعد الدعوة والصرخة (جنيد) تصغير جنداى جند قليل (متذائب) كأنه
الشمعة المذابة التى لاسعن لها (ضعيف) .

(كأنما يساقون إلى الموت) من الخوف والوجل (وهم ينظرون) فإن الذى يرى
الموت بعينه يكون بطوئه فى الحركة أكثر ومظاهر الوجل والخوف عليه أظهر .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الخوارج لما سمع قولهم : « لا حكم إلا لله »

كَلِمَةً حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ !

((ومن كلام له عليه السلام))

ففي الخوارج لما سمع قولهم : لا حكم إلا لله

فقد قال الخوارج ذلك يريدون أن التحكيم في تعيين الخليفة ليس بصحيح فمن حكم فهو كافر - على أصلهم الفاسد من أن كل مرتكب ذنب فهو كافر حلال الدم - وقد كان هذا الكلام منهم خطأً انه ، اذا لم يقبل الناس حكم الله فسي تعيين الخليفة - كما لم يقبلوا الامام بعد تعيين الله له - ولم يجلس اهل الحل والعقد لتعيينه ، فمن ياترى يقود الامة ؟ هل يبقون بلا حاكم ، وهو موجب للفوضى و الفساد ام يتركون الامر حتى يسيطر عليه كل غاشم ، وهذا اسوء واكثر فساداً . ثم انا نعتقد ان الله سبحانه عين الحاكم وهو الرسول ثم الامام ثم الفقيه الجامع للشرائط ، واذا تعدد الفقيه كان الامر لأعلمهم على قول المشهور ، او يعين بالاقتراع ونحوه - الى كلام طويل ليس هنا محل ذكره - اما الانتخابات فلم تكن من الاسلام في يوم من الايام - خصوصاً بهذه الصورة الديمقراطية الرجعية السائدة في هذا اليوم -

(كلمة حق يراد بها باطل) يعنى ان كون الحكم لله كلمة حق ، اذا المشرع

نَعَمْ إِنَّهُ لَا جُحْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ : لَا أَمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ ،
وَأِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي أَمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ ، وَيَسْتَمْتِعُ
فِيهَا الْكَافِرُ ، وَيُبْلَغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفِيءُ وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ

هو الله وحده لا الناس وإنما استعملوا هذه الكلمة - الخوارج - في نفى تعيين
الحاكم ، وهذا غير مربوط بتلك الكلية ، فإن الحكم غير الحاكم ، فالكلى صحيح و
التطبيق باطل (نعم انه لاحكم الا لله) ومن احسن من الله حكما ؟ ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الكافرون (ولكن هؤلاء يقولون) ذلك ويريدون (لا امرة
الا لله) اي لا حاكم الا الله ، والحاكم الذي يسوس الرعية غير الحكم والشرعية
فالكبرى استعمالها في هذه الصغرى من باب المغالطة (وانه لا بد للناس من امير)
يدبر شئونهم ويفصل قضاياهم (بر او فاجر) فالبر يدبر الشئون حسب موازين الاسلام
والتقوى ، والفاجر يدبر الشئون حسب آرائه أو آراء الناس ، لكنه يحفظ المجتمع في
الجملة عن الانهيار والفوضى (يعمل) للاخرة (في امرته ، المؤمن) اي ان المؤمن
في اماره الامير و حكومته يعمل لاجل اخرته (ويستمتع فيها) اي في امرة الامير -
اذا كان - (الكافر) اي ان الكفار تحت اماره الامير يستمتعون بما قدر لهم من
انواع الاستمتاع في الدنيا ، بدون اضطراب وفوضى (ويبلغ الله فيها) اي في
امرة الامير (الاجل) اي ينتهي كل شئ الى اجله الطبيعي ، وذلك بخلاف ما لو
عاش الناس بلا امير فان الاضطراب ينقص الآجال (ويجمع به) اي بالامير (الفئ) اي
المال اللازم لتمشية الامور والمصالح العامة ، فانه لو لم يكن جبر وكره قلما استعداد احد
ان يعطى الحقوق المالية ، وسمى المال فيئا ، باعتبار ان المال لله عند الناس فاذا
اخذه ولى الامر فقد فاء اي رجع الى الله .

(ويقاتل به) اي بالامير (العدو) اذ الامير هو الذي يجمع الناس لمحاربة

وَتَأْمَنُ بِسَبِيلُ ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بِهِ بَرٌّ ،
وَيُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ .

وفي رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال :

حُكِمَ اللَّهُ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ . وقال : أَمَّا الْأَمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ وَأَمَّا
الْأَمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَمْتَنِعُ فِيهَا الشَّقِيُّ ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مَدَّتُهُ وَتُذْرِكَ مَنِيَّتُهُ .

الاعداء (وتأمين به) أي بالامير (السبل) جمع سبيل و هو الطريق ، فان اللصوص و
قطاع الطرق انما يخافون بأس الحكومات والسلطات (ويؤخذ به) أي بسبب الامير ،
الحق (للضعيف من القوي) الذي لا يخاف الا السلطة (حتى يستريح به) أي بالامير
(بر) اذ يعيش في كنفه في امن وسلام (ويستراخ من فاجر) يريد اذى الناس و
اشاعة الفوضى في البلاد .

((وفي رواية أخرى : انه عليه السلام لما سمع تحكيمهم))

أي قولتهم السابقة بأنه لا حكم الا لله ، حيث جعلوا الحاكم الله تعالى . قال :
(حكم الله انتظر فيكم) أي اني منتظر ان يحكم الله بقتلهم فاقتلهم حسب امره ،
فاني مطبق ما ذكروا من انه لا حكم الا لله ، (وقال : اما الامرة) أي الامارة (البرة)
أي الصالحة (فيعمل فيها التقى) بجميع موازين التقوى لانه لا يخاف احدا ولا يمنعه
عن العمل مانع (واما الامرة الفاجرة) التي لاتعمل بموازين الاسلام (فيمتنع فيها
الشقى) كما قال سبحانه قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ، فقد قرر الله سبحانه
لكل انسان مدة امتحان و وفر عليه في تلك المدة اسباب البقاء - حسب المصالح في
كثرتها و قلتها - فامرة الفاجر توفر هذه الوسيلة الامتحانية للانسان ، فهي امتحان
للفاجر الامير ، كما انها امتحان للشقى الذى يشقى بما وقر له من الاسباب فلا عذر
له غدا بأنه ان امهل احسن (الى ان تنقطع مدته) المقررة لبقائه فيها (وتذركه منيته)
أي موته .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصَّدْقِ ، وَ لَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْفَى مِنْهُ ، وَ لَا يَغْدِرُ مَنْ عِلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ . وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدْ اتَّخَذَ كَثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْسًا ،

((ومن خطبة له عليه السلام))

(ان الوفاء توأم الصدق) التوأم هما الولدان اللذان يتكونان في الرحم معا ، فكما انهما معا في الرحم لا يفارق احدهما الاخر ، كذلك الوفاء والصدق ، اذ الوفاء قسم من الصدق ، فان من يعطى عهدا ثم يفي به ، كان صادقا في اعطائه العهد ، بخلاف الذي لا يفي ، ولا يفي الا الانسان الذي له ملكة الصدق ، كما انه لا يصدق الا الذي يفي اذا عاهد (ولا اعلم جنة اوفى منه) اى من الوفاء فانه احفظ للانسان من سائر اقسام الجنة والوقاية ، اذ الانسان الوفي يكون كثير الاصدقاء والمدافعين ، فهم يقونه من كل محذور ، (ولا يغدر) بنقض العهد (من علم كيف المرجع) اى من كان عالما باحوال الآخرة ، اذ العالم بذلك يعلم وخامة العاقبة للغادر فلا يغدر ولا ينقض العهد والوفاء .

(ولقد اصبحنا في زمان قد اتخذ اكثر اهله) الظاهر ان المراد بالاكثريّة بالنسبة الى من بيدهم العقد والحل (الغدر كيسا) اى عقلا وسياسة ودهاءا فقد كثر في زمن الامام عليه السلام الغادرون الذين غدروا بشرائط الايمان او

للالامام الشيرازى ٢٠٣

وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ. مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ! قَدْ يَرَى
الْحَوْلُ الْقُلُوبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ ، فَيَدْعُهَا رَأْيَ
عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا ، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيْجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ .

ببيعة الامام عليه السلام (ونسبهم اهل الجهل) الذين يجهلون عواقب الامور (فيه)
اي في الزمان ، او في الغدر ، اي الجاهلون في هذا الزمان ، او الجاهلون بعواقب
الغدر (الى حسن الحيلة) وانه حيلة حسنة اذ الانسان الوفي قد يرى اشتباه رايه
فوفائه يلزم المكروه بخلاف الغادر الذي يتخلص من التبعة لما عهد بالغدر (مالهم)
يحكمون هكذا؟ (قاتلهم الله) دعاء عليهم بالهلاك ، وكان الاتيان بباب المفاعلة
لاجل ان اصل المعاتلة من طرفين ، فكل يريد قتل صاحبه .
قد يرى الحول) اي البصير بتحويل الامور القادر على الخروج من المشاكل
(القلب) العارف بتقليب الامور القادر على ان يقلب الامر ليخرج من الازمة (وجهه
الحلية) ويعرف طريق الخلاص (ودونه مانع من امر الله) فهو لا يفعل شيئا لان الله
امره بلزوم عمله (ونهييه) فلا يغدر مثلا لان الله نهى عن الغدر (فيدعها) اي
الحيلة (راى عين) اي في حال كونه قد رآها راي العين ، فليس عدم عمله لجهله
بالمخرج وانما لمانع له عن ذلك (بعد القدرة عليها) اي على وجه الحيلة (وينتهز)
اي يستلب ويأخذ (فرصتها) اي فرصة وجه الحيلة (من لا حريجة له في الدين)
الحريجة التحرج والتحرز من الاثام وقد كان الامام عليه السلام كذلك فكان بامكانه
كل شئ لكنه لم يكن يفعل لما يرى من الروادع الدينية ، بخلاف فرمائه الذين كانوا
يفعلون كل شئ في سبيل النيل من المال او المنصب .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَانِ : اتِّبَاعُ الْهَوَى ، وَطُولُ الْأَمَلِ . فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ . أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءً ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ

((ومن كلام له عليه السلام))

(أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم) أي أن أكثر الأشياء خوفاً عليكم ، بأن تقعوا فيه ويوجب سلب دنياكم و آخرتكم (اثنتان) أي خصلتان الأولى (اتباع الهوى) بأن يتبع الإنسان ميوله النفسية التي تأمره بالم لذات والمشتبهات المحرمة ، (و) الثانية (طول الأمل) بأن يكون الإنسان طويلاً الأمل يعني نفسه بالبقاء في الدنيا طويلاً (فأما اتباع الهوى فيصد) أي يمنع (عن الحق) إذ الحق غالباً في ضد الهوى ، فإذا كان الإنسان متبعاً لهواه منع عن العمل بالحق وذلك يوجب شقاوة الدنيا والآخرة (وأما طول الأمل فينسى الآخرة) إذ الإنسان إذا طال أمسه اشتغل بأمور الدنيا وانغمس في ملذاتها وذلك يوجب نسيان الآخرة ، فقد ورد أن الدنيا والآخرة ضربتان كلما أرضيت أحديهما سخطت الأخرى (ألا) فليتنبسه السامع (وإن الدنيا قد ولت) أي أدبرت (حذاء) أي ماضية سريعة التصرف لا نقضاء وذلك لأن دنيا كل أحد تسير سيرة سريعة ، وإن ظنها بطيئاً ، ولذا لا تمر الليالي والأيام الا وقد انقضت المدة ، وتمت الأيام الموقته لكل أحد .

(فلم يبق منها) أي من الدنيا (الاصباة) هي البقية من الماء واللبن التي

كَصْبَابَةِ الْإِنَاءِ أَصْطَبَهَا صَابُهَا . أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ ، وَلِكُلِّ
مِنْهُمَا بَنُونَ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ،
فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ ،
وَعَدًا حِسَابٌ ، وَلَا عَمَلٌ .

قال الشريف : أقول : الحذاء ، السريعة ، ومن الناس من يرويه «جذاء»

تبقى في الإناء معرضة للصب (كصباية الإناء) ومهما رأى الإنسان باقى عمره طويلا
فانه ينظر الواقع، ليس أكثر من صباية الإناء (اصطبها) أى تركها (صاها) أى
تاركها، وهذا لتأكيد معنى النفرة عن الدنيا، فكما ان بقية الماء لاشان لها كذلك
بقية ايام الدنيا (ألا) فليتنبه السامع (وان الآخرة قد اقبلت) وكل آت مقبل، وكلما
مضى يوم من ايام الدنيا، اقتربت الآخرة بمقدار يوم (ولكل منهما) أى من الدنيا
والآخرة (بنون) فبنو الدنيا من يهتمون لها وبنو الآخرة من يستعدون لاجلها
(فكونوا) ايها الناس (من ابنا الآخرة) العاملين لاجلها .

(ولا تكونوا من ابنا الدنيا) بان تصرفوا همتمكم لاجلها غافلين عن الآخرة
(فان كل ولد سيخلق بامه يوم القيامة) فمن كان من ابنا الدنيا يلحق بالدنيا ويلقى
فى جهنم ومن كان من ابنا الآخرة يلحق بالآخرة ويذهب الى الجنة (وان اليوم
عمل ولا حساب) اذ كل عامل خيرا او شر لا يحاسب من عند الله سبحانه ولا يجازى
ما يستحق من الجزاء (وعدا حساب ولا عمل) فبالموت ينقطع العمل ويحاسب كل
فريق بما عمل، وهذا تحريض على مبادرة الانسان على الاعمال الصالحة قبل ان يأتى
يوم لا يجد فيه مجالا الى العمل .

((أقول)) هذا من كلام السيد الرضى (ره) ((الحذاء: السريعة ، ومن الناس

من يرويه جذاء)) أى مقطوعة خيرها، من جذ بمعنى قطع .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد اشار عليه اصحابه بالاستعداد للحرب بعد ارساله جرير بن عبد الله
البجلي الى معاوية

إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ ، إِغْلَاقُ لِلشَّامِ ،
وَصَرْفُ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ . وَلَكِنْ قَدْ وَقْتُ لَجَرِيرٍ وَقْتًا

((ومن كلام له عليه السلام))

وقد اشار عليه اصحابه بالاستعداد للحرب بعد ارساله جرير بن عبد الله
البجلي الى معاوية

فقد كان الامام عليه السلام ارسل جرير الى معاوية بكتاب احتجاجي حول
الخلافة ، وبيان ان شقه للعصى بلاعذر ، ولما كان الظاهر لدى اصحاب الامام ان
معاوية اطماع ، لا انه ممن يريد الحق ، اشاروا على الامام في المحاربة ، قبل ان يرجع
جرير بالجواب ، لكن الامام عليه السلام لم يقدم على ذلك ، وقال هذا الكلام :
(ان استعدادي لحرب اهل الشام) بان اعدّ العدة للمحاربة (وجرير عندهم)
الواو للحال (اغلاق للشام) اي اغلاق لابواب السلم في وجوههم (وصرف لاهله) اي
اهل الشام (عن خير) في اطاعة الامام (ان ارادوه) فان الانسان اذا استعداد
لمحاربة احد صم الطرف المقابل على المحاربة وكان ذلك موجبا لتبعيده عن سبيل
الخير الذي يحتمل ان يسلكها لو لم يحاربه (ولكن قد وقت لجرير وقتا) اي حددت

لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِيًا . وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَانَةِ فَارُودُوا وَلَا
أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ .

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، فَلَمْ
أَرَ إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ

له موعدا (لا يقيم بعده) أي بعد انتهاء ذلك الوقت (الامخدوعا او عاصيا) فاعل
يقيم ((معاوية)) أي ان اقام بعده الوقت على المخالفة ، لم يخل حاله عن احدا من
اما انه قد خدع وغر ، فلا يأتي الى الطاعة ، واما انه عاص ، وفي كلا الحالين قد
اتممت الحجة ، ولا غشاة في المحاربة ، بعد ذلك (والرأي عندي مع الاناة) أي ان
نصبر حتى نرى العواقب رأى العين ثم نقدم في الامر (فارودوا) من الارواد وهو
السير برفق (ولا اكروه لكم الاعداد) أي لا مانع من ان تستعدوا للحرب ، ولكن لا
تحاربوا حتى تظهر العاقبة .

مركز تحقيق مكتبة ميرزا محمد باقر

(ولقد ضربت انف هذا الامر وعينه) وهذا مثل يراد به الاستقصاء في البحث
والطلب ، فكما ان من يضرب عين انسان وانفه فقد هزمه بتغيير ملامحه وتشويهه كذلك مسن
يستقصى في الامر ، فكأنه غلب على الامر وهزمه فلم يبق خاف عصيا عليه لا يدري ما هو ، والمراد
بهذا الامر امره مع معاوية (وقلبت ظهره وبطنه) وهذا تشبيها آخر ، فان الانسان اذا اراد
الاطلاع على الشيء يقلبه ظاهرا وباطنا حتى لا يبقى شيء معضلا لا يعرفه بل يطلع على
خفاياه كما اطلع على ظاهره (فلم ار الا القتال) بان نقاتلهم حتى امحو الكفر عن
بلاد الاسلام (او الكفر) فانهم ان بقوا قلبوا الامة كافرين ، وقد صرح بذلك معاوية
في خبر ينقله ((مغيرة)) انه قال لا اجوز عن اخماد بنى هاشم حتى امحو اسم
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، كما ان ولده يزيد قال ((لعبت هاشم بالملك
فلا)) ((خبر جاء ولا وحى نزل)) وكذلك الوليد بعض ذويهم في قوله ((اذا ماجئت
ريك يوم حشر)) ((فقل يا رب مزقني الوليد)) .

إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى النَّاسِ وَالِ أَحَدَثَ أَحْدَاثًا ، وَأَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالًا ،
فَقَالُوا ، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا .

ثم بين الامام عليه السلام جواب عذر معاوية - في عدم البيعة - بانه يطلب دم عثمان، بقوله (انه قد كان على الناس وال) اي عثمان (احدث احداثا) اي ابدع بدعا في الاسلام (واوجد للناس مقالا) اي فتح على نفسه باب ان يقول المسلمون فيه كل شرفان الانسان اذا عمل سيئا فتح على الناس الى نفسه باب النقصد و الاقوال السيئة (فقالوا) اي قال الناس فيه ما قالوا واخذوا يعددون بدعه واحداثه (ثم) لما لم يروا منه تغييرا للمفاسد (نقموا) و غضبوا عليه (فغيروا) بان اجتمعوا فقتلوه ، فليست انا فاعل ذلك حتى يعتذر معاوية عن عدم بيعتي ، بانه يطلب بذلك دم عثمان ، وانما يريد هو الخلافة ، ويتركها من هذا الباب مستغلا عواطف السذج البسطاء .

٤٤٠ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية ، وكان قد ابتاع
مُسْنِيَّ بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام واعتقهم ،
فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام

((ومن كلام له عليه السلام))

((لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية وكان قد ابتاع سبي بنسبي
ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام واعتقهم فلما طالبه)) الإمام عليه
السلام ((بالمال)) الذي اشترى السبي ((خاس به)) أي خان بالمال ((وهرب
إلى الشام)) . وقصة ذلك أنه كان الخريت بن راشد الناجي أحد بني ناجية مع
أمير المؤمنين عليه السلام في صفين ونقض عهده بعد صفين : فصار مع الخوارج ونقم
عليه في التحكيم وخرج يفسد الناس ويدعوهم للخلاف فبعث إليه أمير المؤمنين عليه
السلام كتيبة مع معقل بن قيس الرياحي لقتاله مع من انضم إليه من بعض المسلمين
الذين ارتدوا إلى المسيحية ومن أشبههم فادركته الكتيبة بسيف البحر بفارس ، و
بعد دعوته إلى التوبة وأبائه قبولها شدت الكتيبة عليه وعلى جيشه فقتل وقتل
معه كثير من قومه وسبي من أدرك في رجالهم من الرجال والنساء والصبيان فكانوا
خمسائة أسير ، ولما رجع معقل بالسبي مر على مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وكان
عاملاً لعل عليه السلام على أردشير خزه ، فبكى إليه النساء والصبيان وتوايح

٢١٠توضيح نهج البلاغة

قَبَّحَ اللَّهُ مَصْقَلَةَ ! فَعَلَ فِعْلَ السَّادَاتِ ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ ! فَمَا أَنْطَقَ
مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَنَهُ ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ ، سِوَ أَقَامَ لِأَخَذِنَا
مَيْسُورَهُ ، وَأَنْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وَفُورَهُ .

الرجال يستغيثون في فكاكهم فاشتراهم هبيرة من معقل بخسمائة الف درهم ، ثم
استدعاه الامام عليه السلام الى الكوفة فجاء فدفع مائتي الف ، وبقي عليه الباقي فخاف
من طلب الامام له ، ففر الى معاوية .

(قبح الله مصقلة) هذا دعاء عليه بان يقبحه الله تعالى ، وان كان في قالب
الجملة الخبرية (فعل فعل السادات) فان الانسان السيد يعطف على الضعفاء ،
ويفك الاسراء (وفرار العبيد) اذ العبيد اذا لم يجد للعسر يسرا فر ، لانه لاعلاقة
له بشئ ، اما السيد فانه لا يفر بل يبقى ويفصل الامر ، وان كان فيه له عسر وشدة
(فما انطق مادحه) اي انه بفعله فعل السادات جعل الناس يمدحونه ، لكنه ما
انطقهم (حتى اسكنه) فان الانسان اذا عمل سيئا بعد عمل حسن ، لم يمدحه احد
لان السيئات تحبط الحسنات (ولا صدق واصفه) فمن كان يصفه - سابقا - بالفضلة
كان فعله مصدقا له (حتى بكته) التبكيت هو الاسكات بعنف وتقريع (ولو اقام) في
مقامه ولم يفر (لاخذنا ميسوره) اي المال الذي كان في ميسوره متيسرا عنده (و
انتظرنا بماله وفوره) اي زيادة ماله في المستقبل حتى نأخذ منه الباقي ، فلم نكن
نضيق عليه .

٤٤ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلَا مَخْلُوءٌ مِنْ نِعْمَتِهِ وَلَا مَأْيُوسٌ مِنْ مَغْفِرَتِهِ ، وَلَا مُسْتَنَكِفٌ عَنْ عِبَادَتِهِ ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ .

((ومن خطبة له عليه السلام))

خطب بهذه الخطبة في يوم عيد الفطر

(الحمد لله غير مقنوط من رحمته) القنوط هو اليأس ، اى لست مأیوسا من رحمته تعالى (ولا مخلو من نعمته) يعنى ان نعمه سبحانه دائم التهطال على (ولا مأیوس من مغفرته) اى انى آمل وراج ان يغفر لى ، وهذا لا ينافى عصمته عليه السلام ، فان الانبياء و الائمة عليهم السلام حيث كانوا يرون انفسهم فى محضر الله سبحانه كانوا يعدون الضروريات الجسدية خلاف الاولى ، فكانوا يستغفرون منها - كما ذكرنا ذلك مفصلا فى - تقريب القرآن - (ولا مستنكف عن عبادته) الاستنكاف هو الاستكبار اى لا تكبر عن عبادته سبحانه وطاعته (الذى لا تبرح منه رحمة) اى ان رحمته دائمة لا تنقطع ، من برج بمعنى زال ، و ((منه)) للنشر ، وفى بعض النسخ ((له)) مكان ((منه)) (ولا تفقد له نعمة) فان نعمه سبحانه متواترة دائمة لا يفقدها الانسان ، فى وقت من الاوقات .

٢١٢توضيح نهج البلاغة

وَالدُّنْيَا دَارٌ مِّنِي لَهَا الْفَنَاءُ ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ ، وَهِيَ حُلُوةٌ خَضِرَةٌ ،
وَقَدْ عَجَلَتْ لِلطَّالِبِ ، وَالتَّبَسَّتْ بِقَلْبِ النَّاطِرِ ؛ فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ
مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ ، وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا
أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ .

ثم عطف عليه السلام الى الدنيا فقال (والدنيا دار منى لها الفناء) اى قدر
لها، فان الله سبحانه خلق الدنيا دارا متوسطة ينتقل منها الانسان الى الاخرة
(ولا هلمها منها الجلاء) اى الخروج ، فبالموت يخرج الانسان من هذا العالم الى
عالم آخر، وان بقى روحه وجسده (وهى) اى الدنيا (حلوة خضرة) فذاقها حلوة،
ومنظرها خضرياً منع جالب (وقد عجلت للطالب) اى اسرعت اليه ، فان من طلب
الدنيا اسرعت الدنيا اليه - فى كثير من الاحيان - او المراد انها عاجلة (و
التبست بقلب الناظر) اى ان الدنيا اختلطت بقلب الذى ينظر اليها ، فان محبتها
داخلة فى القلب (فارتحلوا عنها باحسن ما بحضرتكم من الزاد) اى هيئوا لانفسكم
احسن الزاد الذى تتمكنون منه ، لتنتقلوا منها فى يوم انتقالكم ، وقد استصحبتم
احسن الزاد ، وهو الايمان بالله والعمل الصالح (ولا تسئلوا فيها فوق الكفاف) اى
فوق المقدار الذى يكفيكم ، حتى يكون عليكم حسابه ووباله (ولا تطلبوا منها) اى
من الدنيا (اكثر من البلاغ) اى الذى يبلغكم الى الاخرة ، حتى تكونوا خزانة
لغيركم ، و عليكم وبال المفاضل .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند عزمه على المسير إلى الشام

اَللّٰهُمَّ اِنِّىْ اَعُوْذُ بِكَ مِنْ وُعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسُوْءِ الْمَنْظَرِ فِي الْاَهْلِ
وَالْمَالِ . اَللّٰهُمَّ اَنْتَ الصّٰحِبُ فِي السَّفَرِ ،

((ومن كلام له عليه السلام))

عند عزمه على المسير الى الشام

فان معاوية ابدى العصيان للأمام وجهز الجيش لمقاتلته عليه السلام فسار
اليه الامام بجيشه والتقيا فى ارض تسمى ((صفين)) وطالت الحرب مدة مديدة ،
انتهت بالتحكيم .

((اللهم انى اعوذ بك من وعثاء السفر) اصل ((اللهم)) يا الله ، حذف حرف
النداء ، وعوض عنه ((الميم)) والوعثاء المشقة (وكآبة المنقلب) الكآبة الحزن ، و
المنقلب مصدر ميمي بمعنى الانقلاب ، اى الرجوع ، بمعنى ان لا نرجع محزونين للحقوق
الانهزام بنا (وسوء المنظر فى الاهل والمال) بان ارى منظرا يسوئنى فى اهلى
او مالى ، وذلك يكون بموت بعض الاهل او مرضهم ، او انحرافهم ، ونقصان المال
وما اشبه (اللهم انت الصاحب فى السفر) اى تصحب عنايتك ورعايتك المسافر

وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ ، وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَبًا ، وَالْمُسْتَصْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا .

فلا يصيبه اذى (وانت الخليفة فى الاهل) اى تبقى رعايتك خلفا للمسافر، عند اهله لئلا يصيبهم مكروه (ولا يجمعهما) اى الاستصحاب للمسافر والبقاء عند اهله (غيرك) فان غير الله سبحانه لا يقدر على هذا الجمع بين المتنافيين - بالنسبة الى الاجسام - (لان المستخلف) الذى بقى واستخلف (لا يكون مستصحباً) للمسافر (الذاهب) (والمستصحب) الذى مع الانسان فى السفر (لا يكون مستخلفاً) اى باقيا ، فان الاجسام لا بد لها من مكان ، ولا يمكن لها الكون فى مكانين .



مركز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكر الكوفة

كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاطِيِّ ، تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ
وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ ،

((ومن كلام له عليه السلام))



في ذكر الكوفة

(كأنى بك) أصله كأنى أرى بواسطتك ، والشئ إذا صار على حالة رأى الانسان تلك الحالة بواسطة ذلك الشئ (ياكوفة) ومثل هذا الخطاب ، للسامعين ، وان كان موجها نحو شئ لا يعقل (تمدين مداديم العكاظي) عكاظ كان سوقا للعرب قرب الطائف يجتمعون اليه من اول شهر ذى القعدة ليتعاضوا - اى يتفاخروا - كل بالدية من فضيلة او ادب فكان يباع فيه كل شئ ، وكان اكثر ما يباع فيه ((الاديم)) و هو الجلد المدبوغ ، ولذا نسب اليه ، والمعنى انه كما يعد الاديم ((كالمطاط)) كذلك تديمين انت ياكوفه بواسطة العسف والحروب والانقلابات والثورات (تعركين بالنوازل) جمع نازلة و هى العصيبة الشديدة سميت بذلك لانها تنزل من السماء ، والعرك الدلك (وتركبين بالزلازل) جمع زلزلة ، وهى الامر الذى يوجب الاضطراب والتحريك العنيف ، اى ان الزلازل تركبك ، وتكون فيك .

وَأَنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سُوءًا إِلَّا ابْتِلَاةُ اللَّهِ بِشَاغِلٍ ، وَرَمَاهُ
بِقَاتِلٍ !

(و انى لأعلم انه ما اراد بك جبار سوءا الا ابتلاء الله بشاغل) اى بما يشغله
عنك ، من مرض او موت او ما اشبه مما يصرفه عنك ، والمراد بالجبار الظالم الذى
يجبر الناس على ما يريد (ورماه بقاتل) اى بامر يقاتله ويهلكه وهنا لا بأس بذكر
امور ثلاثة على وجه الایجاز .

الاول - ان كل دولة قامت دفعة لا بد وان تمحى من الحيات دفعة اذا لم
يكن فيها صلوح البقاء ، وان كان فيها صلوح البقاء لا بد وان تضطرب اضطرابا
كثيرا ، والدولة الاسلامية حيث قامت فجأة ، وكان فيها صلاحية البقاء اصابتها
اضطرابات كثيرة بعد موت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وفى زمن عثمان ، وفى
زمن الامام عليه السلام ، وذلك لان ولادة الحيات الجديدة حيث تعارض الحيات
السابقة توجب التعارض فان كان فى الحيات الجديدة صلاحية البقاء تقدمت على
الحيات السابقة والاختفت وتقدمت الحيات السابقة عليها .

وحيث ان كوفة كانت من المراكز المهمة كانت محلا للاضطرابات .

الثانى - ان كوفة محترمة باحترام المسجد واحترام كونها مدفن الامام عليه
السلام ولذا ما اراد الجبارون بها سؤا من قتل اهلها او تشريدهم او ايدائهم
الا كان ذلك خلافا للحرمتين ولذا يدافع الله سبحانه عنهم .

الثالث - ان كوفة كانت محلا للاضطرابات مثل اضطراب الثوار فى زمن عثمان
واضطراب الخوارج فى زمن الامام عليه السلام ، واضطراب ((زياد)) فى زمن معاوية ،
واضطراب ((ابن زياد)) فى زمن يزيد ، ثم ((المختار)) ثم ((مصعب)) الى غير ذلك
من الاضطرابات الكثيرة التى دامت حوالى قرن ، اما ابتلائهم فقد روى المؤرخون
ان زياد رمى بالفالج وابنه عبيد الله رمى بالجذام ، والحجاج اصابه داء فى مقعده

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند المسير إلى الشام

الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ ،

وتوارت الديدان الكبار في بطنه حتى اهلكته خنفسانه لدغت استه وعمرو بن هبيرة وابنه يوسف اصابهما البرص، خالد القسري ضرب وحس حتى مات جوعاً، ومصعب ويزيد المهلب قتلا، وهكذا

((ومن خطبة له عليه السلام))

عند المسير إلى الشام

ان الامام عليه السلام لما اراد الذهاب الى صفين لمقاتلة معاوية بعث زياد بن النصر وشريح بن الهاني في اثني عشر الف فارس مقدمة له وامرهم ان يلزموا شاطئ الفرات فاخذوا شاطئها من قبل البرمما يلي الكوفة حتى بلغوا ((عانات))، والملطاط - هو جنب الشاطئ الفرات ثم خرج عليه السلام من الكوفة وانتهى الى المدائن فحذرهم ووعظهم ثم سار عنهم وخلف عليهم عدى ابن حاتم وتبعه ثمانمائة رجل تحت لواء عدى وخلف ابنه زيد عليهم ثم تبعه زيد باربعمائة آخرين ثم التحق المقدمة بالامام عليه السلام حتى تلاقي الجيشان في صفين .
(الحمد لله كلما وقب ليل) اي دخل الليل (وغسق) اي اشتدت ظلمته

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ ، وَلَا مُكَافِئِ الْإِفْضَالِ . أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّظْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ مُوَطَّنِينَ أَكْنَافَ دَجَلَةَ ، فَأَنْهَضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أُمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ .

أقول : يعنى عليه السلام بالملطاط ها هنا السمت الذى امرهم بلزومه و هو شاطئ الفرات ، ويقال ذلك أيضا لشاطئ البحر فأصله ما استوى من الأرض ، ويعنى بالنظفة ماء الفرات و هو من غريب العبارات وعجيبها .

(والحمد لله كلما لاح نجم) أى ظهر فى السماء (وخفق) أى غاب ، أو تمسج بسبب هبوب الهواء (والحمد لله غير مفقود الانعام) أى ان نعمه لا تفقد بل تستمر وتتوالى (ولا مكافئ الافضال) أى ان الانسان لا يتمكن ان يكافئ ، فضله واحسانه ، اذ لا يملك الانسان شيئاً ليرده على الله سبحانه فى مقابل فضله ورحمته (اما بعد فقد بعثت مقدمتى) أى مقدمة جيشى — كما مر — (و امرتهم بلزوم هذا الملطاط) هو حافة الوادى و شفيره و ساحل البحر (حتى يأتىهم امرى) وانهم ماذا يصنعون (وقد أردت ان اقطع هذه النظفة) أى الفرات لان الامام عليه السلام عبره الى المدائن ، والنظفة هى المال القليل ، ولذا سعى العنى بالنظفة ، ولعل تسميته بها توهيناله فى مقام عزم الامام عليه السلام (الى شردمة منكم) أى جماعة منكم ، و هم اهل المدائن (موطنين اكناف دجلة) أى الذين اخذوا الوطن فى جوانب نهر دجلة ، فان اكناف جمع كنف و هو الطرف .

(فانهمضهم معكم الى عدوكم) أى اجعلهم يتعاونون معكم لمحاربة معاوية (و اجعلهم من امداد القوة لكم) الامداد جمع مدد و هو ما يتقوى الجيش به من الرجال و السلاح .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ . وَ
أَمْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ ؛ فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ تَرَهُ يَنْكِرُهُ وَلَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ
يُبْصِرُهُ : سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ

((ومن خطبة له عليه السلام))

(الحمد لله الذي بطن خفيات الامور) معنى بطن الخفيات علمها ، وخفيات الامور ، ما خفى على الحواس من اعماقها ، ومن ما غاب عنها ، كاعماق البحار ، وكنه الانسان والحيوان ، وابعاد السماء وما اشبه ذلك كله (ودلت عليه) تعالى (اعلام الظهور) جمع علم ، وهو علامة الشئ الدالة عليه ، والمراد بها الادلة الظاهرة ، التي تدل عليه سبحانه من السماء والارض والنجوم والمياه وغيرها ، فان كل شئ ظاهر يدل على ان له الها قادرا عالما حكيما (وامتنع على عين البصير) فان الانسان المبصر لا يشاهده ولا يراه لافى الدنيا ولا فى الآخرة لفقد شرائط الروية بالنسبة اليه كما ذكره فى علم الكلام ، والاتيان بلفظة ((البصير)) للتعميم ، نحو ((ولا طائر يطير بجناحيه)) .

(فلا عين من لم تره ينكره) اذ العين انما تنكره غير المبصر اذا لم يدل عليه دليل ، وقد دلت الادلة على وجوده تعالى (ولا قلب من اثبته يبصره) اى المثبت لوجوده تعالى لا يتمكن من رؤيته ، والمراد ان غير الرائي لا يتمكن من انكاره والمثبت لا يتمكن من ابصاره (سبق فى العلو) سبق بالنسبة الى الاولية ، والسبق بالنسبة

٢٢٠ توضيح نهج البلاغة

فَلَا شَيْءٌ أَعْلَى مِنْهُ ، وَقَرَّبَ فِي الدُّنْوِ فَلَا شَيْءٌ أَقْرَبُ مِنْهُ . فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ
بَاعْدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ . لَمْ يُطْلَعْ
الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ ، وَلَمْ يَخْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ ، فَهُوَ الَّذِي
تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ ،

الى الاوليه ، و السبق بالنسبة الى العظمة ، فهو قبل كل عال ، كما انه اعلى من كل
عال رتبة (فلا شئ اعلى منه) فان المخلوق لا يمكن ان يكون اعلى من الخالق (و
قرب في الدنو) الى الاشياء دنو علم و قدرة (فلا شئ اقرب منه) حتى انه سبحانه
اعلم بالانسان و اقدر على الانسان ، من الانسان بالنسبة الى نفسه .

(فلا استعلاؤه) اى علوه (باعده عن شئ من خلقه) كما هو الشأن في الاجسام
فكلما على جسم على جسم ازدار ابتعادا عنه (ولاقربه) تعالى الى الاشياء (ساواهم
في المكان به) اذ ليس القرب هنا بمعنى القرب الجسمى حتى يكون المتقارب الى
الشئ مساويا له في المكان ، بل كما تقدم علو معنى و قرب بالعلم و القدرة و
الاحاطة (لم يطلع العقول على تحديد صفته) فان عقل الانسان لا يتمكن من ادراك
صفته سبحانه ، اذ المدرك يحيط بالمدرك ، والله سبحانه لا يحاط بذاته ولا اوصافه
لانها غير متناهية والشئ المتناهي لا يحيط بما لا يتناهي (ولم يحجبها عن واجب
معرفته) يعنى ان العقل و ان لم يطلع على كنه صفاته تعالى ، ولكنه يعرف مقدارا
قليلا - مما وجب ان يدرك و يعرف - فالعقل يدري انه تعالى عالم قادر حكيم -
- مثلا - و ان لم يك يدرك حقائق هذه الاشياء .

(فهو) سبحانه (الذى تشهد له اعلام الوجود) اى ادلته ، والمراد بهـ
المجودات ، لانها اعلام و ادلته على وجوده تعالى (و فى كل شئ له آية))
(تدل على انه واحد)) (على اقرار قلب ذى الجحود) يعنى ان الانسان الذى

تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوءًا كَبِيرًا !

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّمَا بَدْءٌ وَقُوعٌ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ ، وَأَحْكَامُ تُبْتَدَعُ ، يُخَالَفُ فِيهَا
كِتَابُ اللَّهِ ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا ،

يجحد وينكرو وجوده تعالى باللسان ، فانما هو مقر بالقلب ، لما يعرف من اعلام
الوجود والايات الكونية ، كما قال سبحانه ((ووجدوا بها واستيقنتها انفسهم))
فالشهادة انما وصلت الى قلب الجاحد ، ولم يتمكن الجاحد ، ان
يدفع قلبه حتى لا يعترف ، فانما هو مضطر الى الادعان (تعالى الله) اي ترفع عما
يقوله المشبهون به) فهو ارفع من مزاعم الوثنيين الذي يشبهون الله بخلقه ، و مزاعم
الذين يظنون ان الله جسم اوله صفات الاجسام (والجاحدون) اي المنكرون (له)
فانه ارفع عن الانكار ، فلا يمكن انكاره (علوا كبيرا) اي علوا زائدا .

((ومن كلام له عليه السلام))

(انما بدء وقوع الفتن) جمع فتنة ، اي ابتداء وقوعها (اهواء تتبع) بان
يتبع ملقى الفتنة هواء صارفا نظره عن الحق والدين (واحكام تبندع) بان يبتدع
الشخص حكما جديدا احده من نفسه ، ثم يجمع له انصارا حتى يصطدم بالمحقين
ويسبب الفتنة والاضطراب (يخالف فيها) اي في تلك الاحكام (كتاب الله) سبحانه
(ويتولى عليها) اي على تلك الاهواء والاحكام (رجال رجالا) بان يستعين الاناس

عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ . فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى
الْمُرْتَادِينَ ؛ وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لِبْسِ الْبَاطِلِ لَا نَقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ
الْمُعَانِدِينَ ؛ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ ، فَيُمَزَّجَانِ !
فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، وَيَنْجُو ﴿الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
الْحُسْنَى﴾ .

المبتدعون باناس آخرين (على غير دين الله) يعنى ان التولى و النصره ليس على
دين الله ، وانما على الهوى و البدعة (فلو ان الباطل خلع من مزاج الحق) اى
كونه ممازجا و مخلوطا بالحق ، بان كان الباطل فى جانب و الحق فى جانب آخر
(لم يخف) الباطل (على المرتادين) اى الطالبين للحقيقة و الحق ، من ارتاد
بمعنى طلب ، والمراد به طالب الحق : (ولو ان الحق خلع من لبس الباطل) بان
لم يلبس على الحق لباس الباطل (لا نقطعت عنه) اى عن الحق (السن المعاندين)
فان الذين يعاندون الحق انما يعدون السنتهم الى الحق ، بالطعن فيه من جهة
الباطل الذى صار لبسالة ، باعمال الذين يلبسون الحق بالباطل ، وحاصل الفقرتين
انه لو كان الباطل معلوما اجتنبه الناس ، ولو كان الحق ظاهرا لم يلبسه الناس
بالباطل لم يجد المبطلون طعنا فى الحق ، اذ الحق لا طعن فيه (ولكن يؤخذ من
هذا) اى الحق (ضغث) اى قبضة و مقدار (ومن هذا) اى الباطل ، (ضغث) و
الفاعل لذلك اهل الباطل ، فان اهل الحق لا يأخذون الا الحق (فيمزجان) ويخلط
احدهما بالآخر (فهناك يستولى الشيطان على اوليائه) اى احبائه و التعابعين له ،
بان يأخذون الباطل باسم الحق و يطعنون فى الحق ، لانه ملبوس بالباطل (وينجو) من التردى
(الذين سبقت لهم من الله الحسنى) اى الذين علم الله سبحانه انهم لهم الصفة
الحسنى ، فلا يأخذون الا بالحق .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة
الفرات بصفين ومنعوا من الماء

قَدْ اسْتَطَعْتُمْ كُمُ الْقِتَالِ، فَأَقْرُوا عَلَى مَذَلَّةٍ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ؛ أَوْ رَوُّوا
السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرَوُّوا مِنَ الْمَاءِ؛



مرکز تحقیقات و پژوهش اسلامی
((ومن خطبة له عليه السلام))

لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات بصفين
ومنعوا من الماء

وذلك انه وقع في ((صفين)) اوجب زحزحة اصحاب الامام عليه السلام عن النهر
فلما انزاحوا عنه استولى عليه اصحاب معاوية ومنعوا اصحاب الامام من الماء .
(قد استطعتمكم القتال) اي طلبوا منكم ان تطعموهم ، و ذلك لان عملهم ذلك
كان في معنى طلب القتال (فاقروا على مذلة) اي اما ان تقروا على الذل ولا تحاربهم
(وتأخير محلة) اي تأخير المنزلة عن رتبة الشرف والشجاعة والدفاع عن الحقوق
(اورووا) من الارتواء بمعنى الشرب من الماء الى ان يذهب الظما ويمتلئ البطن
من الماء (السيوف من الدماء) بتكثير القتل فيهم (ترووا من الماء) لانهم اذا وجدوا

فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ . أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ
قَادَ لَمَّةً مِنَ الْغَوَاةِ وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ
الْمَنِيَّةِ .

السيف انزاحوا عن الماء (فالموت في حياتكم مقهورين) اي ان الانسان المقهور ميت ،
وان كان في الظاهر حياً ، وانما يطلق عليه الميت ، لانه لا يظهر منه اثار الحياة
التي هي حياية الوقار والشهامة والشجاعة (والحيات في موتكم قاهرين) لان
القاهر تبقى اثاره الحيوية وذكره الجميل بعده ، وذلك ثمرة الحيات .

(الا) فليتنبه السامع (وان معاوية قاذلة من الغواة) اللمة الذين يجمعون
من اللم بمعنى الجمع والغوات جمع غاوى ، بمعنى الضال (وعمس عليهم الخبر)
اي اخفى الحقيقة عليهم (حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية) نحور جمع نحس ، و
اغراض جمع غرض وهو الهدف كانهم استعدوا لان يموتوا في سبيل معاوية ، وهذا
تحريض لاصحابه عليه السلام لقتالهم وبيان مقدار صمود اولئك حتى يقدر موقفهم
فان بيان مقدار استعداد العدو موجب للاستعداد في الطرف المقابل .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّعَتْ ، وَآذَنْتْ بِوَدَاعٍ ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا وَأَذْبَرَتْ
حَذَاءً ، فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا ، وَتَحْذُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا ،

((ومن خطبة له عليه السلام))

في الترهيد في الدنيا ، ونعم الله على الخلق

(الا) فلينتبه السامع (وان الدنيا قد تصرمت) اي انقطعت وذهبت (و
اذنت) اي اعلمت (بوداع) بانها تذهب وتنقضي (وتنكر معروفها) اي صار
المعروف قليلا حتى انه ينكر ولا يعرف ، وهذه الجملة واشباهها بالنسبة الى
كل زمان واهل كل قرن ، اذا انقلبت احوالهم من حسن الى سئ وقد كان هكذا
زمان الامام عليه السلام حيث ان عصره بالنسبة الى عصر الرسالة كان كذلك (و
اذبرت) الدنيا (حذاء) اي مسرعة في الذهاب والرحيل (فهى تحفز) اي تدفع
(بالفناء) اي نحو الموت (سكانها) الذين هم ساكنون فيها في حيات وعيش (وتحدو) الدنيا
اي تسوق (بالموت جيرانها) الذين يجاورونها فالدنيا سائقة والموت عصاها و

وَقَدْ أَمَرَّ مِنْهَا مَا كَانَ حُلُوءًا وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفُوءًا ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا
إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ ، لَوْ تَمَرَزَهَا الصَّدِيَانُ
لَمْ يَنْقَعْ . فَأَزْمَعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا
الزَّوَالُ ، وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ . فَوَاللَّهِ
لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ أَوْلَاهِ الْعِجَالِ ،

الهلاك الغاية (وقد أمر) أي صار مرا نحو اظلم بمعنى صار الظلام (منها) أي من
الدنيا (ما كان حلوا) هذا كناية عن المشاكل التي حدثت فيها (وكدر منها) أي من
الدنيا (ما كان صفوا) أي تغير لونه من الصفاء إلى الكدورة (فلم يبق منها الا سملة)
هي بقية الماء في الحوض ونحوه (كسملة الاداوة) هي المطهرة التي يتطهر بها
وذكر ذلك لتأكيد الحقارة (او جرعة) هي المقدار الذي يتجرعه الانسان مرة واحدة
(كجرعة المقله) المقله حصاة كان المسافرون يضعونها في الاناء ثم يصبون الماء فيه
الى ان يغمرها ويتناول كل منهم مقدار ما غمره ، يفعلون ذلك لتسوية القسمة فيما
شح مائهم (لو تمرزها) التمرز الامتصاص قليلا قليلا (الصديان) هو العطشان (لم
ينقع) أي لم يرو من العطش (فازمعوا) أي اعزموا ، يا (عباد الله الرحيل) فان مرید
السفر يخفف حمله ويهتم بالامر ، وليس كالضائع الذي لا يبالي .

(عن هذه الدار المقدور على أهلها الزوال) أي ان الله سبحانه قدر وحكم
على زوال أهلها وعدم بقائهم فيها (ولا يغلبنكم فيها) أي في الدنيا (الامل)
فتأملون البقاء الطويل ، وتهتمون بها (ولا يطولن عليكم الامد) بان اذا رأيتم انه قد
طال امدكم ومنتكم في البقاء ، تركزون اليها وتنسون الآخرة (فوالله لو حننتم
التحنن العطف والميل (حنين الوله) جمع واله ، وهي الابل التي فقدت ولدها ،
كما يأتي جمع والهة ايضا (العجال) جمع عجول وهي الابل التي فقدت ولدها ، و
كان الوصفين باعتبارين انها والهة وانها تعجل في الامر للحصول على ولدها

وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ وَجَارْتُمْ جُورًا مُتَبَتِّلِي الرُّهْبَانِ ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ
مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ، أَلْتِمَسَ الْقُرْبَةَ إِلَيْهِ فِي أَرْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ ،
أَوْ غُفْرَانٍ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ ، وَحَفِظَتْهَا رُسُلُهُ ، لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا
أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ
وَاللَّهُ لَوْ أَنْعَمَتْ قُلُوبُكُمْ أَنْمِيَانًا ، وَسَلَّتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ

(و دعوتكم بهديل الحمام) هديله صوته الشجى لفقد الفه (وجارتم) اى دفعتهم
اصواتكم ، من الجوار و هو الصوت المرتفع (جوار متبتلى الرهبان) المتبتل المنقطع
للعبادة، والرهبان جمع راهب، و هو الخائف، غلب على المسيحي المنقطع عن
الدنيا الى العبادة .

(و خرجتم الى الله) اى الى محل تعبدونه فيه (من الاموال و الاولاد) لكلا
تتعلقون بعلائقها فتصرفكم عن العبادة (التماس القرية اليه) اى لاجل طلب التقرب
اليه تعالى ، والمراد تقرب المنزل و المرتبة ، فانه سبحانه منزله عن المكان (فى ارتفاع
درجة عنده) بان يتفضل عليكم برفع الدرجات فى الآخرة (او غفران سيئة احصتها)
اى اثبتها (كتبه) جمع كتاب، و هو ما يدرج فيه اعمال الخلائق (و حفظها رسله) و
هم الملائكة، كما قال سبحانه ((ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد)) (لكان قليلا)
جواب ((لو)) (فيما ارجو لكم من ثوابه) فان ثوابه سبحانه شئ عظيم جدا ، حتى
انه لا يخطر بقلب بشر من كثرتة وعظمتة - كما المع الى ذلك بعض الاحاديث - (و
اخاف عليكم من عقابه) اذ عقابه لا يطاق ، و ما كان كذلك كان اللازم ان يدئسب
الانسان للفرار منه ، والنيل من الثواب .

(والله لو انمائت قلوبكم انميانا) انمائت بمعنى ذاب، وهذا كناية عن انكسار
النفس خوفا و وجلا تشبيها للمعقول بالمحسوس (وسالت عيونكم) اى دموعها ، من
قبيل سال الميزاب - لعلاقة الحال والمحل - (من رغبة اليه) الى ثوابه و

أَوْ رَهْبَةً مِنْهُ دَمًا ، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا ، فِي الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ ، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ - وَلَوْ لَمْ تَبْقُوا شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُمْ - أَنْعَمَهُ عَلَيْكُمْ الْعِظَامُ ، وَ هِدَاةُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ .

رضاء تعالى (اورهبة منه) أى خوفا من نكاله وسخطه (دما) فان الانسان اذا بكى كثيرا جف ماء عينيه ويوجب الضغط اخراج الدم من اماقه (ثم) لترتيب الكلام لا ترتيب الموضوع (عمرت في الدنيا ما الدنيا باقية) أى الى آخر ايام الدنيا ((ما)) بمعنى ((المدة)) (ماجزت اعمالكم عنكم) جواب ((لو)) ومفعول ((جزت)) ما يأتى من قوله ((انعمه)) يعنى انكم لو كنتم كذلك ، لم تكن تجزى اعمالكم فى مقابل نعمته تعالى ، فكيف اذا لم تكونوا كذلك ؟ .

(ولو لم تبقوا شيئا من جهدكم) هذه جملة معترضة بين الفعل وهو ((جزت)) وبين المفعول وهو ((انعمه)) وانما جئى بهذا الاعتراض لانه من تنمة الكلام السابق ، يعنى انكم لو علمتم بمنتهى طاقتكم مع ذلك لا تؤدّون حق نعم الله سبحانه (انعمه عليكم العظام) هذا مفعول ((جزت)) وترتيب الكلام هكذا: لو انماثت قلوبكم ولم تبقوا شيئا من جهدكم ، ماجزت اعمالكم انعمه العظام (وهداه اياكم للايمان) فالهداية نعمة تشريعية ، وسائر النعم نعم تكوينية ، وانى للانسان ان يقوم بآداء حق هذه النعم التى لا تقابل بشئ ؟

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذكرى يوم النحر وصفة الاضحية

وَمِنْ تَمَامِ الْأُضْحِيَّةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنَيْهَا، وَسَلَامَةُ عَيْنَيْهَا، فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنَسْكِ

قال السيد الشريف الرضي : والمنسك هنا المذبح

((ومن كلام له عليه السلام))

في ذكرى يوم النحر، وصفة الاضحية

(ومن تمام الاضحية) هي منسوبة الى الاضحي ، اذا كان ذبحها وقت الضحى في اليوم العاشر من ذي الحجة ، او الى يومين بعدها ايضا ، ومعنى ((مسن تمامها)) ان ما يذكره عليه السلام من الشروط شرائط او اداب (استشراف اذنها) اي طولها ، وذلك كناية عن عدم نقصها خلقة او عارضا ، يقال استشرف الرجل اذ ارتفع (وسلامة عينها) بان لا تكون عوراء ونحوها (فاذا سلمت الاذن والعيسن سلمت الاضحية وتمت) بمعنى ان الشرط المهم ، الذي يمكن خلافه في الاضاحي قد وجد ، وهذا لا ينافي في اشتراط امور اخر - كما ذكر في الفقه - (ولو كانت عضباء القرن) اي مكسورته (تجر رجلاها الى المنسك) وهذا كناية عن عرجتها و المنسك المذبح .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَتَدَاكُّوْا عَلَيَّ تَدَاكَ الْاِبِلِ الْهَيْمِ يَوْمَ وَرْدِهَا ، قَدْ اَرْسَلَهَا رَاعِيَهَا ، وَخُلِعَتْ
مَثَانِيهَا ، حَتَّى ظَنَنْتُ اَنْهُمْ قَاتِلِي ، اَوْ بَغَضُهُمْ

((ومن خطبة له عليه السلام))

وقد كان يمنع اصحابه من قتال اهل الشام — في صفين — ليبتدء القوم

بذلك ، ولاتمام الحجة

(فتداكوا) من باب التفاعل ، بمعنى التزاحم ، كانه يدك بعضهم بعضا (على
تداك الابل الهيم) جمع هائم ، وهى الواله عطشا (يوم وردها) اى يوم شربها
الماء ، فان الابل فى ذلك اليوم تتزاحم بعضها بعضا تراحما عجيبا (قد ارسلها)
اى اطلقها على الماء (راعيها) فلا ينظم صفوفها (وخلصت مثنىها) جمع مثنى و
مثناء وهو الحبل الذى يعقل به البعير ، اى ان الحبال قد فككت عنها (حتى
ظننت انهم قاتلى) ومعنى ظننت ان المحل كان محل الظن ، فان شدة الازدحام
يوجب ان يداس الانسان ، وان يضيق عليه التنفس مما يوجب زهاق الروح (او بغضهم

قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ . وَقَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمُ ،
فَمَا وَجَدْتُنِي يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَنِي بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ ،
وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ .

قاتل بعض لذي لعين السبب الذي ذكر ، وكثيرا مات في الزحام بعض الناس - و
هذه الجملة مقدمة ، لبيانها عليه السلام جواز قتال هؤلاء ، اذ انهم انما يحاربون
اماماً عين بهذه الكيفية من اللاحاح والاصرار .
(وقد قلبت هذا الامر) اي قلبت وجه الرأي في مقاتلة هؤلاء القوم (بطنه و
ظهره) وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ، فكما ان من يريد اختبار شئ
يقلب اطرافه ، كذلك من يريد الاقدام على عمل مهم لينكر في وجوهه ومحتملاته
(حتى منعي النوم) اي ان النكر منعي عن النوم (فما وجدتني) اي لم اجد
نفسى (يسعني الاقتالهم) اي لا يجوز لى ذلك ، لانهم اهل الباطل (او الجحود)
اي الانكار (بما جئني به محمد صلى الله عليه وآله وسلم) فان من ترك قتال
البغاة كان منكرا لامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بلزوم قتالهم كما قال سبحانه
(فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفى الى امر الله) .
(فكانت معالجة القتال) اي اعالجه واقاسى مشقاته (اهون) وايسر (على
من معالجة العقاب) في الآخرة ، الناشئ عن مخالفة الله والرسول صلى الله عليه
وآله وسلم (وموتات الدنيا) اي احوالها وشدائدھا الشبهية بالموت صعوبة
واذية - مما تسببها الحرب - (اهون على من موتات الآخرة) التي تسببها مخالفة
الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا كناية عن انه يرى قتالهم ، ولكنسه
انما لا يقدم لمصالح اخر ، كما ذكر بعضها ، فليس في تأخيرها عليه السلام قتالهم
ترددا وشكا ، وانما مصلحة وحكمة .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين

أَمَّا قَوْلُكُمْ : أَكُلَ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي ، أَدَخَلْتُ
إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ . وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكًّا

((ومن كلام له عليه السلام))

((وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين))

مركز تحقيق كتب أمير المؤمنين عليه السلام

فلقد كثر الحاح أصحاب الامام عليه السلام له بان يأذن لهم في قتال اهل الشام فكان لا يأذن لهم ، حتى زعم بعضهم ان الامام يكره من الموت المحتمل وزعم آخرون انه شاك في جواز قتالهم فقال عليه السلام :

(اما قولكم : اكل ذلك كراهية الموت ؟) اي كل المنع عن القتال لاجل ان الامام يكره الموت (فوالله) ليس كذلك اذ (ما أبالي) اي لا اهم (ادخلت الى الموت او خرج الموت الى) هذا تشبيه للموت بسبع في وجاره يدخل الانسان اليه تارة فيفتربه ، ويخرج هو الى الانسان مرة فيقتله ، فانه قد يهاجم الانسان ، فكانه دخل السي الموت ، وقد يهاجم فكان الموت دخل عليه (واما قولكم) ان في عدم اذني (شكا

فِي أَهْلِ الشَّامِ ! فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي
طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي ، وَتَعْشُوا إِلَى ضَوْئِي ، وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا
عَلَى ضَلَالِهَا ، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا .

فی (جواز قتال (اهل الشام فـ) ليس كذلك اذ (والله ما دفعت الحرب يوما الا و
انا اطمع ان تلحق بي طائفة) من اصحاب معاوية (فتهتدي بي) اي بسببي الى
الحق فان الخداع لا يلبث ان يزاح فيظهر الحق (وتعشوا) يقال عشا الى النار
اذا ابصرها ليلا فقصدها (الى ضوئي) ويكون ذلك سببا لنجاتهم من النار (وذلك)
اي الصبر لعل طائفة يهتدون (احب اليّ من ان اقتلها على ضلالها وان كانت)
تلك الطائفة حينذاك (تبوء باثامها) اي تحمل خطاياها ، فتأخيري للرفق لا
لخوف الاثم .



وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا
وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا : مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ، وَمُضِيًّا عَلَى
اللَّقْمِ ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ



مركز تحقيقات علوم و تاریخ اسلامی

((ومن كلام له عليه السلام))

يبين موقف اصحاب الرسول وصبرهم و ثباتهم حتى تمكنوا من اعلاء
كلمة الاسلام

(ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) في بدء الاسلام (نقتل
آبائنا وابنائنا واخواننا واعمامنا) يريد بذلك انهم كانوا مستعدين لان يضحوا
في سبيل الاسلام باقرب اقربائهم (ما يزيدنا ذلك) القتل للاقارب (الا ايماننا و
تسليما) فلم تكن نجد في انفسنا غضاظة في الاسلام والايان ، بل كنا نزيد صمودا
فان الانسان كلما فدى شيئا باشيا ثمينة لديه يزداد ذلك الشيء قربا عنده ومنزلة
لديه (ومضيا على اللقم) هو جادة الطريق (وصبرا على مضض الالم) اي لذعته و

وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ؛ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُونَا يَتَصَاوِلَانِ
تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ
فَمَرَّةٌ لَنَا مِنْ عَدُونَا ، وَمَرَّةٌ لِعَدُونَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ
بِعَدُونَا الْكِبْتَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ وَ
مُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ . وَلَعَمْرِي

شدته ، فكنا نزداد صبرا واستقامة بكثرة المجاهدة وتفدية الاقارب (وجدداً فى
جهاد العدو) فتقوى انفسنا على الجهاد اكثر فاكثر .

(ولقد كان الرجل مناو) الرجل (الآخر من عدونا يتصاولان) اى يطلب كل
واحد منهما ازهاق روح الآخر ، فان التصاول هو ان يحمل كل قرن على قرنه يريد
قتله (تصاول الفحلين) من الشاة (يتخالسان انفسهما) اى يريد كل منهما ان
يختلس روح الآخر ويسلبه عن بدنه (ايهما يسقى صاحبه كأس المنون) المنون هو
الموت وقد شبه بكأس الخمر من جهة ان كلا منهما يوجب انتقال الانسان من حال
الى حال فالخمر توجب ذهاب العقل والموت يوجب ذهاب الروح (فمرة) يكتسبون
الغلب (لما من عدونا) فنغلبهم (ومرة لعدونا منا) فيكون الغلب لهم (فلما رأى
الله صدقنا) فى الجهاد والمثابرة وانا ماضون سواء غلبنا او غلبنا (انزل
بعدونا الكبت) اى الذل والخذلان (وانزل علينا النصر) حتى انتصرنا عليهم فى
نهاية المطاف .

(حتى استقر الاسلام) بان لم يخف ازالته ومحوه عن الوجود (ملقيا جرانته)
جران البعير مقدم عنقه من مذبحة الى منحرة ، والبعير اذا نام آمنا القى جرانته
على الارض ، وهذا كناية عن استقرار الاسلام وعدم الخوف عليه من الاعداء (و
متبوءا اوطانه) يقال تبوء الدار اذا جعلها منزلا وماوى له ، يعنى ان الاسلام
اتخذ لنفسه اوطانا هى محل اجتماع المسلمين ودارا منهم (ولعمري) اى قسما

لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عُمُودٌ وَلَا أَخْضَرُ لِلْإِيمَانِ عُودٌ . وَأَيْمُ
اللَّهِ لَتَحْتَظِلُنَّهَا دَمًا ، وَلَتَتَّبِعُنَّهَا نَدَمًا !

بحياتي - فان عمر بمعنى الحيات - (لو كنا نأتي) في سبيل الاسلام مثل (ما أتيتم)
انتم ايها المعاصرون لي ، من الضعف و الجبن و الوهن (ما قام للدين عمود) فكما
ان الخباء يقوم بالعمود كذلك الدين يقوم بشعائره و احكامه (ولا اخضر للإيمان
عود) كناية عن عدم حياته ، فان الشجر اذا لم يخضر عوده كان دليلا على موته .
(وايم الله) ايم بمعنى القسم - وفيه لغات - اي قسما بالله سبحانه
(لتحتلينها دما) الاحتلاب اخراج ما في الضرع من اللبن بالحلب ، والضمير فسي
(لتحتلينها)) عائد الى ما يفهم من قوله ((ما أتيتم)) وهو ((الاعمال)) اي
تستنتجون من اعمالكم شيئا سيئا كما ان من يحتلب الناقة فيأتي الدم مكان الحليب يكون
وبالا عليه (ولتتبعنها) اي تندمون على وهنكم وضعفكم وقد كان كما ذكره الامام
عليه السلام فان وهنهم اوجب قتل الامام عليه السلام واستيلاء معاوية معانكل بهم
تنكيلا ذريعا ، وتناجعت عليهم الفتن والمصائب .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا إِنَّهُ سَيُظْهِرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ ، فَاقْتُلُوهُ ، وَلَسَنُ تَقْتُلُوهُ !



وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وصف به معاوية بن أبي سفيان واستيلائه على الحكم

(اما) للتنبية (انه سيظهر عليكم) اي يتسلط عليكم يا اهل الكوفة ، كما قال سبحانه ((انهم ان يظهروا عليكم يرجعوك)) (بعدى رجل رحب البلعوم) اي واسع مجرى الحلق ، و ذلك كناية لكثرة اكله ، وكبر لقمته (مندحق البطن) اي عظيم البطن بارزه (ياكل ما يجد) من الملك ، و من الطعام ، فان معاوية كان كثيرا لاكل بعد ما دعا عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله اللهم لا تشيع بطنه ، كما انه كان حريصا على توسيع سيطرته (ويطلب ما لا يجد) من المأكّل ، و الاملاك ، (فاقتلوه) لانه غاصب ظالم مفسد (ولن تقتلوه) هذا اخبار عنه عليه السلام بانهم لم يفعلوا ذلك ، و ان كان مستحقا للقتل و لو كان المسلمون قتلوه يوم وجدوه لم يجزهم الى تلك الولايات التي يقاسى المسلمون عواقبها الى يومنا هذا ، و الى

أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي ؛ فَأَمَّا السَّبُّ فَمُسُؤُنِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي ؛ فَإِنِّي وَلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ

ظهر الامام الحجة عليه الصلاة والسلام (الا) فتنبها (وانه سيأمركم بسبى) فقد كان معاوية لعنه الله يأمر بسب الامام وشتته ، لاسقاط منزلته عن القلوب - و لكن ؛ ابي الله الا ان يتم نوره -

(و) يأمركم (بالبراءة مني) بان تبرئوا مني باطنا ، فان السب لسانى ، والبراءة باطنية (فاما السب فسبوني لوقد اباح الاسلام اظهار السب باللسان لانقاذ الحياة ، كما ورد فى قصة عمار انه نال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بلسانه حينما اجبره المشركون على ذلك ، فانزل الله سبحانه ((الامن اكره وقلبه مطمئن بالايمان)) و قال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : ان عادوا فعد (فانه) اى السب (لى زكاة) اى تطهير عند الله سبحانه ، فان الله يرفع درجة الامام - وذلك مشابهه للتطهير - بما يناله من السب ، ومضافا الى ذلك انه زكاة للامام فى الدنيا ، اذ المظلوم يلتف الناس حوله اكثر (ولكم نجاة) عن القتل الذى ينزله معاوية بكم ان امتنعتم عن سبى (واما البراءة) القلبية (فلا تبرئوا مني) ولا تقطعوا ودكم واصلتكم القلبية عنى .

لا يقال كيف يمكن قطع الصلة القلبية عن الشخص مع انه امر قلبى ليس باختيار الانسان ايجاده او افنائه ، فكيف يقع ذلك مورد النهى ؟ فان الجواب واضح اذا السود كسائر الامور القلبية - غالبا - قابلة للايجاد والافناء بالتفكر والعناية وجمع الادلة والشواهد ، ولذا ترى الانسان يحب انسانا ثم اذا اراد ان يبغضه تمكن من ذلك بقطع صلاته منه اولا ثم التجنب عنه وجمع النقد والنقص له ، وهكذا بالعكس (فانى ولدت على الفطرة) اى فطرة الاسلام ، فقد ورد ان كل مولود يولد

وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ .

على الفطرة الا ان ابويه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه — وهذه
الجملة كمقدمة للجملة الثانية — اذ كل انسان يولد على الفطرة اما الانسان الذي
ولد على الفطرة وراعى فطرته الى اخير حياته فذلك خاص بمن لم يشرك (وسبقت)
الناس (الى الايمان) حيث كان الامام عليه السلام اول الناس ايمانا (والهجرة)
مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة ، فلا يوجد قى ما يبرر البرائة
منى ، لاني متصل الايمان والاطاعة ،



مركز تحقيقات علوم اسلامی

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

کلم بہ الخوارج

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ. أَبْعَدَ إِيْمَانِي بِاللَّهِ . وَجِهَادِي مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا
أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ! فَأُوبُوا شَرَّ مَا بَ .

((ومن کلام له علیه السلام))

((کلم بہ الخوارج ، حین زعموا ان الامام قد کفر لانه رضى بالتحکیم ،
و طلبوا منه ان يتوب عن كفره !!))

(اصابکم حاصب) ہى ریح شدیدہ تحمل الحصباء اذا اصابنا الانسان اعطبتہ
والجملة دعاء علیہم بالہلاک (ولا بقى منکم ابر) ای رجل يقوم بتأییر النخل و
اصلاحه ، من ابر النخل اذا لقحه ، وهذا دعاء علیہم بالفناء جميعا (ابعد ایمانی
باللہ) الہمزۃ للاستفہام الانکاری (وجہادی مع رسول اللہ صلی اللہ علیہ وآلہ
سلم اشہد علی نفسی بالکفر) ای کیف اشہد وانا اول المؤمن واول مجاہد فان
الکافر لا یكون مؤمنا ولا مجاہدا (لقد ضللت اذا وما انا من المہتدین) ((اذا))
ای اذا کان الامر کذلک وهذا اقتباس من القرآن الحکیم (فآوبوا شر ما ب) ای

وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ . أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا ، وَسَيْفًا قَاطِعًا . يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً .

قوله عليه السلام ولا بقى منكم آبر يروى بالباء والراء من قولهم رجل آبر للذى يأبر النخل أى يصلحه ، و يروى آثر وهو الذى يأثر الحديث أى يرويه و يحكيه وهو أصح الوجوه عندى ، كانه عليه السلام قال : (لا بقى منكم مخبر . و يروى آبر بزاى المعجمه ، وهو الواثب والهالك أيضا يقال له آبر) .

ارجعوا عن دينكم الى شرمجع و هو الكفر (و ارجعوا على اثر الاعقاب) جمع عقب ، و اثرها العلام التى تتركها على الارض عند المشى ، وذلك لتأكيد كـون الرجوع فى نفس المسير الذى ساروا فيه ، و الامر فى المقامين للتهديد ، و اظهار التضجر .

(اما انكم) ايها الخوارج (سـتـلـقـون بـعـدـى ذـلا شـامـلا) أى ذلا يشملكم فقد وضع آل اميه فيهم السيف وعمومهم بالذل بلا هوادة ولا رحم و هذا طبيعى بالنسبة الى من يجرؤ الى اولى الامر ، فان ولى الامر ، اذا كان منصفا و كان معارضة وقضا، جر ذلك الى ذلّه فى المستقبل لعدم تحمل كل رئيس القحة من الناس (وسيفا قاطعا) كناية عن قتلهم بايدى الرؤساء من بعد الامام عليه السلام (واثرة) هى الاختصاص بالملك دون الخوارج بعدم اشراكهم فى دائر او عمل او مال (يتخذها الظالمون فيكم سنة) أى عادة مستمرة لا يحدون عنها .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما عزم على حرب الخوارج ، وقيل له : انهم قد عبروا جسر النهروان

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ ، وَاللَّهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ ، وَلَا يَهْلِكُ

((وقال عليه السلام))

لما عزم على حرب الخوارج وقيل له : انهم قد عبروا جسر

النهر

وذلك ان الامام عليه السلام بشر بان الخوارج قد ولوا وعبروا النهر فاعطسوه
اقفيتهم ، والعدو اذا كان قفاه في طرف الانسان كان غزوه اسهل والوقية فيه
ايسر ، لكن الامام عليه السلام يعلم الغيب عرف كذب الخبر ، وكان كما اخبر
(مصارعهم) اي مواضع وقوعهم قتلى على وجه الارض (دون النطفة) اي قبل الفرات
والنطفة اصلها الماء القليل ، ولذا يقال للمنى ((نطفة)) واستعملت في الماء الكثير
اما بعلاقة ال د او باعتبار قياسه الى ماء البحر (والله لا يفلت منهم عشرة) اي
لا ينجوا من الخوارج عشرة فانهم قتلوا جميعا باستثناء تسعة منهم (ولا يهلك

قال الرضى ((ره)) (يعنى بالنطفة ماء النهر و هو أفصح كناية عن الماء وان
كان كثيرا جما)

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما قتل الخوارج ف قيل له : يا أمير المؤمنين ، هلك القوم بأجمعهم !
كَلَّا وَاللَّهِ ؛ إِنَّهُمْ نُطْفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ ،

منكم) اصحابى (عشرة) فانه قتل منهم ثمانية اشخاص فقط .

((وقال عليه السلام))

ولما قتل الخوارج ، قيل له : يا امير المؤمنين هلك القوم باجمعهم

(كلا والله) ((كلا)) للردع اى انهم لم يهلكوا جميعا (انهم نطف في اصلاب
الرجال) نطف جمع نطفة ، و اصلاب جمع صلب ، و هو فقار الظهر ، سميت بذلك
لصلابتها ، والمعنى مستقر فى الصلب (وقرارات النساء) اى تراثهن و هى عظام
الصدر ، كما قال سبحانه ((يخرج من بين الصلب و الترائب)) و هذا كناية عن
انهم يمتدون و يخرجون من آباءهم الى الوجود ، وقد كان كما اخبر الامام فان
بعض الخوارج لم يقتلوا ثم اخذوا يكثرون بالتوالد و باغواء الناس حتى قتلوا الامام

كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَابِينَ .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَا تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ مِنْ بَعْدِي فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ ، كَمَنْ
طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَذْرَكَهُ .

وافسدوا في بلاد الاسلام ، وبقوا الى يومنا هذا (كلما نجم) اي ظهر (منهم
قرن) اي فئة ، وسميت قرنا لكونها شبيها به في ظهوره اول ما يظهر من اجزاء
الحيوان (قطع) اي استئصل ، وذلك لانهم كانوا ضد السلطات دائما ، كما
عرف الامام عليه السلام من طبيعتهم (حتى يكون آخرهم) اي مال آخرهم ان
يصبحوا (لصوصا سلابين) فانهم اذا لم يتمكنوا من مواجهة السلطات علنا
التجئوا الى الجبال والصحارى يسلبون الناس ويفسدون في الارض .

((وقال عليه السلام))

(لا تقتلوا الخوارج من بعدى) وانما نهى عن قتلهم لانه علم عدم ولاية الامر
بعده - من يستحقه ، ومن المعلوم انه لا يجوز لغير الولي الشرعي قتل الناس
كذا قيل لكن فيه نظر لما ذكره عليه السلام من التعليل بقوله (فليس من طلب الحق
فاخطأه كمن طلب الباطل فادركه) فان الخوارج كانوا قد طلبوا الحق ، لكنهم
اخطئوه ، بخلاف معاوية واصحابه الذين ارادوا الباطل فاصابوه وهنا اسئلة .
الاول - انه عليه السلام كيف قتلهم ، مع انه نهى عن قتلهم ؟

الثاني - هل انهم كانوا على خطأ معذورين ؟ .

الثالث - هل لا يجوز قتل المخطئ ؟ .

والجواب اما عن الاول ، انه انما قتلهم لانهم اثاروا الفتن و خرجوا على امام الزمان ومثل هؤلاء يجب قتلهم في الشريعة ، وانما نهى عن قتلهم على تقدير بقاءهم متفرقين لا يثيرون قلاقل و فتن ، و الكلام وان كان مطلقا لكن لا بد من حمله على ذلك جمعا بين الادلة .

واما عن الثاني ، انهم كانوا على خطأ لكنهم لم يكونوا معذورين لتعام الحجة عليهم ، و من المعلوم الفرق بين المخطئ الذي يريد الحق ، والذي يريد الباطل .
واما عن الثالث ، فبانه لا يجوز قتل المخطئ الذي لا يتم عليه الحجة اما من تمت عليه الحجة فقتله جائز مباح اذا تجمعت اسباب الجواز .

قال الشريف الرضي - في معنى قوله عليه السلام كمن طلب الباطل فادركه -

((يعني معاوية واصحابه)) . مركز تحقيق تكملة تفسير علوم اسدي

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما خُوف من الغيلة

وَإِنَّ عَلِيَّ مِّنَ اللَّهِ جُنَّةً حَصِينَةً ، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي أَنْفَرَجْتَ عَنِّي وَأَسْلَمْتَنِي
فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ ، وَلَا يَبْرَأُ الْكَلَمُ .

((و من كلام له عليه السلام))

— لما خوف من الغيلة —

((الغيلة)) القتل على غفلة من المقتول ، فقد كان ابن ملجم لعنه الله المح الى انه يريد قتل الامام عليه السلام ، وقالوا للامام في ذلك لكن الامام لم يكن يبالي بل قال في جواب الناس (وان علي من الله جنة حصينة) اي وقاية تحصنني عن القتل و تحفظني من الاغتيال مادام لم يأت وقتي (فاذا جاء يومى) اي يوم موتى (انفرجت عنى) اي ابتعدت الجنة عنى والانفراج هو الانشقاق كنى بذلك عن ابتعاد الجنة (واسلمتنى) حتى اموت (فحينئذ) اي حين الانفراج والتسليم (لا يطيش السهم) من طاش السهم بمعنى انحرف عن الغرض والمراد سهم الغيلة (ولا يبرأ الكلم) اي الجرح اي لا يطيب بل يفعل المقدور اثره ، لا يقال لو علم الامام عليه السلام ان ابن ملجم قاتله كيف جاز ان يتركه وشانه ؟ اذ الجواب واضح فان القصاص قبل الجنابة لا يجوز .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الترهيد

أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسَلَّمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا ، وَلَا يُنَجَّى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا :
أَبْتَلَى النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً ، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أَخْرَجُوا مِنْهُ وَحُسِبُوا
عَلَيْهِ ،

((ومن كلام له عليه السلام))

مركز تحقيقات كميته علوم اسلامی
- في الترهيد -

(الا) فليتنبه السامع (وان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها) اي ان السلامة
من عواقب الدنيا لا تكون الا في الدنيا فان الانسان اذا عمل صالحا وهو في
الدنيا نجى من شرورها وعواقبها ، وان لم يعمل صالحا حال كونه فيها ابتلى
بعواقبها السيئة (ولا ينجى بشيء كان لها) اي ان العمل الذي يعمل لاجل الدنيا
لا يكون فيه النجات وانما النجات بما يعمل للاخرة (ابتلى الناس بها) اي بالدنيا
(فتنة) اي لاجل الاختبار والامتحان (فما اخذوه منها لها) اي ان الشيء الذي
اخذوه من الدنيا ، لاجل دنياهم من المال والجاه وما اشبه (اخرجوا منه) لان
الموت اذا جاء اخرج الانسان مما هيئه من ملاذه وشهواته (وحسبوا عليه) فان
الانسان يحاسب على ما جمع من الدنيا .

وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ وَأَنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ
كَفَى الظِّلُّ ، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغًا حَتَّى قَلَصَ ، وَزَائِدًا حَتَّى نَقَصَ .

(وما اخذوه منها لغيرها) مما قدموه لآخرتهم من الانفاق و العمل الصالح
(قدموا عليه) فان الانسان يذهب نحو اعماله الصالحة التي ارسلها الى آخرته في
حياته (واقاموا فيه) اي بقوا مخلصين في النعيم الذي قدموه لانفسهم (وانها)
اي الدنيا (عند ذوى العقول) الذين لهم عقول سليمة لا تخالطها الشهوات (كفى
الظل) اي الظل الذي يغى ويرجع وهو ظل ما بعد الزوال ، او المراد الظل
الذي يغى ، وهو ما قبل الزوال مما تنسخه الشمس ، وهذا اقرب معنى و الاول
اظهر لفظا (بينا تراه) اي ذلك الظل (سابغا حتى قلص) اي انقبض (وزائدا
حتى نقص) والدنيا هكذا لا تلبث ان تزول وتعدم كان لم يكن شيئا مذكورا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ
بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُكُمْ

((ومن خطبة له عليه السلام))

— في التزهيد —

(فاتقوا الله) اي خافوا عقابه ، وذلك باتيان اوامره و الاجتناب عن زواجره
(عباد الله) هذا تذكير بانهم عبيد و يجب على العبد ان يتقى سيده و يخافه
(وبادروا اجالكم بأعمالكم) اي اعملوا قبل ان يوافيكم الاجل فكان الانسان والاجل
يتبادران فالانسان يريد ان يعمل قبل ان يموت والموت يريد ان يأخذ الانسان
قيل ان يعمل (وابتاعوا) اي اشتروا (ما يبقى لكم) من الآخرة (بما يزول عنكم)
من الدنيا ، وذلك بان يصرف الانسان جسمه وماله في مرضات الله حتى ينال
الآخرة (وترحلوا) اي انتقلوا ، والمراد به هنا لوازم الانتقال وهو تهيئة الزاد
للاخرة (فقد جدّ بكم) اي حثثتم للرحيل ، يقال جدّ بها السير اي اسرع في السير
(واستعدوا للموت) بتهيئة الامور اللائقة للآخرة (فقد اظلكم) تشبيه لقربه بالشئ

وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ
فَاسْتَبَدَّلُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً ،
وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ . وَإِنَّ غَايَةَ
تَنْقُصِهَا اللَّحْظَةُ ، وَتَهْدِيمِهَا السَّاعَةُ ، لَجَدِيرَةٌ بِقِصْرِ الْمُدَّةِ . وَإِنَّ غَائِبًا
يَخْذُوهُ الْجَدِيدَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الْاَوْبَةِ .

الذى يظل الانسان لانه اقترب اليه حتى انه صار على رأسه والقي ظلاله عليه (و
كونوا قوما صيح بهم) والصائح هم الانبياء والائمة والصلحاء حيث ارادوا تنبيههم
عن نومهم الذى هم فيه فقد شبه الانسان بالنائم الذى لا يعمل صالحا ولا يدفع
شرا عن نفسه (فانتبهوا) اى تيقظوا وقاموا من النوم .

(وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار) اى دار بقاء (فاستبدلوا) اى باعوا هذه
الدار واشتروا الدار الآخرة (فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثا) اى بلا غاية وفرض
حتى يهلككم (ولم يترككم سدى) اى مهمل بلا تكليف، حتى لا يريد منكم شيئا (وما
بين احدكم وبين الجنة) ان كان من اهلها (او النار) ان كان من اهلها (الا
الموت ان ينزل به) فاذا مات دخل فى الجنة او فى النار وهذا تحريض على
العمل لقرب الغاية التى يراها الانسان نتيجة اعماله (وان غاية تنقصها اللحظة)
المراد بالغاية المدة ، فان مدة بقاء الانسان فى الدنيا تنقصها كل لحظة من
لحظات الانسان اذ العمر مركب من لحظات، فكلما نقصت لحظة انتقص منه جزء
(وتهديمها الساعة) فان كل ساعة تهدم جزءا من اجزاء العمر (لجديرة بقصر المدة)
اى حقيق بان تكون ذات مدة قصيرة (وان غائبا) والمراد به الموت او امور
الآخرة (يخذه) اى يسره ليحضر (الجديدان) وهما (الليل والنهار) سميا
بذلك لان كلا منهما يتجدد كل يوم (لحرى) اى حقيق (بسرعة الاوبة)
اى الرجوع فكان كل واحد من الليل والنهار اذا جاء ومضى سبب وصول الغائب

وَأَنَّ قَادِمًا بِقَدَمٍ بِالْفَوْزِ أَوِ الشُّقْوَةِ لِمُسْتَحِقٍّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ . فَتَزَوَّدُوا مِنْ الدُّنْيَا ، فِي الدُّنْيَا ، مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا . فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ ، نَصَحَ نَفْسَهُ ،

ولذا استعار عليه السلام لذلك لفظة ((يحدوا)) .

كما ان لفظة ((الاوبة)) من باب التشبيه ، والا فالموت لم يكن سابقا ، حتى يطلق عليه ((اب)) بمعنى رجع ، او باعتبار كون الانسان كان سابقا جمادا فهو ميت ، كما قيل في قوله تعالى ((ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين)) (و ان قادم) هو الموت او امور الآخرة ، مما يقدم على الانسان - من باب التشبيه - (يقدم بالفوز) الابدى وذلك اذا كان الانسان من اهل الصلاح (او الشقوة) اذا كان الانسان طالحا (لمستحق) ذلك القادم (لأفضل العدة) اى ان يعد الانسان له افضل عدة حتى توجب تلك العدة ان يقدم بالفوز ، لا بالشقوة .

(فتزودوا) اى خذوا الزائد ، وهو ما يهيئه المسافر من مأكلا وسائر اللوازم ، لئلا يبقى في سفره خاليا عن ما يحتاج اليه (من الدنيا) بالاعمال الصالحة ، و الحال انتم (فى الدنيا) فان زاد الآخرة انما يحصل فى حال كون الانسان فى الدنيا (ما تحرزون) اى تحفظون عن العذاب والسخط (به) اى بذلك السخط (انفسكم غدا) عند الموت وبعده - وجعله غدا باعتبار مقابلة اليوم الذى هو مجموع عمر الانسان فى الدنيا - .

(فاتقى عبده) اى خاف من ربه ، فلم يعص ، وهذا وما بعده اوامر ، فى صورة الماضى ، والنكتة فى اخراج الامر هذا المخرج كثرة شوق الأمر الى المأمور به حتى كأنه وقع ومضى ، كما انه قد يأتى الاخبار عن المستقبل بصورة الماضى نحو ((نفخ فى الصور)) لاجل مثل ذلك (نصح نفسه) والنصح هو ان يظهر الانسان ما يوجب سعادة الطرف ، وكان الانسان بالعمل الصالح يكون ناصحا للطرف ، فطرف ناصح وطرف

قَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ ، فَإِنْ أَجَلُهُ مَسْتَوْرٌ عَنْهُ ، وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ ، يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا ، وَيُؤْمِنِيهِ لِيُسَوِّفَهَا حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا . فَيَا لَهَا حَسْرَةٌ

منصوح — والسرّان الانسان يجد في نفسه ازدواجا ، ولذا يكون فيها تجاذب و تدافع ، نحو كل عمل خير أو شر ، هذا يأمر و هذا ينهى (قدّم توبته) بمعنى انه لم يؤخر ، حتى يفلت الزمام من يده (لو غلب شهوته) اي اشتهاؤه بالمعاصي والآثام وما يوجب بعده عن ساحة القرب .

(فان اجله) الذي يوجب انتقاله من الدنيا الى الآخرة (مستور عنه) اذ لا يعلم الانسان انه اي وقت يموت ، فاللازم ان يقدم امره حتى اذا جاءه الاجل بغته لا يحسرو لا يتأسف ، (وامله) الذي يترجّاه لمستقبله من الخير الدنيوي (خادع له) يخدعه فربما لا يصل الى امله ، كما هو الكثير (والشيطان موكل به) اي هو كالموكل الذي يلاحظ اموره و يوجّبه نحو الضلال (يزين له المعصية) فيبين له فوائدها ، و يصرف نظره عن مضارها (ليركبها) اي يرتكبها وقد شبه تسلط الانسان على المعصية بالراكب المسلط على المركوب (و يمينه) اي يبين الشيطان للانسان ان التوبة ممكنة في المستقبل (ليسوفها) اي ليوجّلها ، من ((سوف)) .

(حتى تهجم منيته) اي الموت ، ومعنى الهجوم الورود دفعة (عليه اغفل ما يكون) اي في حال كون الانسان اكثر غفلة من كل وقت (عنها) اي عن العنبة ، و كونه اغفل باعتبار ان الانسان اذا تمادى في العصيان ، يزداد غفلة على غفلة ، حتى انه في وقت العنبة اكثر الاوقات غفلة (فيالها حسرة) ((يا)) حرف نداء ، و ((اللام)) للاستغاثه ، و ((ها)) راجع الى ((الحسرة)) ، و انما قدّم الضمير للتسهيل فان ذكر الصريح بعد التلويح اوقع في النفس ، لتعطش القلب الى الاظهار بعد

عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ ، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى
الشَّقْوَةِ نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ وَلَا تُقْصِرُ
بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ ، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا كَاآِبَةٌ .

الاخفاء، و((حسرة)) تميز، والمعنى، ايتها الحسرة احضري فهذا وقتك، وهذا
حكاية حال الذي تأتي اليه المنية وهو غفل ما يكون، اذ يتحسر اشد الحسرة، و
الحسرة التأسف والندامة، لما فات وقته، ولا تدارك لضرره .

(على كل ذي غفلة) اي ان هذه الحسرة الهائلة انما هي للانسان الغافل
عن آخرته ((ان يكون عمره عليه حجة) يحتج الله سبحانه بعمره عليه فيقول ((اولم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكروا جئكم النذير)) (وان تؤديه ايامه) التي جعلت له
لاجل سعادته (الى الشقوة) اي شقاء ابدى في الآخرة (نسئل الله سبحانه)
منصوب على تقدير فعل محذوف، اي اسبحه سبحانه، بمعنى انزهه تنزيها عن
النقائص (ان يجعلنا و اياكم ممن لا تبطره نعمة) اي لا توجب بطره و طغيانسه و
نسيانه الآخرة، كما قال سبحانه ((ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى)) ومعنى
((لا يجعلنا)) ان يلف بنا اللطاف الخفية حتى نتجنب عن الطغيان (ولا تقصر به
عن طاعة ربه غاية) اي ان بلوغ بعض الغايات الدنيوية لا تسبب تقصيره عن طاعة ربه
حتى لا يطيع لانه يريد الوصول الى امر دنيوي (ولا تحل به بعد الموت ندامة) بان
يندم على تقصيره في الدنيا وتركه او امر ربه (ولا كآبة) وهي الحزن و انقباض النفس
من الآلام و الاحزان .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا ، فَيَكُونُ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ
آخِرًا ، وَيَكُونُ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا ،

((ومن خطبة له عليه السلام))

يذكر فيها بعض صفات الله سبحانه وتعالى

(الحمد لله الذي لم يسبق له حال حالاً) كان يكون موجوداً قبل ان يكون
عالمًا ، وان يكون عالمًا قبل ان يكون قادرًا ، وهكذا ، كما هو صفة الخلق ، ان تتقدم
بعض صفاتهم على بعض صفاتهم الآخرة ، والسرفى ذلك ان الله سبحانه كامل منذ
الازل لا نقص فيه ، وانه لا يطرء عليه الزمان ، حتى يكون بعض اموره المرتبطة به
مقدمة على بعضها الآخرة ، ولذا قال عليه السلام (فيكون اولاً قبل ان يكون آخراً)
فان الله سبحانه لازمان له حتى يعتبر فى بعض احواله ((اولاً)) وفى بعض احواله
((آخراً)) بل هو هو ، لا اعتبار للاولية والآخرة فيه تعالى .

(ويكون ظاهراً قبل ان يكون باطناً) كما هو الشأن فى الاشياء فانها ظاهرة
ثم تبطن مثلاً الشئ الكائن على وجه الارض يحتف به الغبار وما اشبه حتى يبطن ،
وهكذا ، وهذا من باب احد المثالين ، فانه تعالى ليس باطناً قبل ان يكون
ظاهراً ، كما هو الشأن فى الاشياء فانها باطنة ثم تظهر ، كالاعشاب والمعادن وما

لِلْأَمَامِ الشِيرَازِيِّ ٢٥٥
 كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ ، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ ، وَكُلُّ قَوِيٍّ
 غَيْرُهُ ضَعِيفٌ ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ ، وَ
 كُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجَزُ ،

اليها ، ومعنى كونه تعالى ظاهرا انه معروف لدى العقل بالآيات والادلة ،
 كالأشياء الظاهرة التي يراها الانسان ، ومعنى كونه سبحانه باطنا انه مخفى
 الكنه لا تصل العقول الى كنه معرفته ، والحاصل ان معنى حال واحد ظاهر باعتبار ، وباطن باعتبار
 لا انه ظاهر ثم يبطن او بالعكس (كل مسعى بالوحدة) أى الأشياء المتفردة التى
 تطلق عليها الوحدة ، كالانسان الواحد ، والشجرة الواحدة (غيره) تعالى (قليل)
 لانه فى مقابل الكثرة ، بخلافه سبحانه فانه مع وحدته اقوى من كل شئ .
 (وكل عزيز غيره) سبحانه (ذليل) اذ عزته وقوته اضافية ، لا عزه له بذاته ، ولا
 دائم لعزته بخلافه تعالى فان عزته من ذاته ، وهى دائمة لا زوال لها (وكل قوى
 غيره) تعالى (ضعيف) بذاته ، وان كان قويا بالاضافة ، مثلا يقال فلان قوى ،
 يراد ان له اهلا او منصبا او مالا او قوة جسمية ، وكل هذه اشياء خارجة عنه
 طارئة عليه ، يمكن زوالها ، فهو ضعيف بذاته ، بخلافه سبحانه فان قوته من ذاته
 وليست مضافة ، ولا محدودة بقدر ، ولا موقوفة بزمان (وكل مالك غيره مملوك) فكونه
 مالكا لا يوجب سيادته بعد انه بذاته مملوك لله تعالى ، اما الله تعالى ، فهو
 المالك بقول مطلق الذى لا مالك له .

(وكل عالم غيره متعلم) قد تعلم العلم ، فان الانسان حين يأتى الى الدنيا
 ليس بعالم وانما يحصل العلم ، بخلافه سبحانه فانه عالم بذاته لم يتعلم العلم
 من احد (وكل قادر غيره يقدر ويعجز) أى يقدر على شئ ويعجز عن شئ ، ويقدر
 فى وقت ويعجز فى وقت بخلافه سبحانه فانه قادر على كل شئ فى كل زمان ، لا حد لقدرته

وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصْمُ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ ، وَيُصَمُّ كَبِيرُهَا وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعْدَ مِنْهَا ، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَغْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ بَاطِنٌ ،

(وكل سميع غيره يصم) أى لا يسمع (عن لطيف الأصوات) أى الأصوات الضعيفة ، بخلافه سبحانه فإنه يسمع كل صوت وإن كان فى منتهى الاخفات واللطافة. (ويصمه كبيرها) فإن الصوت الهائل يوجب صمم الانسان لخرقه محل السماع (ويذهب عنه ما بعد منها) أى ان الأصوات البعيدة لا يسمعها الانسان ، وهذا بخلافه سبحانه ، فإن الأصوات الهائلة والخافتة والبعيدة والقريبة كلها متساوية عنده تعالى ، اذ ليس سمعه بالالة . والجسمية حتى يفترق الامر عنده .

(وكل بصير غيره) سبحانه (يعمى عن خفى الألوان) أى الألوان المختلفة فى خلايا الاجسام أو الألوان الضعيفة ، فإن العين لا تدرك إلا الألوان الظاهرة الشديدة ، ولذا نرى بالمجاهرات الألوان الضعيفة بينما لانراها بالعين المجردة ، وهناك اللون لا ترى حتى بالمجهر (ولطيف الاجسام) أى الاجسام الدقيقة ، كالجراثيم الصغيرة ، والذرات ، وقد توصل العلم الى اختراع ((المكروسكوبات)) ولكنها لا ترى الادق من مدى المجهر ، وهذا بخلافه سبحانه فأنعيرى كل جسم وكل لون وإن كان فى غاية الدقة ونهاية اللطافة والخفاء (وكل ظاهر غيره باطن) فإن الاشياء مهما كانت معروفة ، فإنها مستورة عن كثير الناس ، والظهور هو الانكشاف بعكس البطون ، وهذا واضح فإن الاشياء الظاهرة حتى الشمس والقمر مخفيان عند الاعمى ، بخلافه سبحانه فإنه ظاهر لدى الجميع باثاره وصنائه .

ويحتمل ان يكون المراد ان وجود الاشياء - وهو ظهورها - ليس بذواتها ، فإنها فى ذواتها باطنة - أى معدومة - وانما ظهورها بالله سبحانه ، بخلافه

وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ . لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ ، وَلَا أَسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدْمِ مُثَاوِرٍ وَلَا شَرِيكَ مُكَابِرٍ وَلَا ضِدَّ مُنَافِرٍ ؛ وَلَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ ،

سبحانه فانه ظاهر بذاته ، لا بطون ولا عدم له منذ الازل الى الابد (وكل باطن غيره) سبحانه (غير ظاهر) فان الشئ المخفى و الشئ المعدوم غير ظاهر ولا منكشف للناس ، وذلك بخلافه سبحانه فانه مع كونه باطنا ظاهرا بالايات والادلة (لم يخلق) تعالى (ما خلقه) من جميع الاكوان (لتشد يد سلطان) اي لاجل ان تقوى سلطته كما هو الشأن في الناس فانه سلطتهم تقوى اذا كان ما يملكون كثيرا ، من غير فرق بين كون الممتلكات الجند او المال او الاراضى .
(ولا تخوف من عواقب زمان) بان خاف ان يدور زمانه الى زمان سيئ فخلق ما خلق ليكون له ذخيرة في يوم حاجته و زمان فقره - كما هو الشأن في الانسان - (ولا استعانة) اي لم يخلق ما خلق لان يستعين به (على ند) اي اى مثل (مثاور) اي المحارب ، من ((ثار)) بمعنى هاج للحرب والثوب ، فانه سبحانه لاند له ولا خوف له من احد (ولا شريك مكابر) بان يكون له شريك يريد ان يستعلى عليه ، فخلق ما خلق ، لاجل تحفظ مقامه من ان يعلو عليه شريكه (ولا ضد منافر) اي مغالب بان يريد الضد ان يغلبه في الرفعة والعلو فيخلق الله ما يخلق لئلا يتمكن ذلك الضد من منافرته ، يقال نافره في الحسب اي غلبه ، و ((الند)) و ((الضد)) متقابلان ، و فبقهما مع الشريك عدم شراكة زين ، بخلاف هذا ، فالشراكة وصف عرضي تطرأ على كل من الضد والند .

(ولكن) الاشياء (خلائق) لله (مرهوبون) اي مملوكون ، فانه مفعول من ((رب))
والرب الحقيقي - اي المربى - فى جميع المراحل -

وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ لَمْ يَخْلُ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالَ : هُوَ كَائِنٌ ، وَلَمْ يَنَأْ عَنْهَا
فَيُقَالَ : هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ . لَمْ يُوْدْ خَلْقٌ مَا أَيْتَدَا وَلَا تَذَبِيرٌ مَا ذَرَأَ وَلَا وَقَفَ
بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ ، وَلَا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ ،

هو المالك (وعباد داخرون) اي اذلاء ، لاضدية ولاندية ولا شراكة لهم مع الله سبحانه (لم يحلل) الله (في الاشياء فيقال هو) تعالى (كائن) فيها ، فانه سبحانه منزّه عن المكان ، اذ المكان من عوارض الحادث ، والله سبحانه ازلّ ، وقوله ((فيقال هو كائن)) اي كائن بهذا النحو ، اذ ليس المراد نفى كونه ((كائنا)) بقول مطلق (ولم يناء) اي لم يبعد الله سبحانه (عنها) اي عن الاشياء (فيقال هو منها) اي من الاشياء (بائن) اي منفصل ، وليس كالجسم الذي ان حلّ في شئ كان كائنا فيه ، وان لم يحل كان بائنا ، لان الحلول والبينونة متقابلان في الاجسام كالعقل والجنون ، بالنسبة الى الانسان والملئكي والمرتبة بالنسبة الى الرجال ، اما الله سبحانه فليس بمثل ذلك حتى يلزم ان يتصف باحدى الصفتين على سبيل منع الخلو ، بل هو مقترب الى الاشياء بالعلم والاحاطة ، مبتعد بالمهية والحقيقة ، (لم يوْد) اي لم يثقل عليه (خلق ما ابتداء) يقال آد ما مر اذا لثقلوا تبعه وهذا بخلاف الناس فانهم اذا عملوا عملا ثقل الامر عليهم بعد ذلك لما لذلك الشئ من التبعة (ولا تدبير ما ذرأ) ((ذرأ)) بمعنى خلقه اي ان تدبير امور المخلوقين لا يثقل عليه سبحانه ، لان قدرته وعلمه عامان لا حد لهما ، حتى اذا وصل الشئ الى مرتبة يوجب ثقلا عليه تعالى (ولا وقف به عجز عما خلق) بان يكون له مقدار من القدرة ، حتى اذا عملها انتهت وعجز عما سوى ذلك (ولا ولد) دخلت (عليه) تعالى (شبهة فيما قضى وقدر) كما هو صفة الانسان اذا عمل عملا رأى بعض النقائص فيه تدخله الشبهة هل كان مصيبا فيما عمل ام لا .

بَلْ قَضَاءٌ مُتَقَنٌ وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ . الْمَأْمُولُ مَعَ النَّقْمِ وَالْمَرْهُوبُ
مَعَ النَّعْمِ !

(بل) امره سبحانه (قضاء متقن) لا تدخله الشبهة (وعلم محكم) لا حذله
ولا وقوف ولا تنزل (وامر مبرم) من ((ابرم)) بمعنى قتل الجبل فتلا محكما
(المأمول مع النقم) يعني انه سبحانه وان انزل النعمة بعيد من عباده ، لا
ينقطع رجاء ذلك العبد عنه تعالى ، لانه يعلم ان الانزال لمصلحة ، وليس كالناقمين
الذين اذا نقموا قطعوا خيرهم وبرهم (والمرهوب مع النعم) يعني انه تعالى مع
انه ينعم ، مرهوب ، اذ اعماله وفق الحكمة والصلاح ، وليس كالانسان الذي اذا
انعم على شخص كان ذلك دليلا على انه لا يعد به .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ : اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ ، وَتَجَلَّبَّوْا السَّكِينَةَ ،

((ومن كلام له عليه السلام))

في تعليم اصحابه كيفية القتال ، قالوا ، وقد قال هذا الكلام في
صفين ، ليلة الهرير ، او غيرها

(معاشر المسلمين) منادى محذوف منه حرف النداء ، وهو جمع معشر ،
بمعنى الجماعة (استشعروا الخشية) اي لازموها في حال الحرب ، فان الانسان
الذي يخشى من الله سبحانه - بان يفكر حتى يوجد في نفسه الخشية ، الذي
هو معنى استشعروا - يعمل بجِد و اخلاص مما يقدم الامر الذي بيده ولا يقف
لخوف من الناس او مارب ، من مارب الدنيا (وتجلببوا السكينة) من الجلباب ، وهو
الثوب الطويل الذي تلبسه المرأة فوق ثيابها لستر جميع جسدها ، وذلك كناية بان
يكون الانسان موقرا من قرنه الى قدمه ، فلا يتحرك حركات غير لائقة ، ولا يضحك او
يصيح او ما اشبه مما لا يناسب السكينة والوقار ، وذلك مما يوجب انشغال النفس
بالامور التافهة فلا يتركز الذهن في انجاح الامر بخلاف ، المتجلبب بالسكينة .

وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ . وَأَكْمَلُوا اللَّأْمَةَ
وَقَلَقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا . وَالْحَظُّوا الْخَزَرَ ، وَأَطَعْنُوا الشَّرَرَ ،

(وعضوا على النواجذ) جمع ناجذ و هو اقصى الاضراس ، ولكل انسان اربعة
نواجذ ، و هى التى تنبت بعد البلوغ وتسمى سنّ العقل ، والعض على النواجذ
يوجب قوة ارادة الانسان ، لازدياد الحرارة فى اعصاب الرأس ، والحرارة تلازم
شدة البطش ، ثم ذكر عليه السلام علة جميع ما ذكر ، او علة الامر الاخير بقوله (فانه
انبى للسيف عن الهام) اى موجب لأبعيدة سيف العدو ، والذي افهم من هذا
الكلام انه كناية عن ما يلزم تلك الصفات او الصفة الاخيرة من قوة الانسان ، وبعض
الشراح فسروه بقولهم انه اذا عض الانسان على ناجذه كانت هامته اصلب على مقاومة
السيف ، فكان انبى عنها وابتعد عن التأثير فيها .

(واكملوا اللأمة) هى الدرع ، او مطلق آلات الحرب ، واكملها ، الاتيان
بها كاملا ، لزيادة التهيؤ للحرب (وقلقلوا السيف) اى جربوها بالاخراج و
الادخال مرارا (فى اغمادها) جمع غمد و هو قراب السيف (قبل سلهها) اى
اخراجها فى حال الحرب ، وانما يفعل ذلك لئلا يعصى السيف حال الحرب فلا
يخرج من غمده ويكون الغلب للعدو حيث انه مسلح ، وهذا اعزل (والخطبوا
الخرز) الخرز النظر ، ومعنى لحظة ، القائه قويا نظرمغضب ، فان الانسان اذا
لحظ لحظا قويا بخرز هاج غضبه فيكون اقدر على القتال (واطعنوا الشر) الشر
هو الطعن فى الجوانب يمينا وشمالا ، والمراد بذلك تكثير الطعن بالضرب يمينا
وشمالا ، حتى يحصى وطيس الحرب ويكون التسلط لهم على الاعداء ، فان
الانسان المهاجم بقوة يرهب العدو وما يوجب الظفر والنصر للانسان والانهزام
للعدو .

وَنَافِحُوا بِالظُّبَا، وَصَلُّوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا، وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللَّهِ، وَمَعَ
أَبْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ. فَعَاوِدُوا الْكُرَّ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرَفَانَةِ عَارًا فِي الْأَعْقَابِ
وَنَارَ يَوْمَ الْحِسَابِ. وَطَيَّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا،

(ونافحوا بالظباء) النفع هو الضرب، وظبا جمع ظبية وهي طرف السيف
وحده، ولعلّ هذا لاجل عدمه الاقتراب كثيرا من العدو حتى يوجب انشغال
الانسان ولا يتمكن من ابادة العدو، بل يكون المحارب بعيدا عن عدوه بقدر ما
يصل اليه طرف سيفه لا سيفه اجمع، او المراد المحاربة بالسيف دون الرمح والنبل
فان المحاربة به اوجب لاقاء الهزيمة في العدو (وصلوا السيوف بالخطا) اي تقدموا
نحو العدو بخطوات وانتم تضربونه بالسيف فانه يوجب الهزيمة في العدو لما
يجد من الجرثة والجسارة، ومن عادة الناس ان يهزموا اذا راوا التصميم والاقدام
(واعلموا انكم بعين الله) اي انه سبحانه ينظر اليكم والى اعمالكم، وذلك اوجب
للاقدام، والخوف من الانهزام.

(ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) اي انكم مع الحق، و
الانسان الذي علم انه مع الحق يكون اربط جأشا واقرى قلبا، لانه يعلم ان قتل
او قتل كان مصيره الجنة والثواب (فعاودوا الكر) بان كلما رأيت طرفا من جيش
الاعداء اهجموا عليهم، وهذا مما يوجب النصر لان الاستمرار في العمل يضمن
نجاحه (واستحيوا من الفر) اي لا تفروا امام الاعداء واخجلوا من الفرار (فانه) اي
الفرار من الزحف (عار في الاعقاب) جمع عقب، فان الاولاد والاحفاد يعيرون بفرار
آبائهم (ونار يوم الحساب) كما قال سبحانه: ((ومن يولكم منهم يومئذ دبره...
فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم)) (وطيبوا عن انفسكم نفسا) اي ادفعوا هذه

وَأَمْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سُجَّحًا ، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، وَالرُّوَاقِ الْمُطَنَّبِ ، فَأَضْرِبُوا ثَبَجَهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدًا وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا . فَصَمْدًا صَمْدًا ! حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ

النفوس لتأخذوها بدلها نفسا اخرى فى يوم القيامة منعمة مكرمة .

(و امشوا الى الموت مشيا سجحا) بمعنى سهلا ، وهذا تحريض لهم على اقتحام غماد الحرب غير مباليين بالموت المحتمل ، ومعنى السير السهل ان لا يكون فيه تباطؤ واحجام (و عليكم) ايها الناس (بهذا السواد الاعظم) المراد به جماهير اهل الشام الذين كانوا فى ركاب معاوية ، وذلك كناية عن اقتحام وسط الحرب لا التناوش من اطرافها وجوانبها فان اللقاء الانسان فى وسط الحرب اقرب لهزيمة الطرف (والرواق المطنّب) الرواق الفسطاط ، والمطنّب بمعنى المشدود بالاطناب والمراد به خيمة معاوية الواقعة فى وسط الجماهير (فاضربوا ثبجه) الثبج الوسط (فان الشيطان كامن فى كسره) اى فى وسط هذا الرواق ، والمراد به معاوية ، وان المراد ان الشيطان اتما يبت كيده ومكره من هناك ، والمراد بالكسر الشق الاسفل ، ولعل وجه التخصيص بذلك ان الاوامر تصدر من شقوق الخيمة السفلى ، فهو تمثيل لطيف . (قد قدم) الشيطان (للوثبة يدا) حيث يريد ان يقفز للأمام اذا وجد الفرصة ، (واخر للنكوص رجلا) اى انه ينظر الى المعركة فان وجد هزيمة من الطرف وثب الى الامام ، وان وجد صلابة ارتد الى الخلف ، فان نكص بمعنى رجع (فصمدا صمدا) اى ثبوتا ثبوتا ، وهذا تحريض لهم على الثبوت وعدم الفرار من مقابلة العدو (حتى يتجلي لكم) اى يظهر (عمود الحق) اى وسطه القوى ، فان المحسن توجب الريب والشك فى الحق فاذا انزاحت ظهر الحق جليا لا غبار فيه ولا شبهة

« وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَتْرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ » .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قالوا لما انتهت الى امير المؤمنين عليه السلام انباء السقيفة قال عليه السلام:
ما قالت الأنصار؟ قالوا : قالت منا امير ومنكم
قال عليه السلام : فَهَلَّا اخْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ

تعتريه (و انتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم) اى لا ينقصكم شيئا مسن
جزائها .

((ومن كلام له عليه السلام))

((قالوا لما انتهت الى امير المؤمنين عليه السلام انباء السقيفة))

التي اجتمع فيها جماعة من الناس ((بعد وفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم))
لاختيار الخليفة عليهم خلافا لما امره الرسول وفعل من نصب على خليفة على المسلمين
من بعده .

((قال عليه السلام : ما قالت الانصار ؟)) فقد اختلف في السقيفة المهاجرون
والانصار ، كل يريد الخلافة لنفسه .

((قالوا : قالت)) الانصار : ((منا امير ومنكم)) ايها المهاجرون ((امير)) .
قال عليه السلام : فهلا اخجتم عليهم) اى على الانصار ، وهذا لفظة ردع و

بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ
وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ؟

قالوا : وما في هذا من الحجة عليهم ؟

لَوْ كَانَتْ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ .

فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ ؟ قالوا : احتجت بأنها شجرة الرسول صلى

الله عليه

تأنيب (بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصَّى بأن يحسن الى محسنهم و
يتجاوز عن مسيئهم ؟) والظاهر ان المراد من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
التجاوز عن الاساءة التي لا توجب حكماً شرعياً من حد او تعزيراً او ما
اشبه - كما لا يخفى - .

((قالوا : وما في هذا من الحجة عليهم)) ؟ اي كيف يحتج بهذا على الانصار

وكيف يكون كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم موجبا لبطلان امارتهم التي
ارادوها ؟

قال عليه السلام (لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم) اي ان الامارة
لو حلت لهم ، و صاروا امراء لم يكن معنى لتوصية الرسول ، فان الوصية دائماً تكون
للامير بان يراعى سائر الناس ، فلو كان الانصار امراء ، كان اللازم ان يوصيهم
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بان يعطفوا على الناس لان يوصى الرسول صلى
الله عليه وآله وسلم بان يعطف عليهم .

ثم قال عليه السلام (فماذا قالت قريش) ؟ اي المهاجرون ، في جواب كلام

الانصار .

(قالوا: احتجت) لكونها احق بالخلافة (بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه

وَأَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اَحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ .

وَأَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لانهم من عشيرته ، والعشيرة بعضهم اولى ببعض في الامور ، كما قال سبحانه ((واولى الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله)) .

(قال عليه السلام : احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة) فالثمره آل البيت ، و على رأسهم الامام عليه السلام ، يعنى انه لو كانت الخلافة بالقراية ، لكان الامام احق بها من سائر قريش ، لان المقصود بالشجرة الثمرة ، فاللازم ان تكون الخلافة له عليه السلام لا لغيره - وبهذا الكلام ابطل الامام خلافة كل من الانصار والمهاجرين - .



مركز تحقيقات تاريخ و فرهنگ اسلامى

وَيَلْمُهُ كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنِ ! لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ . « وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ » .

الاولى - اى لهجة غبتم - للالف المعلم ، والجملة الثانية - اى لم تكونوا -
للعليون المفتوح من ذلك الالف (ويَلْمُهُ) اصل هذه الكلمة ((ويل)) ((امه)) وهو
دعاء على الشخص ، بان يموت حتى تصاب امه بمصيبة ، نحو ((ثكلته امه)) وكان
المراد دعاء على من يقول : بان الامام يكذب ، بان تصاب به امه (كيلا بغير ثمن)
اى يكيل الكلام جزافا ، كما اذا كال شخص مالا بغير ثمن ، او المراد ان الامام
يكيل لهم الكلام الحسن من الاخبار الغيبية والعلوم ، بدون ان يأخذ منهم
بدلا و ثمنا ، ومع ذلك هم يكذبونه (لو كان له وعاء) اى لو كان لهذا العلم الذى
افوضه عليهم حيلة يعونها ويقبلونها برحابة الصدر والتصديق ، وجواب لومحذوف
اى لا فدتهم من العلوم كثيرا ، لكن لا وعاء صالح له او هو متعلق ب ((كيلا)) اى
الكيل بغير ثمن لو اجد له وعاء (ولتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) اى صدق ما اقول ،
بعد زمان ، وكان كما قال عليه السلام ، فكل اخباراته ظهر صدقها ، ولكن بعد
فوات الاوان .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملك عليه وقتل

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوَلِيَّةَ مِصْرَ هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَّا خَلَّى
لَهُمُ الْعَرْصَةَ، وَلَا أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ،

((ومن كلام له عليه السلام))

((لما قلد محمد بن أبي بكر ((مصر)) فملك عليه وقتل))

فقد كان الامام امير المؤمنين ارسل ((محمد ا)) الى مصر ليكون واليا عليها ، و
بعث معاوية عمرو بن العاص الى مصر في ستة الاف فارس ، فاقتل الطرفان ، وانهمزم
((محمد)) لما قتل عسكره ، و اوى الى خربة ، فارسل اليه عمرو من وجده هناك وقتله
و ادخله جوف حمار ميت و احرقه فبلغ الخبر الامام عليه السلام فتأثر تأثرا كبيرا ، و
قال هذه الكلمة .

(وقد اردت تولية مصر هاشم بن عتبة) دون محمد بن أبي بكر ، فقد كان محمد
شابا قليل الخبرة ، ولذا غلبه عمرو بمكره و دهائه (ولو وليته) اي هاشم (اياها) اي
مصر (لما خلى لهم العرصة) اي عرصة مصر ، واصل العرصة فناء الدار و كل بقعة
واسعة بين الدور (ولا انهمزم الفرصة) اي لم تأتهم فرصة الغلبة على مصر و استلابها

بِلَا ذَمٍّ لِمُحَمَّدٍ بَنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيبًا ، وَكَانَ لِي رَبِيبًا .

من محمد ، ولعل الامام عليه السلام كان وليّ محمداً ، ولم يولّ هاشما لمحمد وركان هناك ، وهذا لا ينافي علمه بالواقع ، وليس هذا تأسفاً بل اخباراً ، وقد جعل - قبله عليه السلام - رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، خمسين من الرماة على الشعب باحد ، فلم يمثلوا امره ، و اوجبوا تلك المصاعب العديدة له صلى الله عليه وآله وسلم .

(بلاذم لمحمد بن ابي بكر) اي ان ذلك ليس ذماً لمحمد ، فان الانسان اذا خانتة الاقدار والظروف ليس مذموماً بعد ان يذل جهده ، فقد ساعد في هزيمة محمد دهاة عمرو بن العاص ومكره ، وكثرة موالى عثمان في مصر ، حتى انضموا الى جنود الشام واجبوا هزيمة اهل العراق من اتباع محمد والى الامام (ولقد كان الى حبيباً) اي كان محمد محبوباً لدى لكونه مطيعاً لله والرسول ولقد كان من النساك والزهاد على حداثة سنة (وكان لي ربيباً) اي ابن زوجتي فقد كانت ((اسماء)) زوجة ((جعفر بن ابي طالب)) ولدت له ((عبد الله)) ثم لما قتل عليه السلام تزوجها ((ابو بكر بن ابي قحافة)) فاولدها ((محمداً)) ولما مات ابو بكر ، تزوجها الامام عليه السلام ، فكان محمد ربيب الامام ، اي ابن زوجته .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعِمْدَةُ ، وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ ! كَلَّمَا
حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ

((ومن كلام له عليه السلام))

— وفيه يوبخ اصحابه على عدم اطاعة —

(كم اداريكم) المدارات المعاشات مع الطرف بحيث لا يعاقبه الانسان ولا يقاطعهم وان اوجب ذلك . — والناس دائماً منحرفون عن اي زعيم — وبالاخص اذا كان ملازماً للعدل والحق — وانما الفرق ان الزعيم اذا كان معاشراً لهم ظهر له من انحرافهم ما يؤلمه ، وان لم يكن معاشراً لهم لم يظهر ، لكن الزعماء الالهيين لا بد لهم من معاشرة الناس لتقويمهم ، فتبقى توجيهاتهم عبر الابد (كما تدارى البكار) جمع بكر وهو الفتى من الابل (العمدة) وهو الابل الذي انفضخ باطن سنامه لكن ظاهره سلم ، فان الانسان يدارى هذا الابل لثلاثي جرحه ، وهكذا كان الامام يدارى اصحابه الذين سلمت ظواهرهم وامتثلت بالنفاق بواطنهم (والثياب المتداعية) اي الخلقة التي قد انخرقت ، فان الانسان لا يقدر ان يلبسها كما يلبس البزة الجديدة ، بل مبالاة ولا مدارات .

(كلما حيصت) اي خيطت تلك الثياب (من جانب) من جوانبها المشقوقة

تَهَنَكْتُمِنْ آخَرَ ، أَكُلَّمَا أَطَّلَ عَلَيْكُمْ مَنَسِيرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ ، وَأَنْجَحَرَ أَنْجَحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا وَالضَّبُعِ فِي وَجَارِهَا .
الذَّلِيلُ وَاللَّهُ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ ! وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ . وَإِنَّكُمْ
- وَاللَّهُ - لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ ، قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ ،

(تهتكتم) أى تخزقت (من) جانب (آخر) لتداعبها وتهالكها (اكلمأطل عليكم) أى اشرف عليكم (منسر) هو القطعة من الجيش التى تتقدم امام الجيش الكثير (من مناسر اهل الشام) فقد كان معاوية يوالى ارسال الجيوش لغزو اطراف بلاد الامام عليه السلام لادخال الرعب فى قلوب شيعته (اغلق كل رجل منكم بابه) كناية عن تخفيه خوفا من ان يرى فيكلف الجهاد والذهاب لرد العادية (وانجحر) بمعنى دخل فى الحجر (انجحر الضبة) هى نوع من حيوان البرشبيه بالقط - نوعا ما - (فى جحرها) أى ثقبها ، فانها اذا رأت الانسان خافت واختفت فى دارها التى حفرها فى جوف الارض (و) تخفى (الضبع) هو حيوان سبع (فى وجارها) أى بيتها ويقال لبيت الضبع وجار .

(الذليل - والله - من نصرتموه) لان نصرتهم كانت قليلا تغنى فكان الذى ينصروه بتلك النصر الضئيلة ذليلا لتغلب الاعداء عليه (ومن رمى بكم) أى من جعلكم كالسهم يرمى به اعدائه (فقد رمى بأفوق ناصل) الافوق من السهام ما كسر فوقه أى موضع الوتر منه و الناصل العارى من النصل - وهو حديدة الرمح التى تتركز فى الخشب وتدخل فى الانسان لدى رميه بالسهم - ومن المعلوم ان السهم اذا كان مكسورا فوق عاريا عن النصل لم يؤثر فى الرمية (وانكم - والله - لكثير فى الباحات) جمع باحة وهى الساحة (قليل تحت الرايات) جمع راية وهى العلم الذى يرفع للقتال أى انكم لكثرتكم تملئون كل ساحة اما اذا كان وقت القتال تفرون فلا يوجد منكم الا القليل .

وَأَنَا لِعَالَمٍ بِمَا يُصْلِحُكُمْ ، وَيُقِيمُ أَوْدَكُمْ ، وَلَكِنِّي لَا أَرَى
إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي . أَضْرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ ، وَأَتَعَسَ جُدُودَكُمْ ! لَا
تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ ، وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ !

(و انى لعالم بما يصلحكم و يقيم اودكم) الاود الاعوجاج ، ومراده عليه السلام
بذلك السيف و الشدة ، فان الناس يعتدلون اذا راوا الشدة من الحكام و
الاستبداد ، كما تمكن حجاج من الحكم فى اهل الكوفة عشرين سنة ، لما كان عليه
من الشدة و اخذ البرئ و السقيم و الاسراف فى الدماء ، و هكذا غيره من جعل
الشدة لنفسه ديدنا (ولكنى لا ارى اصلاحكم بافساد نفسى) فان الجنوح الى سياسة
الشدة يوجب الظلم الفساد للظالم ان يفسد عليه دنياه و آخرته فان قلت كيف
ينهى ان يعمل الرئيس ؟ قلت - العدل و انما لم يستقيم الامر للامام لانه جاء
عقوب فساد شامل و بعد الثورات قالوا - لا يستقيم الامر للرؤساء .

(اضرع الله خدودكم) اى اذل وجوهكم ، وهذا دعاء عليهم بالذلة و الهوان
وقد استجيب دعاء الامام عليه السلام (و اتعس جدودكم) التعس الانحطاط و
الهلاك ، و جدود جمع جد بمعنى الخط ، اى احطها حتى لا يكون لكم حظ من
السعادة و الرفاء (لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل) و هذا كناية عن عسدم
اتباعهم للحق ، فانه لو عرف الانسان الحق ، لاتبعه ، اما اذا لم يتبعه كان
كمن لم يعرفه (ولا تبطلون الباطل) اى لا تحققونه و تعدمونه (كابطالكم الحق) و
قد ملأ قلب الامام عليه السلام هما و قبحا من جزاء اعمالهم الباطلة ما اوجب ان
يدعو عليهم ، و يوبخهم بهذه الجمل .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مَلَكْتَنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ ، فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَاذَا لَقِيتَ مِنْ أَمْتِكَ مِنَ الْأَوْدِ وَاللُّدِّ ؟

((وقال عليه السلام))

فِي سَحَرَةِ الْيَوْمِ الَّذِي ضَرَبَ فِيهِ السَّحَرَةُ ، السَّحَرُ الْأَعْلَى الْقَرِيبُ
مِنَ الْفَجْرِ

(ملكتني عيني وأنا جالس) أي قلبني النوم في حال جلوسى - وهذا كناية
لطيفة ، فإن الانسان اليقظ يملك عينه اذ يديرها كيفما اراد ، اما الانسان النائم
فان عينه تملكه اذ تسيطر عليه فلا يتمكن من فتحها وغمضها وارسالها كيف شاء
(فسبح) أي ظهر في المنام (لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) وقد كان
رؤيته للرسول صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة فان الشيطان لا يتمثل بالرسول و
الائمة كما فى بعض الاحاديث ، وان ورد احاديث آخر بخلاف ذلك - كما فى
الوسائل - فقلت يا رسول الله : ماذا لقيت من امتك من الاود و اللد (الاود
الاعوجاج و اللد الخصومة ، وهذا استفهام لبيان الانزعاج و اشمزاز ، و اضافة الامة

للأمام الشيرازي ٢٧٢

فَقَالَ : « أَذْعُ عَلَيْهِمْ » فَقُلْتُ : أَبْدَلْنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَأَبْدَلْهُمْ لِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي .

قال السيد الشريف رحمه الله ((يعنى بالأود الأعوجاج .. وباللدد :
الخصام ، وهذا من أفصح الكلام)) فان المعوج الخصام من أشد البلاء

الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ليس في معرض التوهين — كما قد يقول
الانسان ذلك في معرض توهين المضاف اليه — بل في مقام التعجب عن انحراف
المضاف ، بانهم كيف انحرفوا مع ان مؤهلات الاستقامة موجودة فيهم لانهم من
امة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

(فقال) صلى الله عليه وآله وسلم في المنام (ادع) يا على عليه
السلام (عليهم) جزاء لسوء اعمالهم (فقلت ابدلني الله — بهم —) الباء للبدال ،
اي عوضاً عنهم (خيراً منهم) وهذا لا يدل على وجود الخير فيهم ، فان . مثل
هذا اللفظ كناية عن الخلاص الى الخير ، وان كان الاصل فيه التفضيل
(وابدلهم بي) اي اعطائهم بدلا مني (شرا لهم مني) وهذا ايضا منسلخ
فيه معنى الفضل ، فلا يدل على وجود شرفي الامام عليه السلام ، وقد استجاب الله
سبحانه دعاء الامام عليه السلام ، حيث قتل الامام فالتحق بالرفيق الاعلى
— الذي هو خير له منهم — كما سلط عليهم معاوية الذي هو شر لهم ، قال
سبحانه (('صحاب الجنة خير مقاماً)) وقال بالنسبة الى اصحاب النار (('شر مكانا))

قال السيد الشريف رحمه الله ((يعنى بالأود : الاعوجاج .. وباللدد : الخصام ،
وهذا من افصح الكلام)) فان المعوج الخصام من اشد البلاء .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في ذم أهل العراق
أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ ، حَمَلْتَ فَلَمَّا
أَتَمَّتْ أَفْلَصَتْ

((ومن خطبة له عليه السلام))

في ذم أهل العراق

لقد كان الامام عليه السلام يبين مقدار علمه ، بانه لو ثنيت له الوسادة لحكم بين كل طائفة حسب مذهبهم ، وانه يتمكن من الجواب عن كل سؤال - ذلك لبيان منزلته التي خصها الله سبحانه به - فكان المناقون من اصحابه يكذبونه ، وفسى احدى المناسبات انشأ هذه الخطبة .

(اما بعد) اي مهما يكن من شئ بعد الحمد والصلاة - كما تقدم - (يا اهل العراق) ومن المعلوم ان مثل هذه المخاطبات - ذما او مدحا - انما يراد بها فئة خاصة من الناس ، لاكلهم ، وانما يخاطب بالعام ، لان السكوت و الموافقة - غالبا - دليلان للرضا (فانما انتم كالمرءة الحامل) لاتدخل تأء التانيث في الحامل والحائض ، لعدم الاشتراك في هذين الوصفين بين الرجل والمرءة فلا احتياج للتاء الفارقة (حملت فلما اتمت) الحمل بان انقضت المدة (افلصت)

للأمام الشيرازي ٢٢٦
وَمَاتَ قَيْمُهَا ، وَطَالَ تَأْيِمُهَا وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا . أَمَا وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمْ أَخْتِيَاراً
وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً . وَلَقَدْ بَلَّغْنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : عَلَيَّ يَكْذِبُ
قَاتِلُكُمْ اللَّهُ

اي القتل ولدها ميتا (ومات قيمها) اي القائم بامور معيشتها وحفظها و هو الزوج ،
(وطال تأيمها) اي خلوها عن الزوج فان ((الايم)) المرأة او الرجل الذي لا
زوج لهما ، وجمعه ((ايامي)) كما قال سبحانه ((انكحوا الايامي منكم)) (وورثها)
حين ماتت (ابعدها) اي الابعد ، اذ لا زوج لها ، ولا ولد ، حتى يكون ارثها
للقريب سببا او نسبا ، فهي في حالتها الحيات والعمات مضاعة مهانة .

ووجه الشبهة بين الطرفين ان اهل الكوفة حاربوا مع الامام اهل الصفين حتى
اذا قرب النصر التجئوا الى التحكيم الذي اوجب لهم ذلا في المستقبل حين حيا
الامام - بغارات اهل الشام - وبعدهم بمات ، فالامام وهو القيم لهم قتل ، والنصر
الذي كان كالولد كفيلا بتأبين سعادة مستقبلهم وعزهم واستقلالهم وعدم ذلهم
تحت لواء معاوية ، فقدروه ، بسوء صنيعهم في قصة التحكيم ، واغترارهم بمكيـدة
معاوية .

(اما والله) حرف تنبيه (ما اتيتكم) اي ما جئت اليكم يا اهل العراق - من الحجاز -
(اختيارا) بان اختار مجاورتكم ، على جوار الحجاز (ولكن جئت اليكم سوقا) فلسولا
وقعة الجمل ، وان طلحة والزبير وعائشة جائوا الى العراق يفسدون اهلها ، ما
جاء الامام الى هنا (لقد بلغني انكم تقولون : علي يكذب) فيما يخبره ، وفيما يدعي
انه يعلم . - بما حباه الله به سبحانه - (قاتلكم الله) هذا دعاء عليهم بالموت
وانما جيئ من باب المفاعلة ، لان الاصل في القتل في الحرب ان يكون من الجانبين
لان كل يريد قتل الاخر ، او شبه ارادة الله موتهم ، وارادتهم عدم موتهم بالمقاتلين

فَعَلَى مَنْ أَكْذَبُ ؟ أَعَلَى اللَّهِ ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ ؟
فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ ! كَلَّا وَاللَّهِ وَلَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غَبِثَتْ عَنْهَا وَلَمْ تَكُونُوا
مِنْ أَهْلِهَا .

الذين يريد احدهما قتل صاحبه و يريد الصاحب قتله (فعلى من اكذب) ؟ هذا بيان لعدم الداعي على الكذب (اعلى الله) اكذب ؟ (فا لا يمكن هذا اذا انا اول من آمن به) والمؤمن والمكذب طرفا نقيض (ام على نبيه) محمد صلى الله عليه و آله وسلم ؟ (فانا اول من صدقه) والمصدق والمكذب لا يجتمعان .
وكان المراد ان كونه عليه السلام اول مؤمن بالله و مصدق برسوله ، دال على قوة ايمانه والقوى الايمان لا يهوى في مهوى الكذب ، والافسجرد اولية في شئ لا يلزم عدم الكذب بعد ذلك ، لمصالح في نظر الكاذب ، كما ان الظاهر كون المراد ان اخباراته عن الغيب وما اشبه اما عن الله او عن الرسول فلو كان كلامه كذبا لكان افتراء على احدهما ، وهو مناف لكونه عليه السلام اول مؤمن مصدق - بالتقريب المتقدم - فلامجال لان يقال ان كونه كاذبا في اخباراته لا يلزم كونه كاذبا على الله أو الرسول ، حتى يكون ابطاله كونه كاذبا على احدهما ابطالا لكونه كاذبا (كلا والله) ليس الامر على ما زعمتم من انى كاذب (ولكنها) الضمير يعود الى ((لهجة)) المتاخرة باعتبار ما يفهم من الكلام السابق : من اخباراته عليه السلام .

(لهجة غبثت عنها) اى ضرب من الكلام الذى يلهج - اى يتكلم - به ، متصفة بان السامعين غابوا عنها حين علمها الامام من كلام الله و الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وكل غائب عن شئ لا يدركه - وليس الشاهد كالجائب - (ولم تكونوا من اهلها) فان الامام يعرف كليات الامور و يقدر على تطبيقها على المصاديق و الجزئيات اما من سواء فليس من اهل ذلك ، وقد قال عليه السلام علمنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الف باب من العلم يفتح من كل باب الف باب ، فكان الجملة

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

علم فيها الناس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله

اللَّهُمَّ دَاحِي الْمَدْحُوتِ وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ وَجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا
شَقِيهَا وَسَعِيدِهَا .

((ومن خطبة له عليه السلام))

((علم فيها الناس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله))

(اللهم) اصله ((يا الله)) حذف حرف النداء ، و عوض عنه الميم (داحي
المدحوات) اى باسط الاشياء المبسوطة ، والمراد منها الارضين ، فانها منبسطة
صالحة للسكنى والزراعة وما اشبه (وداعم المسموكات) من سمك بمعنى
رفع ، والمراد من المسموكات السماوات التى رفعت عن الارض ، فى النظر ، وان
كانت محيطة بالارض ، فى الواقع ، والدعم بمعنى الحفظ والاقامة ، كما قال
سبحانه : ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا . (وجابل القلوب على فطرتها)
جبل بمعنى خلق ، والفطرة هى كيفية الخلقة التى يسير المخلوق عليها فى دور
كونه فى هذه النشأة ، اى انه سبحانه خلق القلوب كلابقطة خاصة وكيفية
مخصوصة .

(شقيها وسعيدها) اى سواء كانت القلوب شقية او سعيدة ، فانسبحانه هو

أَجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ ، وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ
الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ ، وَالْفَاتِحِ لِمَا أَنْغَلَقَ ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ ، وَ
الدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْبَاطِلِ ،

الذي خلقها وانما الشقوة والسعادة طرت عليها بعد ان خلقها سبحانه مختارة
تقدر على اكتساب اي الامرين (اجعل) يا الله (شرائف صلواتك) الصلاة هي العطف
وتلك من الله سبحانه انزال الرحمة ، وشرائفها هي الرحمت الوسيعة ، فسان
للرحمة انواعا والوانا بعضها فوق بعض (ونوامي بركاتك) البركة هي الخير المستقر
من برك الابل اذا نام ، في مقابل الخير الزائل ، والنوامي جمع نامية ، وهي الخير
الذي ينمو ولا يبقى جامدا ، لا يزيد (على محمد عبدك ورسولك) وكان تقديم العبد
للاعترااف بكونه مملوكا له سبحانه ، زيادة في تعجده سبحانه (الخاتم لما سبق) من
النبوات ورسالات السماء ، فانه صلى الله عليه وآله وسلم ختمها لانبي بعده كما
قال سبحانه ((ولكن رسول الله وخاتم النبيين)) .

(والفاتح لما انغلق) فقد كانت القلوب منغلقة بالضلال لا يدخل فيها الحق
ولا يخرج منها الخير ، كما ان ابواب السعادة كانت منغلقة ، وانما فتحها الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم ، بمناهجه وتعاليمه (والمعلن الحق بالحق) فان
الشخص قد يعلن الحق بالباطل ، بان يجعل الباطل وسيلة لظهار الحق وقد
يجعل الحق وسيلة لظهار الحق ، مثلا قد يدعى مشتري الدار من زيد - لدى
الترافع - بانه ورثها من آبائه حتى يصل الى حقه الذي هو ملكية الدار ، وقد
يقول انه اشتراها من زيد وقيم البرهان عليه (والدافع جيشات الاباطيل)
جيشات جمع جيشه من جاش القدر اذا ارتفع غليانها ، وابطايل جمع باطل ، كان
الابطايل كانت تغلى و تغور فدفعها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وَالْدَامِغِ صَوَلَاتِ الْأَضَالِيلِ ، كَمَا حُمِلَ فَاضْطَلَعَ ، قَائِمًا بِأَمْرِكَ ،
مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ ، غَيْرَ نَاكِيلٍ عَنْ قَدَمٍ ، وَلَا وَاهٍ فِي عَزَمٍ ، وَاعِيًا
لَوْحِيكَ ، حَافِظًا لِعَهْدِكَ ، مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْزَى قَبَسِ الْقَابِسِ

(والدامغ) من دمغه بان ضربه على رأسه حتى بلغ دماغه (صولات الاضاليل)
الصولة هي السطوة ، واضاليل جمع ضلال ، فان للضلال سطوة وهجوم ، والرسول
صلى الله عليه وآله وسلم دمغها حتى لا تتحرك ولا تبدى حياة (كما حمل فاضطلع
اي فعل تلك الامور السابقة من الختم والفتح والاعلان والدفع والدمغ - كما
حمل - اي كما حمله الله سبحانه واراد منه بغير زيادة او نقصان ، والاضطلاع
النهوض بالامر ، بكل قوة وقدرة ، من الضلعة بمعنى القوة (قائما) اي في حال كونه
صلى الله عليه وآله وسلم قائما (بامرك) وهذا كناية عن اداء الامر ، فان الانسان
القائم يتمكن من العمل اكثر من الانسان القاعد (مستوفزا) اي مسارعا مستعجلا
(في مرضاتك) اي رضاك ، فان المرضاة مصدر ميمي (غير ناكل) الناكل الذي ينكص
ويتأخر (عن قدم) القدم بمعنى المشى الى الحرب وقد يستعمل في مطلق
الاقدام تشبيها .

(ولا واه في عزم) الواهى الضعيف ، اي لم يكن عزمه ضعيفا حتى يتردد في
الاقدام والاججام ، او السكوت والكلام (واعيا) اي فاهما فهما صحيحا (لوحيك)
فلا يكون بليدا في فهمه ، او ناسيا له (حافظا لعهدك) والمراد به الاحكام ، فانه
سبحانه عهد الى الرسول بتبليغ الاحكام وارشاد الانام (ماضيا على نفاذ امرك)
اي عاملا لتنفيذ امر الله وتطبيقه في الناس بلامبالاة او تلکؤ (حتى اوزى) اي
اظهر الضياء ، من اوزى الزند بمعنى قدحه حتى خرج ناره (قبس القابس) القبس
شعلة من النار ، والقابس الذي يطلب النار ، اي ان الرسول صلى الله عليه وآله

وَأَضَاءَ الطَّرِيقِ لِلْخَاطِيطِ ، وَهَدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ ، وَ
أَقَامَ مُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنِيرَاتِ الْأَحْكَامِ ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ،
وَحَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ ،

وسلم اظهر شعلة النار لمن اراد اخذها ، وهذا كناية عن انه صلى الله عليه و
آله وسلم اظهر متطلبات الذين يريدون الحق (و اضاء الطريق للخاطيط) الخاطيط
هو الذي يسير ليلا في الظلام على غير هدى ، خارجا عن الجادة ، فقد كان الناس
في الجاهلية يخطئون ولا يرون طريق الحق ، فاضاء لهم الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم الطريق ، حتى اخذوا يسيرون في طريق السعادة .
(و هديت به) صلى الله عليه وآله وسلم (القلوب) نسبة الهداية الى القلوب
لانها مركز الهداية ومبعثها (بعد خوضات الفتن) خوضات جمع خوض ، وهى
الولج فى الشئ ، كان القلوب كانت تخوض فى الفتن مرة بعد مرة ، فنجت ببركة
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الخوض ، والفتنة هى الامر المشتبه الذى
يوجب شقاء الدنيا والآخرة (واقام) صلى الله عليه وآله وسلم (موضحات
الاعلام) اى الاعلام الموضحة للطريق ، من اضافة الصفة الى الموصوف ، واعلام جمع
علم هو الشئ المنصوب الذى يعرف به الطريق ، او كل شئ يدل على امر ، كالراية
فى الحرب ، واسم الشئ الذى هو علم له ، وهكذا (ونيرات الاحكام) اى الاحكام
النيرة بمعنى الواضحة ، لا كالأحكام المنحرفة التى هى مبهمة الوجه غير مطابقة الحق .
(فهو) صلى الله عليه وآله وسلم (امينك) اللهم (المأمون) الذى لا يخون فى
اداء الرسالة الملقات على عاتقه (وحازن علمك المخزون) لقد كان علم الله
سبحانه بالشرعية وطريق السعادة مخزونا محفوظا لديه سبحانه ، ثم حمّله تعالى
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فصار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بذلك

وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ ، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ . اَللّٰهُمَّ اَفْسَحْ
لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ ؛ وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . اَللّٰهُمَّ اَعْلِ
عَلَى بَنَاءِ الْبَانِيْنَ بِنَاءَهُ ، وَاَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ ، وَاَتِمِّمْ لَهُ

خازنا و حافظا لهذا العلم ، كخازن المال ، الذى بيده خزينته اى محل حفظه و ايداعه (و شهيدك) اى الذى تستشهد به على الناس كما قال تعالى ((ويكسرون الرسول عليكم شهيدا)) (يوم الدين) الدين بمعنى الجزاء ، والمراد به يوم القيامة ، اذ يستشهد بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك اليوم لمن آمن وعمل صالحا ، وعلى من كفر او عمل سيئا (وبعيثك بالحق) اى الذى بعثته و ارسلته ، ارسالا بالحق ، مقابل ارسال الظلمة و سلهم بالباطل . (ورسولك الى الخلق) اى الذى ارسلته اليهم لهدايتهم ، والمراد بالخلق اما العام او الانس و الجن فقط (اللهم افسح له) اى للرسول (مفسحا) اى محلا فسيحا واسعا (فى ظلك) المراد به الآخرة ، و هذا دعاء بان يعطى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هناك اماكن رحمة و قصورا واسعة ، و ((ظلك)) كناية فكما ان الانسان اذا ذهب فى ظل شئ ، عند الهاجرة يستريح ، كذلك من كان تحت لطف الله و عنايته فانه يستريح من الاتعاب و الاوصاب (و اجزه مضاعفات الخير) اى الخير المضاعف و هو الذى يماثل اضعاف اجر الانسان (من فضلك) فان اعطاء الاجر من الله سبحانه فضل ، اذ لا يستحق الانسان فى مقابل عمله شيئا ، فكيف بمضاعفات الخير؟ (اللهم اعل على بناء البانين بنائه) هذا كناية على اظهار دينه على سائر الاديان حتى يكون دينه ارفع فى الانظار من اديانهم ، كما ان البناء الارفع يكون اعلى من سائر الابنية .

(و اكرم لديك منزلته) بان تكون له منزلة و مقام كريم ، يكرم صاحبها (و اتم له

نُورُهُ ، وَأَجْزُهُ مِنْ ابْتِغَائِكَ لَهُ مَقْبُولُ الشَّهَادَةِ ، وَمَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ، ذَا
مَنْطِقٍ عَدْلٍ ، وَخُطَّةٍ فَضْلٍ . اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ

نوره) اما كناية عن الارتفاع، فكما ان الاتم نورا - من المصابيح - يكون اظهر و
ارفع ، كذلك الذي يلطف به سبحانه بجزيل لطفه واما حقيقة بان يراد اعطاء النور
- بمعناه اللغوي - ، وهذا اشارة الى قوله تعالى ((اتم لنا نورنا)) والمسرود
بالاتمام اعطاء النور التام بالقدر اللائق بالمعطى له (واجزه من ابتغائك له) اي
اعطه جزاء بعثته ، فان لرسول الشخص جزاء في مقابل تعبته (مقبول الشهادة) اي
اجعل جزاء بعثتك له : ان تقبل شهادته فيما يشهد به ، وهذا من اضافة الصفة
الى الموصوف ، اي اجعل جزائه الشهادة المقبولة .

لا يقال ان الله سبحانه يفعل ذلك ، بدون دعاء الداعي ، فالداعي من قبيل
تحصيل الحاصل؟ لا نناقول ، الظاهر ان المراد بمثل هذا الدعاء التعميم في الامر ،
بان يكون المعطى اعما شمل ولا منافات بين اعطائه سبحانه صلى الله عليه وآله وسلم
اصل هذه الامور بالاستحقاق واعطائه صلى الله عليه وآله وسلم الزائد بالدعاء ، ولذا
قال المحققون ان التصلية توجب رفعة درجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فان الطاف
الله سبحانه لا اخر لها ، فكلما صلى عليه مصل رفعت درجته (ومرضى المقالة) بسان
يكون قوله مرضيا ، عند الله يرتب عليهما لا ثرو وهذا اما اعم من ((مقبول الشهادة)) او المراد
به ما يقابل ذلك ، من سائر الاقوال التي لا ترتبط بالشهادة (ذا منطق عدل) اي في
حال كونه صلى الله عليه وآله وسلم ذا كلام مستقيم ، فليس جزائه صلى الله عليه وآله وسلم
بـ ((مقبول الشهادة)) ومرضى المقالة)) اعتباطا ، وهذا كما يقول احدا بالآخر ، اقبل كلام
زيد ، فانه صادق (وخطبة فصل) اي ان طريقته في القول والعمل فصل بين الحق
والباطل يفصل بينهما ، فلا يلتبس احدهما بالآخر ، ولا يلبس الحق بالباطل .
(اللهم اجمع بيننا وبينه في برد العيش) البرد مقابل الحرب ، تقول العرب

وَقَرَارِ النِّعْمَةِ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ، وَرَخَاءِ الدَّعَةِ، وَمُنْتَهَى
الطَّمَأْنِينَةِ، وَتُحَفِ الْكَرَامَةِ.

عيش بارد، أى لا حرب فيه، أو مقابل الحر، وحيث ان الحر يوذى غالباً، جعل كناية
عن الاذية، والمراد بذلك ((الجنة)) اذ لا حرب فيها ولا اذى، وهذا دعاء
لالتحاق الداعي بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى الجنة (وقرار النعمة) أى
النعمة القارة التى لا زوال لها (ومنى الشهوات) المنى، جمع منية وهى ما
يتمناها الانسان من الوان الراحة والسعادة، والشهوات ما يشتهيها الانسان
(واهواء اللذات) فان الانسان يهوى اللذة (ورخاء الدعة) الدعة سكون النفس
واطمئنانها بالخير، وفى ذلك رخاء، لا ضيق له ولا ضنك فيه (ومنتهى الطمأنينة)
اى الاطمئنان واستقرار النفس، والجنة منتهى ذلك، اذ لا زوال لها ولا اضطحلال
(وتحف الكرامة) جمع تحفة، وهى ما يتحف به الانسان، من الاشياء الثمينة
النادرة.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

قالوا : أَخَذَ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل ، فاستشفع الحسن و الحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فكلما فيه ، فخلى سبيله ، فقالا له : يبايعك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام :
أَوْ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ ؟ لَا حَاجَةَ لِي

((ومن كلام له عليه السلام))

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة : قالوا أخذ مروان بن الحكم أسيراً
يوم الجمل فاستشفع الحسن و الحسين عليهما السلام
إلى أمير المؤمنين عليه السلام

أي طلب منهما أن يشفعا له عند الإمام في خلاصه وفكه ((فكلما فيه فخلا سبيله)) أي اطلق الإمام سراحه بشفاعة الحسينين ((فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين)) ؟ هذا استفهام طلبى أي اطلب منه البيعة (فقال عليه السلام) :
(أو لم يبايعنى بعد قتل عثمان) ؟ هذا استفهام انكارى لبيان أن بيعته لا تنفع ولا تقف دون غدوره أن أراد الغدر ، فانه قد بايعنى بعد قتل عثمان ، ومع ذلك غدر وخرج محارباً ، واية قيمة لمثل هذه البيعة الغادرة ؟ (لا حاجة لى

فِي بَيْعَتِهِ ! إِنَّهَا كَفٌ يَهُودِيَّةٌ ، لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِهِ أَمَا إِنْ لَهُ
إِمْرَةً كَلْعَقَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهُ ، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعَةِ ، وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ
مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ !

في بيعته) فان بيعته وعدمه سواء (انها كف يهودية) تشبيه لكف مروان بكسف
اليهود، حيث من طينتهم الغدر والخيانة ، اذ لا يستقيمون على عهدهم (لوياعني
بكفه لغدر بسبته) السبت الاست، قالوا ان سفهاً اهل الجاهلية كانوا اذا بايعوا
احدا وعهدوا معه ثم ارادوا نقضه اضطروا و اشاروا الى مقعدهم ، وهذا بيان
لسفالة مروان حتى انه كاولئك لا تنفع بيعته (اما) للتنبيه (ان له امرة) اي اماره على
المسلمين (كلعقة الكلب انفه) هذا تصوير لقصر مدة اماره مروان ، والمراد بلعقه
انفه لحسه اياه ، والتشبيه بذلك لكونه في معرض الذم ، وقد ذكر المؤرخون ان
مروان بويع بعد يزيد بن معاوية ، وكانت مدة امرته اربعة اشهر وعشرة ايام اوستة
اشهر .

(وهو ابو الاكبش الاربعة) اكبش جمع كبش، وهو رئيس القوم، شبه بكبش
الغنم الذي يتقدم عليه ، فقد تولّى اربعة اولاد لمروان الولايات فولى عبد الملك
بن مروان الخلافة ومحمد بن مروان الجزيرة وعبد العزيز بن مروان مصر وبشر
بن مروان العراق ، ويمكن ان يراد بالاكبش اولاد عبد الملك بن مروان فقد كان
لعبد الملك اربعة اولاد كلهم ولوا الخلافة احدثهم بعد الآخر، وهم الوليد و
سليمان ويزيد وهشام ابنا عبد الملك بن مروان ، ولم يتفق في الخلافة قبلهم و
بعدهم اربعة اخوة ولوها تباعا (وستلقى الامة) الاسلامية (منه) اي من مروان
(ومن ولده يوما احمر) كناية عن كثرة ظلمهم وسفكهم للدماء ، وقد كان كما قال الامام
عليه السلام ، ويكفي ان يعرف الانسان ان حجاج وهو الى احدثهم على العراق
قتل من المسلمين مائة وعشرين الفا مع قطع النظر عن سجونته المريعة التي كانت
تحتوي على ثمانين الفا انسان .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا عَزَمُوا عَلَى بَيْعَةِ عُثْمَانَ

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي ؛ وَوَاللَّهِ لَا أُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ
أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً

((وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ))

لَمَّا عَزَمُوا عَلَيَّ بَيْعَةَ عُثْمَانَ

بَعْدَ قَتْلِ عَمْرِو قِصَّةِ الشُّوْرَى

(لقد علمتم) الظاهر كون الخطاب موجها الى اصحاب الشورى الذين رشحوا
عثمان للخلافة دون الامام عليه السلام (انى احق الناس بها) اى بالخلافة (من
غيرى) وذلك لنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه ، بالاضافة الى
مؤهلاته الشخصية التى لم يكن ولا بعضها فى سواء (ووالله لا سلمن) اى اكون
مسالما فى مقابل المحارب (ما سلمت امور المسلمين) اى ما دام كانت امور
المسلمين تجرى على ظواهر الاسلام (ولم يكن فيها جور الا على خاصة) فان
انتزاع الخلافة من الامام عليه السلام كانت له مضرات ثلاثة :
الاولى - كونه جورا على الامام .

الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرَجِهِ .

الثانية - كونه جوراً على المسلمين حيث حرّموا عن عدل الامام وفضله .

الثالثة - ما رافقه من اقسام الجور على الامة كضرب من لا يستحق الضرب واخذ

مال من لا يستحق اخذ ماله وهكذا .

لكن الامام عليه السلام تنازل عن حقه الشخصي بالنسبة الى نفسه وبالنسبة الى

حرمان المسلمين حيث كانت ظواهر الاسلام محفوظة . وحيث انه لم يكن يقدر على

النهوض الا بايجاد انشقاق داخلي بين المسلمين ربما اودى بالاسلام نفسه . اما

ما رافق الامر من الجور والخروج عن خطة الاسلام فكان الامام يعارض ويحارب كما

فعل في زمن معاوية ، ولا يقال ان المنصب للامام الهى فلا يصح التنازل عنه لان

التنازل اذا كان اعتباطا كان خلافا للشريعة اما التنازل اذا لم يجد الامام الانصار

الكافي وكان القيام ذا خطر اكبر فالتنازع هو المتعين لترجيح اقل الضررين .

(التماسا لاجر ذلك وفضله) اي ان تسليمي انما هو رجاء ان يعطيني الله

سبحانه لهذا العمل الذي هو للابقاء على الاسلام اجرا وفضلا (وزهدا) اي و

لاجل الزهد والنفور (فيما تنافستموه من زخرفه) تشبيه للخلافة بالذهب الذي

يتنافس فيه الناس (وزبرجه) هو الزينة ، اي اني زاهد فيما يتنافس فيه اهـ -

الشورى من المنصب والمال التابعين للخلافة .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان

أَوْ لَمْ يَنْهَ بَنِي أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي؟ أَوْ مَا وَزَعَ الْجُهَالُ سَابِقَتِي
عَنْ تَهْمَتِي!

((ومن كلام له عليه السلام))

لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان

فقد تذرع معاوية وذويه الى اتهام الامام بدم عثمان ليجدوا مبرراً لقتاله وخلع
طاعته ، طمعا منهم في الملك والسيطرة .

((او لم ينه بني أمية علمها بي) علمها فاعل ، واميه مفعول ، والمراد بـ ((أمية))
بنو أمية ، فان القبيلة كثيرا ما يطلق عليها اسم جدها الاعلى ، والمعنى ان علم بني
أمية بي لم ينههم (عن قرفي) اي عن ان يعيبوني ، فان القرف بمعنى العيب ، و
هذا استفهام استنكاري ، اي كيف يعيبني بنو أمية وهم يعلمون براءتي من دم
عثمان ، وتخرجني من اراقة الدماء ؟ (او ما وزع الجهال) اي منع جهال بني أمية
(سابقتي) في الاسلام والتحرج عن العصيان وارتكاب المآثم وما ينافي الفضيلة
و ((سابقتي)) فاعل ((وزع)) (عن تهمتي) اي اتهامني بدم عثمان ، ثم الامام عليه

٢٩٠..... توضيح نهج البلاغة

وَلَمَّا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي . أَنَا حَاجِبُ الْمَارِقِينَ ، وَخَصِيمُ
النَّاكِثِينَ الْمُرْتَابِينَ ، وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَرَّضُ الْأَمْثَالُ ، وَبِمَا فِي الصُّدُورِ
تُجَازَى الْعِبَادُ !

السلام سلى نفسه بما يشعر بان آل امية لو اعرضوا عن وعظه فقد اعرضوا عن وعظ
الله سبحانه ، بقوله :

(ولما وعظهم الله به ابلغ من لسانى) ((الام)) فى ((لما)) للتاكيد والقسم ،
اى ان وعظ الله سبحانه ، بالاجتناب عن سوء الظن ، والهمز واللمز ، والقول بغير
علم ، والاجتناب عن الغيبة خاصة ، ابلغ من وعظى لهم ، وقوله ((ابلغ)) خبر ((لما))
(انا حبيب المارقين) اى خصيمهم الذى احتج عليهم ، و المارق هو الخارج ، والمراد
به هنا الخارج عن الدين بنكث بيعة الامام ، والمخالفة له فى اثارة الفتن ، و
خلق الاضطراب (و خصيم الناكثين المرتابين) اى الذين ارتابوا وشكوا فى الامر ، والمراد
بذلك اما فى الآخرة ، او الاعم منها ومن الدنيا (وعلى كتاب الله تعرض الامثال)
يعنى ان كل شئ يماثل شيئا احدهما حتى والآخر باطل - كخلافه الامام ونقض
الناكثين - انما يعرض على كتاب الله ليعرف ايها حق وايها باطل و مادام الكتاب
يصدق اعمال الامام واقواله ، فمن خالفه على باطل (وبما فى الصدور تجازى العباد)
وهذا كناية عن ان مخالفيه يعلمون ان الامام على حق وانهم على باطل ، وانما
تخالف اعمالهم ما فى قلوبهم ، كما قال سبحانه ((وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم)
وقال ((يعرفونه كما يعرفون اينائهم)) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى، وَدُعِيَ إِلَى رِشَادٍ فَدَنَا، وَأَخَذَ بِحُجْزَةٍ هَادٍ فَتَنَجَا. رَاقِبَ رَبَّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خَالِصًا، وَعَمِلَ صَالِحًا.

((ومن خطبة له عليه السلام))

(رحم الله امرأ سمع حكماً من أحكام الاسلام (فوعى) أى أدركه وحفظه ليعمل به ، وقوله ((رحم الله)) دعاء بصورة الاخبار ، أى اللهم ارحم ، وذلك للتشويق ، و للدعاء بالرحمة لمن كان كذلك (ودعى الى رشاد) أى ما يوجب رشد (فدنا) أى اقترب الى الداعى ، ليسترشد به و يأخذ بقوله (واخذ بحجزة هاد) الحجزة معقد الازار ، وهذا تشبيه للمعقول بالمحسوس فكما ان الانسان اذا اراد النجاة من المواقع المزدحمة ، يأخذ بحزام انسان قوى لئلا يضل او يعطل ، كذلك من اراد النجاة من مزالق الدنيا وعقوبات الآخرة ، يتبع الذى يهديه الى الحق (فتنجا) ولم يهلك ولم يضل .

(راقب ربه) أى لاحظ فى كل عمل يعمل به راض عنه ام لا ، كالذى يراقب السلطان لئلا يصدر عنه ما يخالفه فيقع فى العقاب واللوم (وخاف ذنبه) فان الذى يخاف الذنب - سواء علمه ام لم يعمل - لا بد وان يتجنب عنه ، كالذى يخاف من الاسد فانم يهرب منه ولا يقترب اليه (قدم) الى آخرته عملاً (خالصاً) عن الرياء و الاثم (وعمل) عملاً (صالحاً) مقابل العمل الفاسد ، وذلك بالملزمة العرفية

اَكْتَسَبَ مَذْخُورًا ، وَاجْتَنَبَ مَحْذُورًا ، رَمَى غَرَضًا ، وَاحْرَزَ عَوْضًا .
كَابَرَ هَوَاهُ وَكَذَّبَ مُنَاهُ . جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ .

يدل على عدم العمل الفاسد (اكتسب مذخورا) فان اجر الآخرة و درجاتها —
مذخورة باقية — ليست عاجلة فانية — واكتسابها انما هو بالعمل المحرز لها (و
اجتنب محذورا) اى المحرم الذى حذر الله عنه (رمى غرضا) فكان العامل للدنيا يطيش
سهمه اذ لا يصل الى هدفه الذى هو السعادة الابدية ، بخلاف الذى يعمل
للآخرة (و احرز عوضا) اى حصل على عوض عمله ، وهو سعادة الآخرة ، ولم يذهب
عمله هباءا منثورا ، كاعمال اهل الدنيا .

(كابر) اى غالب (هواه) فحيث يريد الهوى به شرا غالبه فغلبه ، وانصرف
عن ذلك الشر (وكذب مناه) ((منى)) جمع ((منية)) وهى ما يتوقعه الانسان
من الخير على اعماله ، او بدون ان يعمل ، وانما ينتظر الصدقة لتأتى بالامنية ، و
الامانى غالبا سراب خادع تمنع الانسان عن العمل الصالح ثم لا يعرف الانسان
بعد ذلك انه كان مخدوعا ، لم يصل الى الامنية ، وذهب عمره ضياعا ، وذلك
بخلاف من يكذب مناه فانه يعمل صالحا ، ومعنى التكذيب عدم الانخداع بما
يترائى له من الامانى (جعل الصبر مطية نجاته) فان الانسان فى الدنيا يلاقى
مشاكل وصعوبات ، فاذا جعل الصبر قرينه — كالمطية التى يركب الانسان عليها
لتسهيل له قطع المسافة — لم تمر الايام الا وقد انحلت المشكلة وحصلت الغاية
المرجوة . . اذا لم يصبر بان جزع او ترك ما بيده من العمل الصالح او نحو ذلك
فاته العبد متوخاة .

(والتقوى بدة وفاته) اى الامر الذى اعده لآخرته فان اتقاء المعاصى خير زاد

رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ ، وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ . اِغْتَنَمَ الْمَهْلَ ، وَبَادَرَ
الْأَجَلَ ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ .

للاخرة (ركب الطريقة الغراء) أي النيرة الواضحة ، والمراد بركوبها ، العمل بها ،
(ولزم المحجة) أي الطريقة (البیضاء) أي الواضحة اللامعة ، فان البياض واضح
لالوث فيه ولاغموض (اغتنم المهل) أي المهلة التي امهل فيها ، والمراد به ما
بقى من عمره ، واغتنام العمر عبارة عن العمل فيه لاجل السعادة والاخرة (وبادر
الاجل) أي سابقه ، كالذي يسبق الآخر ليفوز بالجائزة ، فكان الاجل يريد اختطاف
الانسان والحيلولة بينه وبين العمل الصالح ، والانسان يعمل مبادرا لثلايقع
في مخالفته قبل اتمام عمله الذي يوجب سعادته (وتزود من العمل) أي عمل صالحا
ليكون زاده في الآخرة .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَفْوِيقًا ،
وَاللَّهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَامِ

((و من كلام له عليه السلام))

(ان بنى امية ليفوقوننى) اى يعطوننى من المال قليلا قليلا ، واصل التفويق ان يعطى الفصيل امه لتدرثم يمنع عنها لتحلب ، فيكون ما يحصل الفصيل من حليب امه قليلا قليلا ، وهذا تشبيه لنفسه عليه السلام بالفصيل الذى لا يعطى الدر كاملا (تراث محمد صلى الله عليه وآله وسلم) المراد ما خلفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من السيطرة والحكم ، ووجه التشبيه ان بنى امية وعلى رأسهم معاوية لم يسمحوا لحكم الامام حكما مطلقا ، وانما اخذوا الامام منهم السيطرة شيئا فشيئا ، فقد انضعوا الى الجعل فاسترد الامام منهم البصرة وما والاها ثم اوجدوا قصة صفين ، فاسترد الامام منهم بعض اجزاء البلاد ، وسببوا تكون الخوارج فاسترد الامام منهم السيطرة (تفويقا) للمبالغة فى الاعطاء قليلا قليلا ، لانه مصدر تأكيدى .

(والله لئن بقيت لهم) ذكر ((لهم)) لان البقاء لا يستلزم التمكن ، فكانه عليه السلام قال لئن بقيت قادرا عليهم (لانفضنهم) النفى تحريك الشئ بعنف ليطير منه ما لصق به ، من تراب ونحوه (نفض اللحام) اى بائع اللحم - كالقصاب ونحوه -

الْوَذَامُ التَّرْبَةُ !

قال السيد الرضى . ((ره)) التراب الوذمة وهو على القلب ، ثم قال السيد ((ره)) : ليفوتوننى : اى يعطوننى من المال قليلا قليلا كفواق الناقة و هو الحلبة الواحدة من لبنها والوذام جمع وذمه و هى الحنرة فى الكرش أو الكبد تقع فى التراب فتتنفض .

(الوذام) جمع وذمة و هى القطعة من الكرش ونحوها (التربة) اى التى اصابها التراب ، فان القصاب اذا جعل الكرش والمعى على الارض فتلطخت بالتراب ، نفضها نفضا شديدا اذا اخذها ، ليزيل التراب و القذر الذى لصق بها من الارض و انما شبهه بذلك ، تحقيرا لهم ، و تشبيها لما احتووها بالتراب و القذى ، وقد جرت عادة القصابين ، على جعل الكرش ونحوها على الارض ، ثم نفضها لىدى اخذها .

قال السيد الرضى (ره) ((التراب الوذمة و هو على القلب)) من قبيل عرضت الناقة على الحوض و قول الشاعر :

((فلما ان جرى سمن عليها كما طينت بالفدن السباعا))

فان الوذمة تترب ، لان التراب يوصف بالوذمة ، ثم قال السيد (ره) : ((ليفوتوننى : اى يعطوننى من المال قليلا قليلا كفواق الناقة و هو الحلبة الواحدة من لبنها)) التى تعطى له لتدرا الام ، ثم اذا درت فصل عنها لتحلب ((والوذام جمع وذمة و هى الحزة من الكرش او الكبد)) الحزة القطعة ((تقع فى التراب فتتنفض)) وقد اراد الامام عليه السلام بذلك انه يسلبهم ما احتووه من السلطة و المال بغير حق .

وَمِنْ كَلِمَاتٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدَّ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ .
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي ، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي .

و من كلمات كان يدعو بها عليه السلام



مركز تحقيق كتب التراث

(اللهم اغفر لي ما انت اعلم به مني) لقد كان الانبياء والائمة عليهم السلام يرون ما يصدر عنهم من انواع المباح ، بل حتى الضروريات الجسدية ، خلاف ما يليق بعظمة الله سبحانه ، وان لم تكن تلك معاصي شرعية ، كما يرى الانسان مدّرجه امام المجتمع خلاف اللائق الموجب للاعتذار ، وان كان مضطرا الى ذلك لالم في الرجل او نحو ذلك ، وعلى هذا كان استغفارهم ، والمراد بما انت اعلم ، الخلاف الذي يكون الله سبحانه اعلم به من العبد ، فان علم الله بالاشياء انفذ و اقوى حتى من علم نفس العامل (فان عدت) الى ترك الاولى (فعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ) مصدر ميمي لمغفر ، بمعنى عفى عن الذنب وستره (اللهم اغفر لي ما وَاَيْتُ) اي وعدت ، من وئى على وزن رمى (من نفسى ولم تجد له وفاء عندى) بان وعدت ان اترك تلك المخالفة ، ثم اف بذلك .

اَللّٰهُمَّ اَغْفِرْ لِيْ مَا تَقَرَّبْتُ بِهٖ اِلَيْكَ بِلِسَانِيْ ، ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِيْ . اَللّٰهُمَّ
اَغْفِرْ لِيْ رَمَزَاتِ اَلْاَلْحَاظِ ، وَسَقَطَاتِ اَلْاَلْفَاظِ وَشَهَوَاتِ اَلْجَنَانِ وَهَفَوَاتِ
اَللِّسَانِ .

(اللهم اغفر لي ما تقربت به اليك بلساني ثم خالفه قلبي) كان شكر الله بلسانه ،
ثم سخط على احواله وما فيه من ضيق باطنا (اللهم اغفر لي رمزات الالحاظ) جمع
رمز ، بمعنى الاشارة ، و الالحاظ جمع لحظ و هو باطن العين والمراد طلب
الخفوان من الاشارات التي تصدر عن العين خلاف مرضاته سبحانه ، — والمراد
هنا ما كان تركا للاولى ، كما تقدم — (وسقطات الالفاظ) اى الالفاظ الساقطة عن
درجة الاعتبار وطريقة الادب ، كاللغو من الالفاظ والهدر من الكلمات (وشهوات
الجنان) الجنان القلب ، سمي بذلك لاختفائه ، ومنه سمي الجن والجنين والمجن
وما اشبهه ، والمراد بشهوات الجنان الميول القلبية الى غير الفضيلة ، وان كان مباحا
(وهفوات اللسان) جمع هفوة و هى الزلة ولعل الفرق بين هذا وبين قوله سقطات
الالفاظ ، ان ذاك اشبه بالعمد ، وهذا اشبه بالسهو .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير الى الخوارج فقال له يا أمير المؤمنين ان سرت في هذا الوقت خشيت ان لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال عليه السلام :

أَتَزْعَمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مِنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ ؟

((ومن كلام له عليه السلام))

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير الى الخوارج فقال له يا أمير المؤمنين ان سرت في هذا الوقت خشيت ان لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم ، فقال عليه السلام :

للردع عن التَّبَوُّعِ عن المستقبل بعلم النجوم ، ما يأتي ، وعلم النجوم هو العلم باحوال الارض ومن عليها ، من اختلاف حركات النجوم وقد كان لهذا العلم اصل ، ثم اندرس ، ولم يبق منه الا امور ناقصة تطابق الواقع احيانا وتخالفه كثيرا ، ولذا فلا يصح الاخبار بذلك ، ولا الجزم ، ولا ترتيب الاثر ، كما ذكر في الفقه .
(اتزعم) اي هل تظن ايها المخبر عن علم النجوم (انك تهدي) وترشد الناس (الى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء) بان لا يصيبه مكروه ، لان سيره

وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضَّرُّ ؟ فَمَنْ صَدَّقَ
بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الْإِعَانَةِ بِاللَّهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ
وَدَفَعَ الْمَكْرُوهَ ، وَتَبَتَّغَى فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُؤْلِيكَ الْحَمْدَ
دُونَ رَبِّهِ ،

كان في ساعة حسنة (وتخوف من الساعة التي من سار فيها حاق) اي احاط وحل
(به الضر) اي الضرر لانه سار في ساعة نحسة (فمن صدق بهذا) الذي تزعم عن
علمك (فقد كذب القرآن) لان القرآن يقول : وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما
تدري نفس باي ارض تموت ، ان قلت فماذا هذا الذي نرى من مطابقة بعض
الاخبارات للمستقبل ، قلت : ذلك من باب الصدقة لا الكلية ، ومن علم فليس يتمكن
من القطع — الامن باب قطع الانسان غير العادي — اذ لا يعلم الانسان الاسباب
والمسببات من جميع وجوهها وخصوصياتها ، ومن ادعى ذلك فهو جاهل او
متجاهل .

(واستغنى عن الاعانة بالله في نيل المحبوب و دفع المكروه) فان الانسان اذا
علم المستقبل بحيث لا يغير ولا يبدل كما هو مقتضى اخباره القطعي لم يك موقع
ليطلب من الله سبحانه ان يتفضل عليه بما يريد من الامور المحبوبة ، او بما يخشاه
من الامور المكروهة ، وهذا خلاف ضروري الاسلام من الدعاء والرجاء والخوف و
ما اشبه (وتبتغي) ايها النجم المخبر عن المستقبل (في قولك) اخبارا عن مستقبل
مخاطبك (للعامل بامر ان يؤليك الحمد) اي ان يحمداك لما كشفت له عن
المستقبل المحبوب ، او المستقبل المكروه فاجتنبه لقولك ، فلم يقع فيما يكره (دون ربه)
تعالى لانك افدته اكثر من افادته سبحانه ، اذ لولا انت لوقع في المحذور ، فانست
الدافع الوحيد للمحذور .

لَأَنْتَ - بِزَعْمِكَ - أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النُّفْعَ . وَأَمِنْ
الضَّرِّ !!

ثم اقبل عليه السلام علو الناس فقال :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلَّمِ النُّجُومَ ، إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ
بَحْرٍ ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكُهَانَةِ ،

(لانك بزعمك) الزعم يستعمل كثيرا لما ظنه الانسان واقعا وليس بواقع (انت
هديته) وارشده (الى الساعة التي نال فيها النفع) فلو لا انت لم نيل النفع
(وامن الضر) ولولا انت لوقع في الضرر .

ثم لا يخفى ان المنجم الذي اخبر الامام عليه السلام كان على خطأ ، لان
الامام خرج الى الخوارج وظهر عليهم فقد بدد هم وكسر شوكتهم وانتصر عليهم .
ثم اقبل عليه السلام على الناس فقال :

(ايها الناس اياكم وتعلم النجوم) ((اياكم)) للتحذير ، اي احذركم من
تعلم النجوم ، والمراد النجوم التي توجب الاخبار عن المغيبات لا النجوم التي
تعرف بها الازمان ، فقد قال الامام عليه السلام : انما العلوم اربع علم الفقه لحفظ
الاديان وعلم النجوم لحفظ الازمان وعلم النحو لحفظ اللسان وعلم الطب لحفظ
الابدان ، ولذا استثنى عليه السلام عن التحذير بقوله : (الا ما يهتدى به في بر أو بحر)
فان النجوم دليل الانسان في الليالي المظلمة الى كيفية السير نحو المقصد ، كما
قال سبحانه ((وبالنجم هم يهتدون)) والظاهر ان هذا من باب المثال ، و الا
فكل اهتداء جائز بالنجم ، مثلا اكثر الزارع يهتدون بالنجوم لاقوات الزرع ونحوه
(فانها) اي النجوم - والمراد تعلم التنجيم - (تدعو الى الكهانة) وهي تقوية
النفس تقوية خاصة للاتصال بالشياطين والارواح غير المرئية ، ثم تلقى الاخبار
المستقبلية منها ، فقد تصدق تلك الاخبار وقد تكذب .

للأمام الشيرازى ٣٠١

وَالْمَنْجَمُ كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ، وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ ! وَالْكَافِرُ فِي
النَّارِ ! سِيرُوا عَلَى أَسْمِ اللَّهِ .

وانما كانت النجوم تدعوا الى الكهانة لان المنجم كثيرا ما يحلولة اطلاعه عن
المستقبل بواسطة النجوم - خصوصا اذا صدقت جملة من اخباره الموجب لعلو
منزلته عند الناس - وذلك يجّره الى الاستزادة من هذا النحو من العلم مما يوجب
تبعه لمظانه ، ومن مظانه الكهانة لانها توجب الاطلاع على المستقبل ايضا -
- بزعمه - (والمنجم كالكاهن) لان كلاهما يخبر عن المستقبل بادلة حدسية
لكن الاول يستدل بالنجوم عليه والثاني يستدل بالارواح غير المرئية عليه
(والكاهن كالساحر) والفرق بين الكهانة والسحر ان الاول مجرد الاطلاع عن
المستقبل بواسطة الارواح والثاني التأثير في الناس تأثيرا غريبا بواسطة الارواح
كعقد الرجل عن حليته وما اشبه ذلك ، وكلاهما من واد واحد حيث يستعين
الانسان لكشف مستقبله او تأثيره بالارواح غير المرئية .
(والساحر كالكاfer) لان كليهما خارج عن اطاعة الله سبحانه ، فانه سبحانه
حرم السحر لما يترتب عليه من الضرر ، كما نهى عن الكفر ، ولذا ورد في الحديث
ساحر المسلمين يقتل ، ولو انفتح باب السحر لسبب اضرارا كثيرة في المجتمع كما
لا يخفى ، وقد حدث لبعض اقربائنا انه طرد ساحرة عن بيته ، كانت تراودهم بحكم
الجوار فاغتازلت الساحرة ، وارادت الاضرار برئيس البيت الطارد لها ، ثم قالت
انى لا اسحر نفس الطارد - لماله من النعمة على - وانما اضره في عينه واصيبه ، فلم
تضل الامدة يسيرة ، واذا بالطارد رمدت عيناه وعميتا ، وبقي كذلك حتى مات
- رحمة الله تعالى عليه - وقد كشف العلم الحديث جانبا كبيرا من الامور المرتبطة
بالارواح ، كما تجده في كتاب ((على حافة العالم الاثري)) لبعض الغربيين (والكاfer
في النار) وبقيا س المساوات : المنجم في النار (سيروا على اسم الله) وهكذا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بعد حرب الجمل في ذم النساء

مَعَاشِرَ النَّاسِ ، إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ ، نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ ،

خرج الامام لحرب اهل النهروان بدون الاعتناء الى ذلك المنجم ، وظفر رغباً على
اخباره بانه يخشى انه لا يظفر بمراده .

((ومن خطبة له عليه السلام))

خطبها ((بعد حرب الجمل في ذم النساء)) وذلك لأن الرئيس في تلك الحرب
كانت امرأة وهي - عائشة - فاراد عليه السلام بيان فشل رأيهن حتى لا يعتمد
عليهن في مشورة خصوصاً في الأمور العظيمة ، وقد ثبت في العلم الحديث ضعف
اجهزة المرأة العقلية ، وانها عاطفية مما لا يمكن ان يستند اليها بالأمور العظام .
ولذا نرى العالم - وان هرج حولها وحول مساواتها للرجل - لم يستند
اليها بمنصب رؤساء الحكومات وما اشبه بل المناصب العظام كلها مستندة الى
الرجال فهذه امريكا ، وانكلترا ، والمانيا ، وفرنسا ، والاتحاد السوفياتي ، و
غيرها كل رؤساء حكوماتها رجال ، وان ملئوا العالم صياحاً بتساويها مع الرجل ،
وهكذا في سائر المناصب المهمة كمجلس الاعيان والوكلاء .

(معاشر الناس) جمع ((معشر)) وهو الجمع ، وهذا منادى محذوف عنه
حرف النداء (ان النساء نواقص الايمان) شرعاً ، وذلك تبع لنقصان عقولهن كما
سيأتي ، والمراد بنقص الايمان عدم ادراكهن الايمان الكامل الذي يتمكن الرجل
ان يتوصل اليه (نواقص الحظوظ) جمع حظ وهو الامر الذي يسعد الانسان ، و

نَوَاقِصُ الْعُقُولِ : فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ

هذا ايضا شرعى تبع لنقصان عقولهن وضعف اجهزتهن خلقة (نواقص العقول) و هذا خلقى ، فقد خلق الله تعالى المرأة لشؤون المنزل فهى بين ادارة بيت ، و حمل و ولادة ، وتبعاً لذلك جعل فيه العاطفة القوية حتى تحنو على المنـزل و الاولاد ، وبهذه النسبة من قوة العاطفة تقل القوة العقلية المتوفرة فى الرجل (فاما نقصان ايمانهن فقعودهن عن الصلاة و الصيام فى ايام حيضهن) ((الحيض دم تراه المرأة فى كل شهر غالباً)) اذا صارت بالغة ولم تبلغ سن اليأس ، و اقل الحيض ثلاثة ايام ، و اكثره عشرة ايام ، و البلوغ يتحقق فيها بدخولها فى العاشرة و اليأس يتحقق فى القرشية و التبضية ببلوغ السنين و فى غيرهما ببلوغ الخمسين . و لعل الحكمة فى سقوط الصلاة و الصيام عنهن التعويض بذلك عن مرضهن ، فان الحيض مرض كما قال سبحانه ((ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى)) و كما قرر ذلك علم الطب ، ثم لا يخفى ان هذا النقصان ليس مما يوجب نقصان اجرهن فى الآخرة ، و لذا تكون زوجات اهل الجنة ، فى منازل أزواجهن .

(و اما نقصان حظوظهن فموارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ) كما قال سبحانه ((للذكر مثل حظ الانثيين)) و هذا غالبى و الا فرمما صار حظها مساوياً او اكثر من الرجل و الحكمة فى تقليل حظها ان مؤنتها اقل فالام و البنت و الزوجة — و هن غالب النساء — نفقاتهن على الولد و الاب و الزوج (و اما نقصان عقولهن) و قد استدل الامام لذلك بدليل شرعى بقوله (فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد) فى كثير من ابواب الشهادة ، كما يعرفها المطلع على الفقه ، ولو لم تكن

فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي
الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَظْمَنَ فِي الْمُنْكَرِ

المرءة ناقصة العقل لم تكن شهادتها كذلك .

(فاتقوا) ايها الناس (شرار النساء) ولا تملكنهم ازمة الامور ، فان الناقص اذا
كان شرا وملك اوجب الفساد والتبار ، ولذا قال الرسول صلى الله عليه وآله
ذل قوم وليتهم امرته (وكونوا من خيارهن على حذر) لان الخير العملى لا يوجب
تبديلا فى الخلقة ، فمثلا السفه اذا كان خيرا لا يوجب كونه خيرا رشدا وحصافة
فى عقله وتصرفاته (ولا تطيعوهن فى المعروف) بان لا يكون عملكم بالمعروف صادرا
عن اطاعتهم ، بل صادرا عن انفسكم وحسن المعروف الذاتى (حتى لا يظمن
فى المنكر) فان الانسان اذا رأى نفسه مطالعا ، تدرج من الامر بالحسن الى الامر
بالقبيح .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في تعريف الزهد في الدنيا و تعيين الزاهد

أَيُّهَا النَّاسُ ، الزَّهَادَةُ قِصْرُ الْأَمَلِ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ ، وَالْوَرَعُ عِنْدَ
الْمَحَارِمِ ، فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ ،

((ومن كلام له عليه السلام))

في تعريف الزهد في الدنيا و تعيين الزاهد

(أيها الناس: الزهادة قصر الامل) بان لا يكون الانسان طويل الامل، ومعنى
طول الامل ان يأمل الانسان ان يبقى في الدنيا طويلا ويرغب في نعيم الدنيا ، فان
ذلك يوجب التكالب عليها مما ينسى الآخرة فلا يعمل العمل اللائق بها (والشكر عند النعم)
لان الزاهد نظره الى الآخرة وكلما كان نظرا الانسان الى الآخرة يكون
متوجها الى الله سبحانه مما يوجب شكره لكل نعمة للالتفات الحاصل له ، وذلك
دون غير الزاهد الذي هو اقل التفاتا او عديم الالتفات (والورع عن المحارم) اي
الاجتناب عنها ، فان الزاهد يعرف عظم خطر المحرمات فيجتنب عنها بخلاف غير
الزاهد (فان عزب ذلك) الزهد (عنكم) اي لم تكونوا زاهدين في الدنيا معرضين
عنها — فان عزب بمعنى غوب و بعد — (فلا يغلب الحرام صبركم) بان تقتحموا

وَلَا تَنْسُوا عِنْدَ النُّعْمِ شُكْرَكُمْ ، فَقَدْ أَعَذَّرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَكُتِبَ بَارِزَةُ الْعُذْرِ وَاضِحَةً .

المحرمات حسب شهوة النفس، ولا تتمكنوا من كف النفس عن الشهوة ، اذ في اقتحام المحرمات نكالا وعقابا .

(ولا تنسوا عند النعم شكركم) بان تتركوا الشكر اطلاقا، فان هناك واسطة بين الشكر المطلق ونسيان الشكر اطلاقا، كما ان هناك واسطة بين الزهادة وبين ارتكاب المحرمات، والامام عليه السلام يأمر باتباع الوسط اذ الم يتسنى للانسان المرتبة الراقية من الزهد والشكر (فقد اعذر الله اليكم) يقال اعذرت الى فلان بمعنى اقصت لنفسى عنده عذرا ومعنى اعذر الله انه تعالى اقام العذر حتى اذا عاقب يكون قد اتم الحجة، ولم يكن عقابا بلا بيان (بحجج مسفرة) من اسفر اذا بان وظهر (ظاهرة) تأكيد لمسفرة، والحجج هي الانبياء والائمة الذين نصبهم لهداية العباد وارشاد الناس لئلا يقول احدكم لم اك اعلم لزوم الشكر او خطر المحرمات (وكتب بارزة العذر) اى كون تلك الكتب السماوية ظاهرة فى اتمام الحجة الموجبة لان يكون لله عذرا فى عقابكم اذا خالفتم (واضحة) ليست بغامضة ، ولا بعيدة من متناول الناس .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في صفة الدنيا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا غِنَاءٌ ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ ! فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ . مَنْ أَسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ ،

((ومن كلام له عليه السلام))

(في صفة الدنيا، لترهيد الناس فيها)

(ما اصف من دار اولها غناء) اي تعب ونصب، و((ما)) استفهامية، وكون اول الدنيا غناء واضح فان الانسان لا يردّها الا بصعوبة في الحمل والوضع وما اشبه (واخرها فناء) اي عاقبة الناس فيه ان يموت او عاقبة نفس الدنيا ان تغنى عند قيام الساعة ودار لا تبقى ينبغي ان يزهد فيها لعدم قيمة حقيقة للشئ الذي يفنى ولا يدوم (في حلالها حساب) اذ يحاسب الله سبحانه يوم القيامة كل ما عمل الانسان من خيرا وشر و المراد بالحلال - على الظاهر - كل ما ليس بحرام، بقرينة المقابلة (وفي حرامها عقاب) ونكال (من استغنى فيها) غناء في المال او الجاه او ما اشبه (فتن) بمعنى انه يعرض عن الذي يجب عليه بالنسبة الى ما اعطاه الله تعالى ، فاذا صار صاحب مال بخل او صاحب جاه لم يقض الحوائج و تكبر، او صاحب علم لم يبذل و شمع بانفه وهكذا .

٣٠٨ توضيح نهج البلاغة

وَمَنْ أَفْتَقَرَ فِيهَا حَزْنَ ، وَمَنْ سَاعَاها فَاتَتْهُ ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاَتَتْهُ ، وَمَنْ
أَبْصَرَ بِهَا بَصْرَتَهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ .

قال السيد الرضى ((ره)) : أقول : واذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام :

من ابصر بها

(ومن افتقر فيها حزن) ومن المعلوم لزوم النفرة عن شئ يوجب كلا طرفيه
المشقة والانحراف .

(ومن ساعاها) أى سعى لاجلها (فاتته) أى تفوته الدنيا ، فان الدنيا لا
تحصل بالسعى وانما بالتقدير والنصيب كما قال الشاعر :

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون

وهذا غالبي ، لا دائمى . كما ان قوله (ع) ((من استغنى الخ)) غالبي ، فان
هذه الجمل على نحو القضية الطبيعية لا الكلية كما لا يخفى ، وقد تفسر هذه
الجملة بان فاتته بمعنى سبقته فانه كلما نال الانسان شيئا فتحت له ابواب الآمال
فيها فلا يكاد يقضى مطلوبا واحدا حتى يهتف به الف مطلوب ، والذي ذكرناه اظهر
فى معنى الجملة .

(ومن قعد عنها) أى عن الدنيا (و اتته) أى اتته الدنيا ، فليس حصولها
بالسعى ، وان كان للسعى مدخلا ، ولذا نرى :

كم عاقل عاقل اعيت مذهبـــــــــــــــــه و جاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الانسان يدع ان هناك من خلق الاشياء تدقيقا

(و سربها) أى جعل الدنيا آلة البصيرة ليرى بها الاشياء ويعتبر
بها الامر كيف سرف و تنتقل من حال الى حال (بصرتة) أى ارته الامور مجاريها
ومصايرها ، فلا يغتر بها معرفته حقيقتها (ومن ابصر اليها) بان جعل غاية
نظره الدنيا يتطلب جاهها ومالها وعزها (اعتمه) وتسبب له الهلاك ، فان النظر

للامام الشيرازي ٣٠٩

بصرته . وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد مالا تبلغ غايته ولا يدرك غوره ، ولا سيما اذا قرن اليه قوله : ومن أبصر اليها اعتمه فانه يجسد الفرق بين ابصر بها و ابصر اليها واضحا نيرا وعجيبا باهرا .

الى الدنيا كالنظر الى المرأة قد تكون نظرة اليه وقد تكون نظرة استقلالية .



مركز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهي من الخطب العجيبة وتسمى « الغراء »

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ ، *مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی*

((ومن خطبة له عليه السلام))

(وهي من الخطب العجيبة وتسمى الغراء)

وكونها عجيبة لاشتغالها على غرائب احوال الانسان في النشاطين بعبارات بليغة ، واساليب بديعة ، قد بلغ الامام عليه السلام عمق احوال الدنيا واحوال الآخرة .

(الحمد لله الذي علا) اي ترفع (بحوله) وقدرته ، ولا يخفى ان صفات الذات اذا صيغت في قالب الفعل انسلخ الفعل بالنسبة اليها عن الزمان ، فاذا قيل ((علم الله)) او ((علا)) او ((قدر)) او ما اشبه لا يراد بها انه صار الى تلك

وَدَنَا بِطَوْلِهِ، مَانَحَ كُلَّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ ، وَكَاشَفَ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَأَزَلَّ .
أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ ، وَسَوَابِغِ نَعْمِهِ ، وَأَوْمِنُ بِهِ أَوَّلًا بِأَدْيَا ،
وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا ، وَأَسْتَعِينُهُ قَاهِرًا قَادِرًا ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ

الصفات بعد ان لم يكن ، بل المراد نسبة المصدر الى الذات ، بمعنى انه عالم
قادر عال ، وهكذا ، بل قد ذكر المحقق الخراسانى فى الكفاية ان الفعل لا وضع
له للزمان ، وانما ينصرف منه ذلك انصرافا حسب القرينة العامة ، والمعنى ان
قدرته العامة هى الموجبة لكونه سبحانه عاليا رفيعا ، اذ والقدرة فوق مالا قدرة له
(ودنا) اى قرب الى الخلق قريبا معنويا بالاطلاع والاحسان (بطوله) اى
بفضله وكرمه فكما ان المتفضل قريب الى المتنعم قريبا حسيا كذلك الله سبحانه
قريب الى الخلق قريبا معنويا (مانح كل غنيمة وفضل) فان كلما يغتنمه الانسان
من خيره وما يأتية من فضل و احسان فانه من الله سبحانه (وكاشف كل) بليّة
(عظيمة) فانه تعالى هو الذى يزيل المكاره ، وانما قيل ((كشف)) تشبيها للمكارة
بالغاشية التى تغشى الانسان فاذا ازيلت فقد كشفت (وازل) هو الضيق والشدة
(احمده على عواطف كرمه) العطف هو الميل نحو الغير ، ونسبته الى الكرم مجاز
من باب علاقة السبب والمسبب لأن الكرم لا يعطف وانما الشخص يعطف (وسوابغ
نعمه) جمع سابعة وهى النعمة الشاملة من سبغ الظل اذا عم وشمل .

(واومن به) اى بالله سبحانه (أولا باديا) اى فى حال كونه تعالى اول الاشياء
لاشى قبله او معه ، وكونه باديا اى ظاهرا لاخفاء فيه (واستهديه) اى اطلب
هدايته فى حال كونه (قريبا) الى الانسان بالعلم والقدرة (هاديا) يهتدى
الناس من الظلمات الى النور ومن الباطل الى الحق (واستعينه قادرا قاهرا)
فانه يتمكن من عون الانسان لقدرته ويتمكن لقهر الصعاب وتذليلها (واتوكل عليه)

كَافِيًا نَاصِرًا ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ لِنَفْذِ أَمْرِهِ ، وَإِنْهَاةِ عُذْرِهِ وَتَقْدِيمِ نُذْرِهِ .
أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ لَكُمْ وَوَقَّتَ لَكُمْ
الْآجَالَ

التوكل هو تفويض الامر الى الله سبحانه ليتولى انفاذه وامضائه (كافيا) يكفى من كل شئ (ناصر) ينصر من طلب النصرة منه فى اموره (واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله) وكان الشهادة بكونه صلى الله عليه وعلى آله عبده لئلا يغال محبيه فيرفعوه فوق درجته ، وان كان هذا غير خاص به اذ كل انسان عبده تعالى .

(ارسله) تعالى الى البشر ومعنى الارسال تحميل الرسالة ، وان لم يكن هناك تحرك من محل الى محل آخر (لانفاذ امره) اى ايضا ل امر الله تعالى الى المأمورين (وانهاء عذره) العذر هو الحجة ، والمعنى ابلاغ احكام الله تعالى الذى يوجب الحجة من الله على الناس حتى اذا لم يعملوا وعاقبهم كان ذلك بعد اتمام الحجة (و تقديم نذره) النذر جمع نذير وهو التخويف، والمعنى ان يبين الرسول المخوقات للناس ، وانما سعى تقديمه باعتبار ان ذكرها مقدم على وجودها الخارجى فالرسول يبين ان من زنا - مثلا - فعليه كذا من العقاب، فقد قسّم الانذار على العقاب الذى يشمل الزانى .

(اوصيكم عباد الله بتقوى الله) اى اتقائه والخوف منه (الذى ضرب لكم الامثال) جمع مثل، وهو ما يذكر مما اصاب الاوليين الذين عصوا وخالفوا الاوامر، والمراد مطلق المثل الذى جئ به لتوضيح الكلام .

(ووقت لكم الاجال) جمع اجل وهو اخر مدة الانسان ، او مدة كونه فمسمى الحيات، والمراد ان الله سبحانه جعل للبشر وقتا محدودا بلا زيادة او نقصان

وَالْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وَأَرْفَعَ لَكُمْ الْمَعَاشَ، وَأَحَاطَ بِكُمْ الْإِحْصَاءَ، وَأَرْصَدَ لَكُمْ
الْجَزَاءَ وَآثَرَكُمْ بِالنُّعْمِ السَّوَابِغِ، وَالرَّفْدَ الرَّوَافِغِ وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ
الْبَوَالِغِ وَأَحْصَاكُمْ عَدْدًا، وَوَضَّفَ لَكُمْ مُدَدًا، فِي قَرَارِ خَبْرَةٍ، وَدَارِ
عِبْرَةٍ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.

(والبسكم الرياش) وهو اللباس الجميل الذي يتزين به الانسان، والمراد اما
الالبسة واما صورة الانسان التي بها جمال الانسان على سائر انواع الحيوان
(وارفع لكم المعاش) يقال رفع عيشه رفاغة اي اتسع، اي انه سبحانه اوسع عليكم
ما تعيشون به من مال ومأكل ومسكن وما اشبه (واحاطكم بالاحصاء) اي انه
سبحانه احصاكم ويعلم تعدادكم، والعالم محيط بالعلوم معنى، كما ان السور
محيط بالبلد خارجا (وارصد لكم الجزاء) اي اعد له لكم فكل انسان يلقي جزاءه
(واثركم) اي اختاركم (بالنعم السوابغ) جمع سابغ وهي الواسعة، فان الله
سبحانه اختار الانسان لاعطائه اعظم النعم مما لم يفعله بالملائكة وسائر مخلوقاته.
(والرشد الروافغ) الرشد جمع رقد وهو العطية، والروافغ جمع رافغة وهي
المتسعة (وانذركم بالحجج البوالغ) جمع بالغة اي الحجة الواصلة اليكس (و
احصاكم عددا) فهو يعلم عددكم (ووظف لكم مددا) اي جعل لكم مدة وامتدادا
في الحيات لا تتجاوزون عنه، ولعل التكرار لئلا يتوهم المبالغة في قوله ((وقست
لكم الاجال)) ((واحاطكم بالاحصاء)) فان الذهن يستبعد علم احد بكل انسان
وان تكون الاوقات المختلفة بالجعل والتوظيف فالتكرار للاثبات والتأكيد والتركيز
(في قرار خبره) اي ان الاحصاء والتوظيف في مستقر هو الدنيا - جعل ذلك
للاختبار والامتحان (ودار عبرة) فان الدنيا دار الاعتبار والاتعاظ (انتم
مختبرون فيها) فان الله سبحانه يمتحن الانسان في الدنيا (ومحاسبون عليها)

فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرُبُهَا ، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا ، يُونِقُ مَنَظَرُهَا ، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا .
غُرُورٌ حَائِلٌ ، وَظِلٌّ زَائِلٌ ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ ، حَتَّى إِذَا أَنَسَ نَافِرُهَا ،
وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا

اى يحاسبكم على الدنيا ، و المراد الحساب على تعاطى الانسان الدنيا (فان الدنيا رنق مشربها) الرنق هو الكدر ، و هذا كناية عن الام الدنيا ، وهمومها ، فهى مثل الماء الكدر الذى لا يهناء شارب و قوله ((فان)) ب ((الفاء)) تفريع على قوله ((اوصيكم)) كانه عليه السلام قال اتركوا لذات الدنيا فانها كدر (ردغ مشرعها) المشرع المحل الذى يتمكن الانسان من الوصول الى ماء النهر و نحوه و الردغ الكثير الطين و الوحل (يونق منظرها) اى يعجب منظر الدنيا ، فان الانسان اذا نظر اليها اعجبته و ظن انها بدون الام و هموم (ويوبق) اى يهلك (مخبرها) اى الاخذ بها ، فان من يأخذ بالدنيا بلا احتراز و توفى يهلك لما يصيبه من الاثام و المعاصى .

(غرور حائل) اى ان الدنيا غرور يحول و يزول فلا يبقى ، وحمل ((غرور)) على الدنيا مبالغة ، مثل ((زيد عدل)) . و حائل من حال يحول اذا زال و لم يبق (و ظل زائل) اى ان الدنيا كالظل الذى تنسخه الشمس فلا يبقى و انما يمكث برهة (و سناد مائل) السناد ما يستند اليه الانسان فان كان ثابتا قائما استقر المستند اليه ، وان كان مائلا مشرفا على الوقوع كان المستند اليه فى معرض السقوط (حتى اذا انس نافرها) النافر من الحيوان الذى لا يئنس ، و انس النافر كناية عن التعب لاجل الايلاف ، كما يتعب من يريد تذليل الحيوان الوحش لىانس (واطمأن ناكرها) اى الذى ينكر الدنيا ، و هو كناية عن الاطمئنان و الاستقرار الذى يحصل للانسان بعد جهد وجد ، من جهة العلاء و المكانة الاجتماعية و ما اشبه .

قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا ، وَقَنَصَتْ بِأَحْبِلِهَا ، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا ، وَأَغْلَقَتْ
الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ وَوَحْشَةَ الْمَرْجِعِ ، وَ
مُعَايِنَةَ الْمَحَلِّ وَثَوَابِ الْعَمَلِ ، وَكَذَلِكَ الْخَلْفُ بِعَقْبِ السَّلَفِ . لَا
تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً ، وَلَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً ،

(قمصت الدنيا (بارجلها) يقال قمصت الدابة اذا رافعت يديها معاً و
طرحتهما ، وفي ذلك طرح للراكب لانه يعيل الى الخلف بهذا العمل (وقنصت
ياحبها) اي اصطادات بالشباك التي بسطتها لاقتناص الناس ، وذلك عن
ايجاد المشاكل لهم ، او امامتهم (واقصدت باسهمها) جمع سهم اي ارسلت
سهامها الى هذا الانسان المطمئن حتى تجرحه وتؤذيه (واغلقت المرء اوهاق
المنية) الاوهاق جمع وهق وهو شئ كان يستعمله اللصوص اذا ارادوا التسنق ،
فهو حبال في رأسها عصى معقوفة ، يطرحونها على الحائط ثم يتسلقونها وتسمى
بالفارسية ((كمند)) يعنى ان الدنيا تطرح على المرء حبال الموت لتجره نحو
الفناء والهلاك ، او بمعنى يصعد الموت اليه بسبب الوهق .

(قائدة له الى ضنك المضجع) اي تقود الدنيا الانسان الى ضيق القبر ، فان
الضنك بمعنى الضيق (ووحشة المرجع) فان الانسان يستوحش من الاخرة لعدم
انسه بها (ومعاينة المحل) اي مشاهدة مكانه في الاخرة (وثواب العمل) اي
جزاء ما عمله في الدنيا ، فان ((ثوب)) بمعنى جزاء ، قال تعالى ((هل ثوب
الكفار)) (وكذلك الخلف يعقب السلف) ، فانه تذهب الاجيال جيلا بعد جيل ،
وكلها تبتلئ بالدنيا ، بما ذكر لها من الاوصاف (لا تقلع المنية اختراما) اقلع عن
الشئ امتنع عنه ، والاخترام الموت . اي لا تمتنع المنية عن اهلاك الاحياء ، بل
الموت جاد مستمر في اهلاك الناس . (ولا يرعوى الباقون اجتراما) اي لا يكشف

يَحْتَذُونَ مِثَالًا ، وَيَمْضُونَ أَرْسَالًا ، إِلَى غَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ ، وَصَيُورُ الْفَنَاءِ .
حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ وَأَزَفَ النُّشُورُ . أَخْرَجَهُمْ
مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ ، وَأَوْجِرَةِ السَّبَاعِ ، وَمَطَارِحِ
الْمِهَالِكِ ، سِرَاعًا إِلَى أَمْرِهِ ،

الناس الباقون عن اقتراف الاثام و الجرائم ، فانهم لا يعتبرون بموت ابائهم واسلافهم
ليكفوا عن الذنب ويفكروا في المصير (يحتذون مثالا) احتذى ، بمعنى اقتدى و
المعنى ان الباقين يقتدون في اعمالهم اثار السابقين مثلا بمثل ، بلا ارعاء و لا
انقلاع (ويمضون ارسالا) جمع رسل و هو القطيع من الخيل والابل والغنم ، اى
ان الناس كالاغنام يسير بعضهم اثر بعض (الى غاية الانتهاء) اى الى غاية هى انتهاء
الانسان في الحيات (وصيور الفناء) على وزن تنور مشتق من صار بمعنى مـصـيـر
الشى وما يؤل اليه امره (حتى اذا تـصـرـمـت الامور) اى انقضت امور هذا العالم
مما قدرها الله سبحانه (وتقضت الدهور) جمع دهر و هو مدة طويلة من الزمان
و معنى تقضت انقضت و تمت (وازف النشور) اى اقترب يوم القيامة ، و يسمى بالنشور
لنشر الناس فيه بعد الممات (اخرجهم) الله سبحانه (من ضرائح القبور) جمع
ضريح و هو الشق وسط القبر ، واصله من ضرحه ، بمعنى دفعه ، وسمى بذلسك
لعلاقة الحال و المحل فان الميت مدفوع الى هناك او باعتبار انه يدفع دون ضرح
الشق (و اوكار الطيور) جمع و كرو هو مسكن الطير ، فان بعض الطيور ياكل الاموات
ويجمع اجزائهم من عظام و نحوها في مساكنها (و اوجرة السباع) جمع و جار و هو
مسكن السبع و نحوه فان السباع تأكل الاموات و تبقى فضلاتهم في محلاتها (و مطارح
المهالك) جمع مطرح و هو محل طرح الشى اى الاماكن التى طرحت فيها اجزاء
اولئك الاموات ، و هلك فيها الناس .

في حال كون الناس (سراعا الى امره) تعالى ، اى يسرعون لحضور القيامة وسراع

مُهْطِعِينَ إِلَىٰ مَعَادِهِ ، رَعِيلاً صُمُوتاً ، قِيَاماً صُفُوفاً ، يَنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ ، وَ
يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ، عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الْأَسْتِكَانَةِ ، وَضَرَعُ الْأَسْتِسْلَامِ وَالذَّلَّةِ .
قَدْ ضَلَّتِ الْحِيلُ ، وَأَنْقَطَعَ الْأَمَلُ ،

جمع سريع (مهطعين) اى مسرعين من الهطع بمعنى اسرع (الى معاده) اى المحل
الذى قرره الله سبحانه لعود الانسان وهو المحشر، والفرق بين الجعلتين ان
الاولى بالنسبة الى امره تعالى . والثانية بالنسبة الى المحشر، وان كانت النتيجة
واحدة (رعيلاً) اى فى حال كون البشر كالرعيل، وهى القطعة من الخيل، شبهوا
بها لتلاحق جماعات الناس بعضهم ببعض كما تتلاحق قطع الخيل (صموتا) اى
ساكتين لا يتكلمون لخوف الموقف، فى حال كونهم (قياماً) جمع قائم فان الدهشة
تمنعهم عن الاستراحة والجلوس (صفوفاً) مصطفين كل صنف صف (ينفذهم البصر)
والظاهر ان المراد انه لا مخفى منهم بل كلهم فى صحراء واحدة بارزون حتى ان
الانسان اذا نظر اليهم يحيط بهم بغير ان يمنع عن رؤيتهم مانع من ستر او حجاب
او مخباء او ما اشبه ذلك .

(و يسمعهم الداعى) فان الذى يدعوهم من قبله سبحانه يسمع جميعهم فلا
يخرج احد منهم من قبضته سبحانه (عليهم لبوس الاستكانة) هى بمعنى الخضوع
واللبوس ما يلبس، وهذا كناية عن انهم خاضعون منتهى الخضوع حتى كانهم
لا يسون لباس الخضوع من رأسهم الى اقدامهم (وضرع الاستسلام) الضرع الوهن
والخشوع والاستسلام تسليم الامر، فهم خاضعون لامر الله تعالى، حيث لا قوة
تمنعهم عن حكمه (والذلة) فهم اذلاء لا عزة لهم ولا منعة (قد ضلت الحيل) جمع
حيلة وهى العلاج للتخلص من المشكلة التى يقع الانسان فيها، اى انهم لا حيلة لهم
لدفع مكاره يوم القيامة فقد انقطعت الحيل التى كانوا يباشرونها فى دار الدنيا و
(ضلت) كناية عن فقدانها (وانقطع الامل) فلارجاء لهم فى غيره سبحانه وتعالى .

وَهَوَتْ الْأَفْئِدَةُ كَاطِمَةً وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيِّمَةً ، وَالْجَمَّ الْعَرَقُ ، وَعَظُمَ الشَّقِيُّ وَأَرْعَدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَضْلِ الْخِطَابِ وَمُقَابِضَةِ الْجَزَاءِ ، وَنَكَالِ الْعِقَابِ ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ .

(و هوت الافئدة) جمع قواد . ومعنى هوت اضطربت ، فان الانسان اذا راى مهول حس فى قلبه انه يهوى الى الاسفل ، فى حال كون تلك القلوب (كاظمة) قد كظمت غضبها لانه لا منفذ للغضب هناك (وخشعت الاصوات) اى خفيت كما قال سبحانه : ((وخشعت الاصوات للرحمان فلا تسمع الا همسا)) (مهينة) الهينة الكلام الخفى ، فان من طبع الانسان ان يتكلم عند المخوف بالهمس والاخفات ، وكأنه لثلا يظهر شخصه فيبتلى بما يخاف منه ويخشاه (والجم العرق) فان الانسان اذا عرق كثيرا جرت المياه من رأسه الى طرف نعله فكانه لجام على فيه ، او المراد انهم يعرقون حتى يبلغ العرق من اقدامهم الى افواههم فهم فى بحر من عرقهم .
(وعظم الشقي) اى الخوف (و ارعدت الاسماع) اى عرتها الرعدة ، فان الانسان اذا سمع صوتا مزعجا يحس برعدة فى اذنه (لزبرة الداعى) من زبره بمعنى زجرة ، والمراد بالداعى الملك الذى يدعو الناس بشدة (الى فصل الخطاب) اى الخطاب الفاصل بين الحق والباطل (ومقابضة الجزاء) اى قبض جزاء اعمالهم ، و كأنه جئ من باب المفاعلة ، لان الانسان يعطى العمل ويأخذ الجزاء فذلك اخذ و اعطاء (ونكال العقاب) عطف بيان لـ ((نكال)) او هو اشد انواع العقاب ، فمن باب اضافة الخاص الى العام نحو ((خاتم فضه)) (ونوال الثواب) يقال ناله اذا وصل اليه ، ومن المعلوم ان الخوف ليس من الثواب ، وانما الخوف من انه هل يعاقب او يثاب فالجملتان تحكيان شيئا واحدا متعلقا للخوف ، لان الخوف يتعلق بكل واحد منهما استقلالا .

عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ أَقْتِدَارًا ، وَمَرْبُوبُونَ أَقْتِسَارًا ، وَمَقْبُوضُونَ أَحْتِضَارًا
وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثًا ، وَكَائِنُونَ رُفَاتًا ، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَادًا ، وَمَدِينُونَ جَزَاءً
وَمُمَيِّزُونَ حَسَابًا . قَدْ أُمِّهَدُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ ، وَهَدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ
وَعَمَّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتَبِ ،

(عباد مخلوقون اقتدارا) اي خلقهم الله تعالى بقدرته (ومربوبون اقتسارا)
المربوب هو المملوك، والاقْتِسَار من القسر بمعنى الجبر (ومقبوضون احتضارا) اي
يقبضهم الله سبحانه حال احتضارهم و هو حالة الموت (ومضمنون اجداثا) جمع
حدث و هو القبر، اي ان البشر لا يملك من امره شيء فهو مخلوق بدون اختياره ، و
يملك ناصيته الله سبحانه في هذه الحياة فلا يملك من امره صحة ولا مرضا ولا غنى
ولا فقرا، ولا سائر الشؤون التكوينية، ثم اذا اراد سبحانه ان يعيته اماته بدون اختياره
واقبره في المحل الذي قدره له (وكائنون رفاتا) اي حطاما مهشمة مبعرة، تتفرق
اجزائهم، كاليابس من الحشيش (ومبعوثون افرادا) كما قال سبحانه : ((لَقَدْ
جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ)) فان كل انسان يحشر وحده ليس معه عشيرته
وافراد أسرته .

(ومدينون جزاءا) اي مجزيون بجزاء اعمالهم ، فان الدين بمعنى الجزاء قال
تعالى : ((مالك يوم الدين)) وقال الشاعر : ((ولا انت ديانى فتحزونى)) (ومميزون
حسابا) كل يحاسب على عمله مميذا عما سواه فلا تزر وازرة وزر اخرى (قد امهلوا)
امهلهم الله سبحانه في الدنيا (في طلب المخرج) اي الخروج من الذنوب و
المعاصي بالتوبة والعمل الصالح (وهدوا سبيل المنهج) اي ارشدهم الله
سبحانه الى الطريق الواضح للسعادة ، فان المنهج هو الطريق الواضح ، والمراد
بذلك الشريعة الاسلامية التي توصل بسالكها الى الجنة والسعادة .

(وعمروا مهل المستعتب) ((المستعتب)) هو الذي يطلب رضاه ، من استعنتبه

وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدُفُ الرِّيبِ ، وَخُلُّوا لِمُضْمَارِ الْجِيَادِ ، وَرَوِيَّةُ الْارْتِيَادِ
وَأَنَاءِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرتَادِ ، فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ ، وَمُضْطَرَبِ الْمَهْلِ . فَيَالَهَا

إذا استرضاه ، والمعنى أن الله سبحانه أعطى الإنسان من العمر بمقدار مهلة
المستعتب فانك إذا استرضيت شخصاً وطلبت منه أن يرضى تفسح له في المجال
(وكشفت عنهم سدوف الريب) السدوف جمع سدفة بمعنى الظلمة ، والريب
جمع ريبة وهي الشبهة أي أن ظلم الشبهات قد كشفت عن الناس ببركة الأدلة و
الحجج التي أقامها الأنبياء فلا شبهة لاحد في الضلال والانحراف (وخلصوا
لمضمار الجياد) أي تركوا في مجال من أعمارهم يتمكنون به من التسابق السبي
الخيرات ، فإن المضمار هو المكان والزمان الذي يضم فيهما الخيل ، فانه إذا اريد
السباق ، جوع الخيل ليضمر ويهزل فيتمكن من العدو ولا يمنعه السمن من الركض
والجياد جمع جواد وهو الفرس (و) خلوا لـ (روية) أي أعمال الفكر في الأمر
(الارتياذ) بمعنى طلب ما يراه الإنسان ، والمعنى أنهم أمهلوا ، فلم
يؤخذوا سريعاً ، حتى لا يكون لهم مجال فكر وعمل .

(و) خلوا لـ (أناء المقتبس المرتاد) الأناة التؤدة مقابل العجلة ، والمقتبس
الذي أخذ قبساً من الضياء كمصباح أو نحوه - والمرتاد الذي يريد شيئاً ، فإن
الإنسان إذا طلب شيئاً في الليل ، وبیده مصباح يستنير به ليظفر بمطلبه تأني في
الحركة والطلب ، والمعنى أن الناس في الدنيا أمهلوا كمثل هذه المهلة وهذا
كناية عن طول الأمل (في مدة الأجل) أي في امتداد الأجل المضروب للإنسان
في الحياة ، وهذا يتعلق بقوله ((خلوا)) أي أنهم أبقي عليهم في هذه المدة (و
مضطرب المهل) أي مدة الاضطراب ، وهو بمعنى الاختلاف مجيئاً وذهاباً فيالها

أَمْثَالًا صَائِبَةً وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً ، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً ، وَأَسْمَاعًا
وَاعِيَةً ، وَآرَاءَ عَازِمَةٍ ، وَالْبَابَ حَازِمَةً ! فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مَنْ سَمِعَ
فَخَشَعَ ، وَاقْتَرَفَ فَاغْتَرَفَ ، وَوَجَلَ فَعَمِلَ وَحَازَرَ فَبَادَرَ وَأَيَّقَنَ فَأَحْسَنَ
وَعَبَّرَ فَاغْتَبَّرَ ، وَحَذَرَ فَازْدَجَرَ

امثالا صائبة ((يا)) حرف نداء و ((اللام)) للاستغاثقو ((ها)) تعود الى الامثال ،
باعتبار ذكرها سابقا ، كان المتكلم يستغيث بالامثال لتحضر فيفهمها السامع ، ويستجيب
لدعوة القائل .

(ومواعظ شافية) اي انها عظات تشفي من داء الجهل والعصيان (لو
صادفت قلوبا زاكية) اي قلوبا ذات زكات وطهارة ، فان من القلوب ما لا تنفعها
المواعظ لكونها كالاراضي المالحة التي لا تنبت شيئا ومن القلوب بعكس ذلك (و
اسماعا واعية) تعي و تستوعب الحق وهذا كناية عن النفوس الواعية ، والا فالسمع
الـ كما لا يخفى ـ (و آراء عازمة) اي تعزم على الحق ، فان بعض الناس لا ملكة
لهم تسبب عزمهم على الامور الخيرة ، وبالعكس من ذلك بعض الناس الذين لهم
عزم قوى و ارادة شديدة (و البابا حازمة) جمع لب ، و هو العقل ، و الحازم هو المقدر
للأمر المعطى كل شئ قدره ، فلا يفوته شئ مما ينبغي الاخذله والعمل به .
(فاتقوا الله) اي خافوه ، بمعنى لا تعصوه (تقية من سمع) الموعظة (فخشع) اي
خضع لله سبحانه فاطاع او امره (واقترف فاعترف) الاعتراف تعاطى الذنب ، وحيث
ان الاعتراف فيه نوع خضوع و ندم ، كان الاعتراف بالذنب لديه تعالى حسنا (ووجل)
اي خاف الاخرة (فعمل) ما يوجب سعادته (وحاذر) اي خاف الفوت (فبادر) اي
سارع الى العمل الصالح (وايقن) اي تيقن بصدق ما اخبره الانبياء حول امور
الاخرة (فاحسن) في العمل (وعبر) اي عرضت عليها سباب العبرة (فاعتبر) اي تعظ وانزجر
(وحذر) اي خوف من العذاب والنكال (فازدجر) اي انتهى عن المعاصي والاثام

وَأَجَابَ فَنَابَ ، وَرَجَعَ فَنَابَ ، وَاقْتَدَى فَاخْتَدَى ، وَأَرَى فَرَأَى ،
فَأَسْرَعَ طَالِبًا ، وَنَجَا هَارِبًا ، فَأَفْسَادَ ذَخِيرَةً ، وَأَطَابَ سَرِيرَةً ، وَعَمَّرَ
مَعَادًا ، وَأَسْتَظْهَرَ زَادًا ، لِيَوْمِ رَحِيلِهِ وَوَجْهٍ سَبِيلِهِ وَحَالَ حَاجَتِهِ ، وَمَوْطِنَ
فَاقَتِهِ ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ .

(واجاب) داعى الله (فاناب) اى رجع عن طريقته السابقة الضالة ، و انما اخذ يتبع
الداعى عن قبله سبحانه .

(ورجع) عن اعماله السابقة (فتاب) الى الله توبة نصوحا (واقتدى)
بالصالحين كالانبياء و الائمة (فاختدى) اى رسم خطاهم و جعل عمله طبق عملهم
(و ارى) اى اراه الانبياء طريق الهداية (فرأى) الطريق المنجى المسعد ، بمعنى
اتبعه ، فان من ارى فلم يعتنى ، فكانه لم يره ، فان البصير الذى لا يعمل بمقتضى ما
يبصر ، والاعمى سواء (فاسرع) نحو عمل الخير (طالبا) للنجاة (ونجا) من المهالك
بحزمه (هاربا) اى فى حال كونه هاربا عن المعاصى و الاثام (فافاد ذخيرة) افساد
واستفاد بمعنى واحد ، اى استفاد الذخيرة الصالحة التى يدخرها لآخرته فى دنياه
(و اطاب سريرة) اى طيب باطنه ، فلم يكن قلبه اثما ، ولا منظويا على الرذائل (و عمر
معادا) اى عمل ما يوجب تعمير آخرته و سعادة محشره (واستظهر زادا) اى حصل
الزاد لآخرته ، تشبيها بالمسافر الذى يحمل زاده ، يقال استظهر ، بمعنى جعل
الزاد فوق ظهره .

(ليوم رحيله) الذى يرحل فيه من الدنيا الى الآخرة (ووجه سبيله) اى
لطريقه (يسلكه الى الآخرة) ، و اضافة الوجه اليه للتوضيح (و حال حاجته) وهو
ما بعد الموت الذى يحتاج الانسان فيه الى العمل الصالح (و موطن فاقته) اى
محل فقره (و قدم) العمل الصالح (امامه لدار مقامه) فان الانسان يقم فى الآخرة
الى الابد اذا لازوال لها ولا اضمحلال ، بخلاف الدنيا فانها دار زوال و انتقال

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةً مَا خَلَقَكُمْ لَهُ ، وَأَحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَرَكُمْ
مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّجَزُّ لَصِدْقِ مِيعَادِهِ وَالْحَذَرِ
مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ .

منها :

جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعًا لِتَعْبِيَ مَا عَنَاهَا ، وَأَبْصَارًا لِتَجْلُو عَنْ عَشَاهَا ،

(فاتقوا الله عباد الله) منادى حذف منه حرف النداء (جهة ما خلقكم له) أى توجهوا
الى الناحية التى خلقتم له وهى جهة العمل الصالح . والاجتناب عن المحرمات والاثام ،
فكانه قال اعملوا متقين لتلك الجهة (واحدروا منه) أى خافوا من الله سبحانه
(كنه ما حذركم من نفسه) لقد حذرنا سبحانه من معاصيه ، وحيث ان كنه الشئ
نهايته من جهة السر ، اعير بمعنى النهاية والغاية، أى احذروه غاية الحذر .
(واستحقوا منه) أى اعملوا عملاً تستحقون بذلك العمل (ما اعد لكم) فى الآخرة
من انواع المثوبات (بالتنجز لصدق ميعاده) تتجز الوعد طلب وفائه ، وصدق
المعياد مطالبة الخارج للوعد، بان يفي بما وعد، والمعنى انهم يستحقون الوفاء
بالوعد الذى وعدهم سبحانه باعطائهم الجنة والرضوان (والحذر من هــول
معاده) معطوف على التنجز ، أى احذروا من احوال معاده — باجتنب المعاصى
حتى تستحقون ما اعد لكم ، وحاصل المعنى لتعام الجملة ((اطلبوا)) و((احذروا))
لتستحقوا ما اعد لكم .

((منها)) أى بعض تلك الخطبة ، وقد حذف الشريف ما بين الفقرتين ، كما هو
دأبه حيث انه يجمع المختار من كلامه عليه السلام ، الى كلما وصل اليه .

(جعل) الله سبحانه (لكم اسماعا لتعبي) أى تدرك (ماعناها) أى اهمها، فان
الانسان يصرف سمعه فيما يهيمه لافى كل شئ (وابصارا لتجلو) من جلا عن المكان
بمعنى فارقه (عن عشاها) العشى ظلمة تعرض للعين بالليل . أى تفارق الظلمة

وَأَشْلَاءٌ جَامِعَةٌ لِأَعْضَائِهَا ، مُلَائِمَةٌ لِأَخْنَائِهَا ، فِي تَرْكِيبِ صُورِهَا ، وَمُدَدِ
عُمُرِهَا ، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا ، وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا ، فِي مُجَلَّلَاتِ
نِعَمِهِ ، وَمُوجِبَاتِ مَنِّهِ ، وَحَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ . وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا
عَنْكُمْ ، وَخَلَّفَ لَكُمْ

الى البصيرة ، وذلك كناية عن رؤية الحق (واشلاء) جمع شلو و هو عضو الجسم —
(جامعة لاعضاءها) فان لكل عضو من اعضاء الانسان اعضاء مثلاً في اليد الاصابع و
الكف والعضد وهكذا ، فكل شلو جامع لاعضاء (ملائمة) تلك الاشلاء (لاحنائها)
جمع حنو بالكسر ، وهو كل ما اتوجع عن البدن والمراد تناسب الاعضاء للمفاصل
والمنعطفات (في تركيب صورها) اي في حال كون الاشلاء ملابسا لتركيب الصور
فلكل عضو صورة خاصة وهيئة مخصوصة (ومدد عمرها) فان لكل عضو عمر خاص به ،
فالانسان تعمراً أقل ، والعين والاذن قد تعمران اقل من سائر الاعضاء ، فيصيبها
العمى والصمم .

(بابدان) اي ان تلك الاشلاء وسائر جهات الجسم ملابسة بالبدن (قائمة
بارفاقها) جمع رفق بالكسر ، والمراد بها المنافع ، فان البدن قائم بمنافعه ، ومعنى
ذلك ان قيام البدن بسبب وصول المنافع اليه ، وان البدن يأتي لنفسه بما ينفعه
(وقلوب رائدة) اي طالبة (لارزاقها) فان القلب يصرف همه لطلب الرزق للاشلاء .
(في) حال كون تلك الابدان بما يتبعها في (مجللات نعمه) من جلله بمعنى غطاءه
اي ان نعمه حانه تغمر الانام ، فهو من اضافة الصفة الى الموصوف (وموجبات
منه) اي النعم التي هي منة منه سبحانه على البشر ما توجب الشكر (وحواجز
عافيته) اي عافيته التي تحجز وتمنع الانسان ان يوصل اليه سوء .

(وقدر لكم اعماراً سترها عنكم) فان الانسان لا يعلم قدر عمره (وخلف لكم

عِبْرًا مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ
أَرْهَقَتْهُمْ الْمَنَآيَا دُونَ الْآمَالِ ، وَشَدَّ بِهِمْ عَنْهَا تَخْرُمُ الْأَجَالِ ، لَمْ يَمْهَلُوا
فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ ، وَلَمْ يَغْتَبِرُوا فِي أَنْفِ الْأَوَانِ . فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ
بِضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِي الْهَرَمِ ؟

عبرا (جمع عبرة و هي ما يوجب اعتبار الانسان و تبصره حتى لا يقع في المحذور و
المشكلة (من آثار الماضيين) فان اخبار السالفين الباقية للأجيال توجب لهم تبصرا
وعبرة (قبلكم ، من مستمتع خلأقهم) الخلاق النصيب ، اى نصيبهم الذى اوجب
استمتاعهم بالحياة ، فان ما وصلنا من اخبار نعم الماضيين ، مثلا ، موجب لان نعتبر فلا نغتر
اذا رأينا النعم مقبلة علينا (ومستفسح خنأقهم) الخناق حبل يخنق به ، فاذا كان
فيه سعه و فسحة لم يجعل الهلاك بالمختوق ، وهذا كناية عما نعمله من طول مدة
حياة الماضيين اى انهم كانوا ذوى اعمار طويلة ، ومع ذلك لم يتوبوا ، و اخسذوا
فاهلكوا . - مثلا - .

(ارهقتهم) اى اهلكتهم و اعجلت بهم (المنايا) جمع منية و هي الموت (دون
الامال) اى قبل ان يصلوا الى امانيتهم (وشد بهم عنها) اى عن الامال ، ومعنى شد بهم
بعد هم (تخرم الاجال) الخرم بمعنى القطع و الشق ، اى ان اجالهم التى اهلكتم
بعدتهم عن الوصول الى امالهم ، و اضافة (نخرم) الى (الاجال) من اضافة المصدر الى
الفاعل (لم يمهدوا) اى لم يهيئوا وسائل راحتهم فى الآخرة (فى) حال (سلامة الابدان)
بل صرفوا ابدانهم السليمة فى اللهو و اللعب (ولم يعتبروا فى انف الاوان) انف الاوان ،
بمعنى اوله ، يقال امر انف ، اى اول لاشى قبله و كانه مأخوذ من الانف الذى هو اول الجسم نتوا
(فهل ينتظر) بعد اولئك ، و الاستفهام للانكار (اهل بضاضة الشباب)
البضاضة امتلاء البدن وقوته و رونقه (الاحوانى الهرم) الهرم الشيخوخة ، فانها موجبة

وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصُّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوَنَةَ
الْفَنَاءِ ؟ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ ، وَأُزُوفِ الْإِنْتِقَالِ وَعَلَزِ الْقَلْقِ ، وَالْمِ الْمَضْضِ
وَعُصَصِ الْجَرَضِ وَتَلَفْتُ الْإِسْتِغَاثَةَ بِنُصْرَةِ الْحَفْدَةِ وَالْأَقْرِبَاءِ ، وَالْأَعِزَّةِ
وَالْقُرَنَاءِ ! فَهَلْ دَفَعَتْ الْأَقَارِبُ ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ ، وَقَدْ غُوِدِرَ

للحنو، أى الميل نحو الضعف والعجز (واهل غضارة الصحة) الغضارة طيب العيش
فان الصحيح طيب العيش (الانوزال السقم) جمع نازلة ، فان السقم ينزل بالانسان
(واهل مدة البقاء) أى الذين لبقائهم مدة وامتداد (الا آونة الفناء) آونة الشئ وقته (مع
قرب الزيال) مصدر زايله ، أى قرب زوال الانسان عن الدنيا وانتقاله الى الاخسرة
(وازوف) أى اقتراب من ازف بمعنى اقتراب (الانتقال) من هذه الدار (وعلز القلق)
العلز كالرعدة ياخذ المريض، فان الانسان قد يكون مطمئنا هادى البال ، ثم
ينقلب حاله الى القلق والاضطراب .

(و الم المضض) هو بلوغ الحزن الى القلب، فان ذلك يولم الانسان اشدد
الايلام ، والمراد بهذه الجملة وسابقتها ولاحقها اما وقت الموت واما وقت تبديل
النعم الى شدة وضنك نحو ((حوانى الهرم)) (وغصص الجرض) هو الريق ، وغصص
جمع غصة ، وهى عدم نزول الماء الى الجوف لآفة فى الحنجرة اوشبه ذلك (وتلفت
الاستغاثة) فان الانسان المحتضر يتلفت الى من حوله مستغيثا بهم (بنصرة
الحفدة) جمع حفيد وهو الحاشية للانسان من صديق ومعين واولاد ونحوهما ،
اى يستغيث لينصره الحفيد مما به من الكرب والهـم (والاقرباء) جمع قريب (و
الاعزة) جمع عزيز (والقرناء) جمع قرين وهو قرين الانسان فى عمره ، او عمله ، او ما
اشبه (فهلى دفعت الاقارب) ما نزل بالمرء من الكرب والمصائب ، وهذا استفهام
انكارى ، أى انهم لا يتمكنون من الدفع .

(او نفعت النواحب) جمع ناحبه وهى الباكية لمصيبة الانسان (وقد غودر) أى

فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِينًا، وَفِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ وَحِيدًا ، قَدْ هَتَكَتِ الْهُوَامُ جِلْدَتَهُ وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ وَعَفَّتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ وَمَحَا الْحَدَثَانِ مَعَالِمَهُ وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحِيبَةً بَعْدَ بَضْتِهَا وَالْعِظَامُ نَخْرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا ، وَ الْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا ، مُوقِنَةٌ بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا ، لَا تُسْتَرَادُّ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا ،

ترك وبقى (فى محلة الاموات رهينا) اى مرهونا محبوسا ، فلارجوع له (وفى ضيق المضجع) اى القبر ، فان القبر محل ضجعة الانسان (وحيدا) لا احد معه الاعلمت (قد هتكت الهوام جلده) الهوام جمع هامة ، وهى الحيوان الصغير كالذود والنمل وما اشبه ، او ما له سم كالحية والافعى ، فانها تشق جلد الانسان لتأكل من لحمه وتشرب من دمه (وابلت) من البلاء مقابل الجودة (النواهك) جمع ناهكة ، وهى التى تضعف الانسان وتؤذيه (جدته) وهذا كناية عن تغير جسمه وتبدل طراوته (وعفت) اى محت واذ هبت (العواصف) جمع عاصفة ، وهى الريح الشديدة الهبوب (اثاره) فان القبر يندرس بالعواصف (ومحا الحدثان) اى الليل والنهار (معالمه) جمع معلم ، وهو ما يستدل به ، والمراد اما معالم جسده ، او معالمه فى الخارج . (وصارت الاجساد) بعد الموت (شحبة) من الشحوب بمعنى الذبول (بعد بضتها) اى امتلائها بالسمن والنضارة ، يقال بض الماء اذا ترشح قليلا قليلا ، فكان الجسم الممتلى يترشح بالماء (والعظام نخرة) اى بالية (بعد قوتها) وصلابتها (والارواح مرتهنة بثقل اعبائها) جمع عبء بمعنى الثقل ، يعنى ان الارواح التى خرجت عن الاجساد هناك فى تعب والم لما فعلت فى دار الدنيا ، فهى كالرهينة التى ليست منافعها لصاحبها (موقنة بغيب انبائها) فان الاخبار التى تقال لها فى الدنيا — وقد كانت تشك فيها — صارت يقينا هناك اذ شاهدت احوال الآخرة خيرا وشرها (لا تستراد من صالح عملها) اى لا يطلب منها زيادة العمل الصالح

وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئٍ زَلَلَهَا! أَوْ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءِ ، وَ
إِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرَبَاءِ ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثَلَتَهُمْ ، وَتَرْكَبُونَ قِدَتَهُمْ وَتَطْوُونَ
جَادَتَهُمْ؟! فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا ، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا ، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ
مِضْمَارِهَا! كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا، وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِخْرَازِ دُنْيَاهَا.

لان محل العمل قد فات بعد الموت بخلاف حال الحياة ، فان الانسان يطلب
بزيادة العمل في حال كونه في الدنيا .

(ولا تستعتب) اي لا يطلب منها تقديم العتبي اي التوبة (من سئ زللها) اي
الاعمال السيئة التي عملها في حال الحياة ، والزلة هي العمل السئ سمي بذلك
لايهام ان الانسان يزل حين يرتكبه ، لانه يعمل قاصدا ، كما يسمى خطأ لا يهـام
ذلك ايضا (اولستم) ايها السامعون (ابناء القوم والاباء) لهم ، وقد ماتوا بـقيتم
انتم (واخوانهم والاقرباء) وهذا استفهام الفاتى (تحتذون امثلتهم) اي تفعلون
مثل ما فعلوا (وتركبون قـدتهم) اي تسيرون في طريقتهم التي ساروا فيها ، فان
القـدة بمعنى الطريقة (وتطوون جادتهم) اي تسيرون في المحل الذي ساروا فيه ،
والمعنى لماذا لاتعتبرون؟ وانكم مثلهم في ان الموت يشملكم عن قريب .

(فالقلوب قاسية عن حظها) اي انها صلبت فلا يدخلها الحظ ، وهذا كناية
عن عدم العمل بما يوجب اسعادها (لاهية عن رشدها) فانها مشغولة باللهو
ذاهلة عن الرشد (سالكة في غير مضمارها) المضمار هو المحل الذي يضر فيه
الخيـل لتتـهيا للسباق ، واذا سلكت في غير تلك المضمار فاتتها السبق ، وهـكذا
الانسان الذي لا يعمل بما يسعده (كأن المعنى) اي المقصود بالاوامر والزواجر
(سواها) فهي لاتهم بما يوجب سعادتها ، ويدفع الشقاء عنها (وكان الرشد في
احراز دنياها) اي جمعها وحفظها لافي احراز الآخرة ، ولذا لاتهم الا بالدنيا

وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصُّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ ، وَتَارَاتِ
أَهْوَالِهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ ، وَأَنْصَبَ
الْخَوْفُ بَدَنَهُ ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ ، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ
وَوَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ وَأَرْجَفَ الذُّكْرُ بِلِسَانِهِ ، وَقَدَّمَ الْخَوْفُ لِأَمَانِهِ

(واعلموا) ايها الناس (ان مجازكم) اي محل عبوركم ، من ((جاز)) اذا عبر (على
الصراط) وهو جسر بين المحشر وبين الجنة ، تحته النار ، فمن عمل صالحا جازه
ومن عمل سيئا وقع في النار .

(ومزالق دحضه) جمع مزلق ، وهو الموضع الذي يقع فيه الانسان لعدم استواء
الطريق ، والدحض مقابل الرفع ، اي ان في الصراط محلات يزلق فيها الانسان الى
النار (واهاويل زلله) جمع احوال ، وهو جمع هول ، فان الانسان اذا زل خاف
وهاله الامر (وتارات احواله) جمع ثاره ، وهي المرة ، اي ان في الصراط احوال مكررة
يتلو بعضها بعضها (فاتقوا الله تقيّة ذى لب) اي صاحب عقل يعمل عقله ليرى
مستقبله (شغل التفكير قلبه) اي التفكير في مصيره وسائر اموره (وانصب الخوف
بدنه) اي اتعبه ، من النصب بمعنى التعب (واسهر التهجد غرار نومه) غرار النوم
النوم القليل الذي يتقطع بالسهر ، ومعنى اسهر التهجد ؟ ازال قيام الليل للعبادة
نومه القليل المتقطع .

(واظمأ الرجاء) اي رجاء الثواب (هواجر يومه) جمع هاجر وهي الساعة
الحارة في النهار والمعنى انه يصوم اشتياقا الى الثواب ، في الايام الحارة (و
ظلف) اي منع (الزهد) في الدنيا (شهواته) فلا ينساق مع ما يشتهي (وارجف
الذكر بلسانه) اي يحرك الذكر لسانه ، كأن في لسانه رجفة من كثرة ذكر الله
سبحانه (وقدم الخوف) اي خاف في الدنيا ، مقدما على خوف الآخرة (لامانه)

وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ ؛ وَلَمْ تَفْتَلِهِ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ ، وَلَمْ تَعَمْ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ ظَافِرًا بِفَرَحَةِ الْبُشْرَى ، وَرَاحَةِ النُّعْمَى ، فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ ، وَآمَنِ يَوْمِهِ . قَدْ عَبَّرَ مَعْبَرِ الْعَاجِلَةِ حَمِيدًا ، وَقَدَّمَ

اي لان يؤمن هناك، فان الخائف في الدنيا يعمل صالحا ليأتي آمنة يوم القيامة (و تنكب) اي مال عن الشيء (المخالجات) جمع مخرج ، وهو الطريق المنشعب عن الجادة المودي الى الهلكة (عن وضوح السبيل) اي السبيل الواضح ، والمعنى ان المخرج عن وضوح السبيل ، يتنكبها، فلا يسلكها ، بل يسلك الجادة المستقيمة التي هي الشرع .

(وسلك اقصد المسالك) اي اعدل الطرق المودية (الى النهج المطلوب) اي الشيء المطلوب ، وهو الجنة والثواب (ولم تفتله) من فتله بمعنى صرفه ، اي لم تصرفه عن الجادة الواضحة (فاتلات الغرور) اي الاشياء الموجبة للانصراف التي يبعث عليها غرور الانسان بالدنيا (ولم تعم عليه مشتبهات الامور) اي ان الامور المشتبهة بالحل والحرمة ، لا تشتبه عليه وانما يعرف الصواب من الانحراف ، ومعنى ((لم تعم)) لم تخف ، بعلاقة ان الاعى يخفى عليه الامر ، كما قال سبحانه ((فعصيت عليهم الانبياء)) (ظافرا بفرحة البشري) اي انه فاز - بسبب تلك الاتعاب - بفرح بشارة السعادة و نيل رضى الله و درجات الآخرة (وراحة النعمى) بمعنى سعة العيش و نعيمه الذى يناله فى الآخرة فان ذلك موجب للراحة الابدية .

(فى) حال كونه بعد الفوز و الراحة فى (انعم نومه) اي النوم الهنىء الذى لا مخاوف ولا وساوس لديه (وامن يومه) اي ان يومه اكثر آمنة من سائر ايامه السالفة و سائر ايام الناس (قد عبر معبر العاجلة) اي الدنيا فقد شبهت بالقنطرة لان الانسان يعبر منها الى الآخرة (حميدا) اي فى حال كونه محمودا غير مذموم (وقدم

الْأَجَلَةَ سَعِيداً ، وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ ، وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ
وَذَهَبَ عَنْ هَرْبٍ ، وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ ، وَنَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ . فَكَفَى
بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالاً ، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالاً ! وَكَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِماً وَ
نَصِيراً ! وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَاجِجاً وَخَصِيماً !
أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَعَذَّرَ بِمَا أَنْذَرَ ، وَآخْتَجَّ بِمَا

الاجلة) اى الآخرة (سعيداً) قد سعد بسبب ما عمله سابقاً فى دار الدنيا (و
بادر) اى اسرع فى عمل الحسنات (من) جهة (وجل) والخوف من العذاب و
النكال ، فالخوف اوجب ان يبادر الى عمل الصالحات (و اكمش) اى اسرع (فى
مهل) اى فى وقت كونه ذامهله ، و هو فى الدنيا .
(و رغب) الى الآخرة والثواب (فى طلب) فلم تكن رغبته مجردة ، وانما هى مع
العمل الصالح (و ذهب عن هرب) اى انصرف عن المحرمات ، هرباً منها وخوفاً
من تبعاتها (و راقب فى يومه) و هو فى الدنيا (غده) بمعنى انه عمل لآخريته (ونظر
قدماً) اى سابقاً (امامه) الذى هو الآخرة ، بمعنى انه نظر الى الآخرة ، فلم يغفل
عنها (فكفى بالجنة ثواباً ونوالاً) النوال ما يناله الانسان من خير وسعادة (وكفى
بالنار عقاباً ووبالاً) الوبال تبعه اعمال الانسان السيئه ، اى ان ذين الامرين
يكفيان فى سوق الانسان نحو الاعمال الصالحة ، وردعه عن الاعمال السيئه (وكفى
بالله منتقماً) لمن عصاه (ونصيراً) لمن اطاعه (وكفى بالكتاب) اى القرآن (حاججاً)
اى ما يحتج به على الانسان ، فاذا عمل شيئاً يقال له : الم يكن القرآن نهاك عنه ؟
(و خصيماً) اى خصماً لمن خالفه .

(اوصيكم بتقوى الله الذى اعذر بما انذر) اى انه سبحانه حيث انذر الناس
بالعقاب لمن خالف واتى بالمحرمات ، فقد ترك مجال عذر المعتذر ، فمن عصى كان
عن علم وعمل ، ومعنى ((بما)) بسبب اندازه ، فان ((ما)) مصدرية (واحتج بما

نَهَجَ ، وَحَذَرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا ، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا
فَاضِلًّا وَأَرْدَى ، وَوَعَدَ فَمَنِّي وَزَيْنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ ، وَهُونَ مُوبِقَاتِ
الْعِظَائِمِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ ، وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ ، أَنْكَرَ مَا زَيْنَ ، وَ
اسْتَعْظَمَ مَا هُونَ ،

نهج (اي احتج على العباد ، بسبب ما وضع لهم من الاحكام و الشرائع) (وحدركم)
اي اخافكم (عدوا) هو الشيطان (نفذ في الصدور خفيا) فان الشيطان حيث كان
جسما لطيفا ينفذ في داخل الانسان ، فيوسوس في القلب الذي هو في الصدر ، و
لذا ورد ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم (و نفث) اي قال و تكلم (في
الاذان نجيا) اي كلاما خفيا ، من ((النجوى)) وهذا تشبيه للذي يناجي ، لا ان
الانسان يسمع كلام الشيطان (فاضل) الانسان عن سبيل الحق (و اردى) اي
اهلك ، من ((الردى)) بمعنى الهلاك .

(و وعد فمني) اي صور الاماني والغايات الحسنة - كذبا - كان قال اذا عملت
هذا الحرام فزت بالمال او المنصب او ما اشبه (و زين) اي حسن في نظر الانسان
(سيئات الجرائم) اي المعاصي السيئة فان الزاني و الشارب و اللاعب - وغيرهم -
يرى ان عمله حسنا (و هون) اي قال ان المعصية الفلانية هيئة لاخوف منها -
(موبقات العظائم) الموبقة المعصية المهلكة ، اي المعاصي العظيمة الموجبة للهلاك
(حتى اذا استدراج قرينته) قرينة الشيطان هي النفس الامارة ، فان الشيطان يقترب
معها ، و الاستدراج هو ان يجلب الشيطان الانسان درجة درجة من الصلاح
الى الفساد (و استغلق رهينته) اي جعل الشئ المرهون - و هو النفس التي
هي رهينة بعملها - بحيث لا يمكن فكها ، كالبيت المغلق الذي لا يفتح .

(انكر ما زين) فان الشيطان لا يبقى صديقا و فيا للمعاصي ، بل يعاديه ، ويقول
(ما انا بمصرخكم و ما انت بمصرخي) (و استعظم ما هون) فيقول للمعاصي لماذا

وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ .

ومنها في صفة خلق الانسان

أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ ، وَشَغَفِ الْأَسْتَارِ ، نُطْفَةً
دِهَاقًا ، وَعَلَقَةً مِحَاقًا ، وَجَنِينًا وَرَاضِعًا ،

فعلت تلك المعصية العظيمة ، بينما كان الشيطان قد هَوَّن العَصِيانَ ففى نظر
العاصى قبل ذلك (وحذّر ما أمّن) اى انه يخوف عن المعصية ، بعدما قال انه
لاخوف منها ، وانها محل الامان ، فلا يلحق الانسان منها تبعة .

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی
(ومنها في صفة خلق الانسان)

(ام) بمعنى بل ، للانتقال من وصف الشيطان الى وصف الانسان (هذا الذى
انشأه) الله سبحانه (فى ظلمات الارحام) ، فان الجنين فى ظلمة البطن والرحم و
المشيمة والجلد (وشغف الأستار) جمع شغاف ، نحو سحاب وسحب ، وهو فى
الاصل غلاف القلب ، ثم استعمل لكل غلاف ، والمراد بالاستتار هى التى ذكرناها
مما يحتوى على الجنين ، فى حال كونه (نطفة دهاقا) من دهق اذا صب بقوة ،
فان المنى يخرج من الرجل بقوة ودفق (وعلقه محاقا) فان المنى بعد استقراره
فى الرحم ومضى مدة عليه ليكون كالعلقة ، وهى الدودة التى تمص الدم ، ومعنى
محاقا ، انه محقوق فيه الصورة ، اذ لا صورة انسانية له (وجنينا) يسمى الولد بذلك
مادام فى الرحم ، لاختفائه ، من جن اذا اظلم واختفى (وراضعا) اذا خرج من
بطن امه فاخذ يرتضع اللبن من ثديها .

وَوَلِيدًا وَيَافِعًا ، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا ، وَلِسَانًا لَافِظًا لِيَفْهَمَ
مُعْتَبِرًا ، وَيُقْصَرَ مُزْدَجِرًا ، حَتَّى إِذَا قَامَ أَعْتَدَالُهُ ، وَأَسْتَوَى
مِثَالُهُ ، نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا ، وَخَبِطَ سَادِرًا ، مَاتِحًا فِي غَرْبِ هَوَاهُ كَادِحًا
سَعِيًا لِدُنْيَاهُ ، فِي لَذَاتِ طَرَبِهِ ، وَبَدَوَاتِ أَرْبِهِ ؛

(ووليدا) بعد الرضيع (ويافعا) وهو الغلام (ثم منحه) أى اعطاه الله
سبحانه (قلبا حافظا) يحفظ الاشياء ، فان الالوان والطعوم والاشكال وسائر
الامور انما تحفظ بالقلب ، ولذا اذا رآها الانسان عرفها (ولسانا لافظا) يلفظ
ويتكلم (ليفهم) الانسان الاشياء (معتبرا) بها أى ان يأخذ العبرة (ويقصر)
عن الرذائل أى يمتنع منها (مزدجرا) أى ممتنعا منها بسبب العقل (حتى اذا قام
اعتداله) بمعنى اعتدل واستوى وكل مشاعره الظاهرة والباطنة (واستوى مثاله)
وهذا عبارة اخرى عن الجملة الاولى وكان للانسان مثالا اذا بلغ ذلك القدر كان
مستويا غير زائد ولا ناقص ، والاصل واستوى على مثاله ، اوعلى القلب نحو
(ظينت بالفدن السباعا) (نفر مستكبرا) أى تنفر عن الله سبحانه واحكامه ، لكبر
فيه ونخوة فى رأسه .

(وخبط سادرا) الخبط هو الخلط بين الصحيح والسقيم ، والسادر المتحير
الذى يمشى بلا هداية يعنى يتناول الاثام والمعاصى كالخابط السادر (ماتحا)
يقال متح الماء اذا نزعه من البئر (فى غرب) هو الدلو العظيمة (هواه) أى انه
يعلى دلو حياته من الملذات والمشتهيات من غير مراعات لاحكام الشرعية (كادحا)
الكدح شدة السعى والعمل الدائب (سعيا لدنياه) فانه يخصص عمله وسعيه
الدائب للدنيا بلا ان يعمل للاخرة شيئا (فى لذات طربه) الطرب خفة تعرض
الانسان حال شدة الفرح (وبدوات اربه) بدوات جمع بدئه وهى ما بدا وظهر من

لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً، وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً؛ فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيرًا، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيرًا، لَمْ يُفِدْ عَوْضًا وَلَمْ يَقْضِ مُقْتَرَضًا. دَهْمَتُهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبْرِ جِمَاحِهِ وَسَنَنِ مِرَاحِهِ فَظُلٌّ سَادِرًا وَبَاتَ سَاهِرًا، فِي غَمَرَاتِ آلَاَمٍ،

الرأى ، وارب جمع اربة وهى الحاجة اى انه يعضى فيما يبدوله من الرغائب ، بدون ان يتقيد بشريعة او دين .

(لا يحتسب رزية) الرزية المصيبة ، اى انه لا يفكر فى احتمال وقوع مصيبة عليه كما هو شأن الغافلين اللاهين (ولا يخشع) اى لا يخضع (تقية) من الله وخوفا من عقابه من اتقى بمعنى خاف واجتنب المحذور (فمات فى فتنته) اى افتتانه بالدنيا و لذاتها (غريرا) اى فى حال كونه مغرورا ، قد ظن بقاء الدنيا ولذاتها (وعاش فى هفوته) اى خطاه وزلته (يسيرا) فان عمر الدنيا مهما طال يسير (لم يفد) من افاد بمعنى استفاد (عوضا) من دنياه واعماله ، لانه لم يصرف عمره فى التجارة والشواب بل فى المعصية والعقاب (ولم يقض) اى لم يأت (مقترضا) اى فريضة فرضها الله سبحانه (دهمته) اى غشيته وورد عليه فجأة (فجعات المنية) الفاجعة المصيبة النازلة ، والمنية هى الموت ، فان الانسان اذا مات ابتلى بعدة رزايا ومصائب اذا لم يعمل فى الدنيا لآخرته ولعل المراد بفجعات المنية المصائب المتقدمة التى تنزل بالانسان قبل الموت .

(فى غير جماحه) غير جمع غابر ، كطلب جمع طالب ، والجماح العتو والنفوذ اى انه حيث جمع وعنى فى سابق عمره اتاه الموت الموجب لمصيبته ورزيته (وسنن) اى طريق (مراحه) المرح شدة الفرح والبطر (فظل) فى الدنيا ، قبل ان تدهمه المنية ، حال اغتراره وغفلته (سادرا) حائرا ماضيا فى الشر (وبات ساهرا) ليلسه فى الم وتعب (فى غمرات الالام) كان الالم يغمره ويتجاوز رأسه ، كالماء الذى

وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ ، بَيْنَ أَخٍ شَفِيقٍ ، وَوَالِدٍ شَفِيقٍ ، وَ
دَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعًا ، وَلَادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقًا ، وَالْمَرْءِ فِي سَكْرَةِ مُلْهِيَةٍ ، وَ
غَمْرَةِ كَارِثَةٍ ، وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ .

يغمر الانسان (وطوارق) جمع طارقه وهى النازلة التى تنزل بالانسان ليلا ،
على حين غفلة وغرّه (الاجاع والاسقام) الوجع الالم ، والسقم المرض ، وبينهما
عموم من وجه ، فمن اصطدم جسمه بشئ بلا ان يحدث فيه مرضا ، وجع غير سقيم ، ومن
ابتلى بالسّل - مثلا - سقيم غير وجع .

(بين اخ شقيق) قيل للاخ شقيق لانه شق الانسان ، كالغصن الذى هو شق
الغصن الاخر (ووالد شقيق) الشقة الخوف ، ويقال للمحب شقيق ، لانه يخاف من
تضرر الانسان بالاضرار (وداعية) من النساء كالام والاخوات والزوجة (بالويل
جزعا) تقول ياويلي ، من تألمها وجزعها على الرجل المريض الذى هو قريبها (و
لادمة) اى ضاربة (للصدر قلقا) فان الانسان - خصوصا المرأة - اذا اشتدت به
المصيبة ضرب صدره (والمرء) العاصى الذى وصف سابقا (فى سكرة) من سكرات
الموت فان الموت اذا نزل غطى على عقل الانسان ، كما تعطى الخمرة (ملهية) اى
تلهيه السكره وتشغله عن الالتفات الى اهله واقربائه .

(وغمرة كارثة) الغمرة ما يغمر الانسان من الماء او ما اشبهه ، والمراد هنا
الشدة التى تحيط بالعقل والرأس مما يحول دون الانسان ودون التعقل والتفهم
والكارثة المصيبة الشديدة (وانموجعة) من الانين الذى يطلقه المريض من شدة الوجع ،
وصفها بموجعة لكونها من شدتها توجع وتولم من حول المريض (وجذبة) اى
جذب الموت لروحه ، او جذبه للنفس بشدة (مكربة) اى موجبة للكرب والالم (وسوقة)
اى سوق الموت له ، كانه يعجل بروحه لتخرج من جسده (متعبة) تورث تعب ونصبه

ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً، وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِيساً، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ، وَنِضْوَسَقَمَ، تَحْمِلُهُ حَفْدَةُ أَوْلَدَانِ، وَحَشْدَةُ الْإِخْوَانِ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ حَتَّى إِذَا أَنْصَرَفَ الْمُشِيعُ وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أَقْعَدَ فِي حُفْرَتِهِ

(ثم) بعد ان رأى تلك الشدائد و الاهوال فى حال الاحتضار (ادرج) اى وضع (فى اكفانه) المعدة لانتقاله الى الاخرة (مبلسا) من ابلس بمعنى يئس، فانه حينذاك يئس ويندم ولا يجد مهربا ولا مفرقا .

(وجذب) من المغتسل ، يجذب جثته المشيعون ، فى حال كونه (منقادا) لهم (سلسا) اى سهلا لعدم قدرته على الامتناع (ثملقى على الاعواد) اى الجنائز فقد كان من المتعارف رص الاعواد وحمل الميت عليها (رجيع وصب) اى الراجع الى الاخرة ، رجوع تعب واذية ، حيث انه لم يعمل فى الدنيا ما يوجب راحته (و نضو) بمعنى المهزول (سقم) اى انه هزيل من الاسقام والالام التى شاهدها عند الاحتضار وبعد الموت (تحمله حفدة الولدان) اى احفاده من بناته وابنائها ، والحفيد ابن الابن ، وابن البنت ، والمراد الاعوان ، وعلى هذا فالولدان صفة الحفدة (وحشدة الاخوان) الحشدة المسارعون فى التعاون من الاقرباء والقرناء والاصدقاء ، يحملون جنازته (الى دار غربته) وهى القبر، فانه فيها غريب عمن الاهل والاصدقاء (ومنقطع زورته) بحيث لا يزار ، اى تنقطع زيارته .

(حتى اذا انصرف المشيع) الذى شيعه الى قبره ، وتبعه (ورجع المتفجع) اى اهله الذين فجعوا به (اقعد فى حفرته) فان نكيرا ومنكرا يقعدان الميت فى القبر، والمراد اقعاد ما يتعلق بجسمه من بقايا الروح الذى كان مدودا بمد جسمه ، لانه يقعد جسمه .

نَجِيًّا لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ ، وَعَشْرَةِ الْأَمْتِحَانِ . وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةٌ نُزُولُ
الْحَمِيمِ وَتَضْلِيَّةُ الْجَحِيمِ وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ ، وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ ، لَا فِتْرَةٌ
مُرِيحَةٌ وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ ، وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ ، وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ وَلَا سِنَةٌ مُسْلِيَةٌ

(نجيا) اى ليناجى ، ويتكلم خفيا ، لا يعرف كلامه الاحياء ، ولذا شبه بالنجوى
(لبهتة السؤال) اى حيرته ، فان السؤال الذى يوجه الى الميت موجب لتحيره كيف
يجيب ؟ هل بالصدق فيعذب ، ام بالكذب فيفضح ؟ (وعشرة الامتحان) ، فان
امتحانه هناك — هل عمل صالحا ام لا ؟ — يوجب عشرته ، ورسوبه .

(واعظم ما هنالك) من المصائب والالام (بلية نزول الحميم) وهو الماء الحار ،
فان الانسان اذا كان عمل الموبقات والمعاصى فى الدنيا ، يكون شرابه هنالك
من الماء الحار المغلى ، فهو فى عذاب ونكال من هذه الجهة ، او المراد نزوله فى
محل حار ، فان القبر لغير الصالح حفرة من حفر النيران — كما ورد فى الحديث —
(وتضلية الجحيم) من صلاها اذا وردها وصل اليها (وفورات السعير) السعير
النار العلتبهة ، وفوزتها زبانيته (وسورات الزفير) الزفير صوت النار عند توقدها ،
والسورة الصولة والشدة فان النار اذا زفرت كانت كالهجوم الصائل (لا) هناك
(فترة مريحة) فان العذاب لا يفترعن اهل النار ، حتى يستريحوا (ولادعة) اى اراحة
(مزيحة) تزيج عنهم العذاب والنصب الذى يلحقهم من الالم والحرق .

(ولا قوة حاجزة) اى تحجزو تمنع العذاب من ان يصل اليهم (ولاموتة ناجزة)
الناجزة اى شرة ، اى لاموت حاضر ، حتى يموتوا فيستريحوا من العذاب ، كما
قال سبحانه ((وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت)) وقال ((لا يموت فيها
ولا يحيى)) (ولاسنة) هى اول النوم (مسلية) اى تسليهم وتلهيهم ، فان النعاس

بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ ، وَعَذَابِ السَّاعَاتِ ! إِنَّا بِاللَّهِ عَائِدُونَ ! عِبَادَ اللَّهِ ،
 أَيُّنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَتَنَعُوا ، وَعَلَّمُوا فَفَهَّمُوا ، وَأَنْظَرُوا فَلَهَوْا ، وَسَلَّمُوا
 فَفَنَسُوا ! أَمْهَلُوا طَوِيلًا ، وَمُنَحُّوا جَمِيلًا ، وَحُذِّرُوا أَلِيمًا ، وَوَعِدُوا
 جَسِيمًا ! أَحْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُرُوطَةَ وَالْعُيُوبَ الْمُسَخِّطَةَ أُولَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ ،

يخفف آلام الانسان ، بل هم (بين اطوار الموتات) فان كل لون من ألوان العذاب
 فى الشدة والصعوبة كالموت ، كما قال سبحانه ((ويأتيه الموت من كل مكان)) (و
 عذاب الساعات) فان لكل ساعة عذابا ونكالا (انا بالله عائدون) اى مستجيرون
 من النار ، ومن العاقبة السيئة .

ثم توجه الامام عليه السلام ، الى وعظ اهل الدنيا بأسلوب اخر ، بقوله : (عباد
 الله) حذف منه حرف النداء لوضوحه (اين الذين عمرؤا) اى طالت اعمارهم ففى
 الدنيا (فتنعوا) اى تنعموا بأنواع النعم (وعلموا) علمهم الانبياء خيرهم وشرهم
 (ففهموا) وادركوا ، فلم يكونوا جاهلين ، ولكن مع ذلك انحرفوا وعصوا (وانظروا)
 اى امهلوا فى الدنيا (فلهوا) اى اشتغلوا باللغو واللعب دون العمل الصالح
 الموجب لسعادتهم (وسلموا) من الامراض والمخاوف (فنسوا) الآخرة ، و لم
 ينتهزوا سلامتهم للعمل الصالح (امهلوا طويلا) فان عمر الانسان طويل بالنسبة
 الى تمكنه من الاعمال الصالحة (ومنحوا) اى اعطوا (جميلا) من المال والجاه و
 سائر نعم الدنيا (وحذروا) عذابا (أليما) اى هولاء موجعا - اذا عصوا -
 (ووعدوا) بالجنة والرضوان قدرا (جسيما) كبيرا ، اذا اطاعوا .

(احذروا) ايها الناس (الذنوب المورطة) اى المهلكة التى توقع الانسان فى
 الهلكة (والعيوب المسخطة) اى التى توجب السخط والغضب ، و المراد
 بالعيوب المعاصى ، يا (اولى الابصار والاسماع) فانتم تبصرون وتسمعون الان

وَالْعَافِيَةَ وَالْمَتَاعَ ، هَلْ مِنْ مَنَاصِيٍّ أَوْ خَلَاصٍ ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ ، أَوْ
فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ ! أَمْ لَا ؟ « فَاَنَّى تُؤْنَكُونَ ! » أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ ! أَمْ بِمَاذَا
تَغْتَرُونَ ! وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ ، قِيدُ
قَدِّهِ ، مُتَعَفِّرًا عَلَى خَدِّهِ ! الْآنَ عِبَادَ اللَّهِ وَالْخَنَاقُ مُهْمَلٌ ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ ،
فِي فَيْنَةٍ الْإِرْشَادِ ، وَرَاحَةِ الْأَجْسَادِ ،

(و العافية) البدنية وما اشبه (و المتاع) اى امتعة الدنيا واثاثها (هل من مناص) عن الموت والعقاب - لمن عصى - (او خلاص) بان كان الانسان اذا وقع فى الشدة الاخرية يتمكن الخلاص منها ، والاستفهام للانكار (او معاذ) يستعيد به الانسان (او ملاذ) يلوذ ويلتجئ اليه (او فرار) يتمكن من الفرار من العذاب (او محار) اى مرجع الى الدنيا بعد فراقها من حار (ام لا) لانجات ولا خلاص ، فاذا كان ((لا)) (فانى تؤفكون) اى كيف تصرفون عن الحق الى الباطل وعن الطاعة الى المعصية ، من افك بمعنى انصرف .

(ام اين تصرفون) فى طريقكم عن الحق الى المتاهة (ام بماذا تغترون) فلا احد منجى ولا شئ مفيد (وانما حظ احدكم من الارض ذات الطول والعرض) هذا كناية عن سعة الارض (قيد قده) اى مقدار طوله ، فان الانسان لا ينام الا فى القبر الذى بمقدار قامة الانسان ، فى حال كونه (متعفرا) العفر التراب (على خده) فان خده يوضع فى التراب ارض القبر ، اعلموا (الان) يا (عباد الله والخناق مهمل) الخناق الحبل الذى يخنق به الانسان والمراد به ((مهمل)) عدم شدة على العنق (والروح مرسل) فى بدن الانسان غير مقبوض (فى فينة) اى حال (الارشاد) اى قد ارشدتم الى العمل الصالح (وراحة الاجساد) فان اجسادكم ليست فى النار والعذاب والاعتاب .

وَبَاحَةِ الْإِحْتِشَادِ وَمَهْلِ الْبَقِيَّةِ وَأَنْفِ الْمَشِيَّةِ وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ ، وَأَنْفِسَاحِ
الْحَوْبَةِ ، قَبْلِ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ ، وَالرُّوعِ وَالزُّهُوقِ ، وَقَبْلَ قُدُومِ
الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ وَإِخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ .

قال الشريف ((ره)) : فى الخبر انه عليه السلام لما خطب بهذه الخطبة
اقشعرت لها الجلود وبكت العيون ورجفت القلوب ومن الناس من يسمى
هذه الخطبة الغراء .

(وباحة) باحة الدار ساحتها (الاحتشاد) اى الاجتماع على البر والتعاون
على الخير والمعنى انكم فى الدنيا تتمكنون من الاجتماع والعمل الصالح
بالتعاون ، لتمهيد آخرتكم (ومهل البقية) اى فى مهلة من بقايا عمركم ، وان كان
ذهب بعضه فان فى باقية كفاية (وانف) اى المستأنف (المشية) اى الارادة ، و
المعنى انكم ان اردتم استئناف ارادتكم للعمل الصالح لتتمكنتم (وانظار التوبة)
بحيث لكم وقت للتوبة عما سلف منكم من الاثام ، فقد امهلكم الله وانظركم للتوبة ، و
انفساح الحوبة) الحوبة الحالة ، اى اتساع حالتكم (قبل الضنك) هو الضيق (و
المضيق) مصدر ميمى اى قبل ان يضيق وقتكم فلا وقت يكفى للتوبة وعمل الخير (و
قبل (الروع) اى الخوف الذى يحيطكم فى حالة الموت وفى القبر (والزهوق) اى
الاضمحلال والقضاء من الدنيا (وقبل قدوم الغائب المنتظر) اى الموت (واخذة
العزیز المقتدر) الاخذة ، بمعنى العقاب ، بعلاقة السبب والمسبب ، والعزیز
المقتدر هو الله سبحانه .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى ذكر عمرو بن العاص

عَجَبًا لِابْنِ النَّابِغَةِ! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً، وَأَنِّي أَمْرُؤُ تِلْعَابَةٌ:
أَعَافِسُ



وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى ذكر عمرو بن العاص وقد كان يقول لاهل الشام انما

اخترنا عليا لان فيه هزلا لاجدمعه

(عجبا لابن النابغة) عجبا منصوب بفعل مقدر، اى اتعجب تعجبا، و النابغة
هى المرأة الزانية، من نبغ اذا ظهر كان الزانية تظهر وتشتهر، بينما سائر النساء
فى خفاء و ستر، وقد كانت ام عمرو بن العاص زانية مشهورة (يزعم) قائلا (لاهل
الشام ان فى دعابة) اى المزاج و اللعب، وقد كان الامام عليه السلام يمازح
احيانا - وكان مزاحه بالحق - كما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمازح،
و يستحب المزاح للمؤمن، فانه ينشط النفس، و يذهب بالكسل، و من الغريب
ان التاريخ حفظ للرسول مزاحات، ولم يحفظ للامام عليه السلام ذلك (وانى امرؤ
تلعبه) اى كثير اللعب (اعافس) اى اعالج الناس بالمزاح من عفس اذا مازح

وَأَمَارِسُ! لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا ، وَنَطَقَ آثِمًا . أَمَا - وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ -
 إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ وَيُسْأَلُ فَيُبْخَلُ ،
 وَيَخُونُ الْعَهْدَ ، وَيَقْطَعُ الْإِلَّ؛ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ
 هُوَ! مَا لَمْ نَأْخُذِ السُّيُوفَ مَأْخِذَهَا فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ
 أَنْ يَمْنَحَ الْقِرْمَ سُبَّتَهُ .

(وامارس) الممارسة المعالجة بالقرص والمصارعة ونحوهما (لقد قال باطلا) فانى
 بعيد عما ذكر (و نطق اثما) اى فى حال كونه عاصيا لله سبحانه فى نسبة الكذب
 الى (اما) فلينتبه السامع (- و شر القول الكذب -) هذه جملة معترضة تمهيدية
 للجملة التالية ، مدخولة ((اما)) (انه) اى ابن العاص (ليقول) الكلام (فيكذب)
 فى القول ، والغاء للترتيب ذكرا والافقوله هو كذبه الذى يقوله .
 (ويعد) بالشئ (فيخلف) ولا يلقى بوعدده (ويسئل) من طرفه الشئ (فيلحف)
 اى يلح فى السؤال ، وهذا من الخصال المذمومة ، ولذا وصف الله سبحانه
 المتقين بضده بقوله ((لا يستئلون الناس الحافا)) (ويسئل) اى يستله الناس العطية
 والعون (فيبخل) اى لا يعطى السائل شيئا (ويخون العهد) الذى يعهده فى
 الحرب ونحوه (ويقطع الال) هى بمعنى القرابة ، اى يقطع الرحم (فاذا كان عند
 الحرب فإى زاجر و آمر هو) اى انه محرض للحرب و امر و ناهى (مالم تأخذ السيوف
 مأخذها) اى مالم تتحرك السيوف للقتال ، و ما لم تشتبك الجيوش (فاذا كان
 ذلك) بان اخذت السيوف مأخذها واشتبك القتال (كان) اجبن الناس ، وهكذا
 شأن الجبناء فانهم اهل الكلام وليسوا اهل عمل .

ولذا كان ابن العاص اذا اشتبك الحرب (اكبر مكيدته ان يمنح القرم) اى يظهر
 للشجاع الذى جاء لمنازلته ومقاتلته (سبته) اى استه فقد بارز ابن العاص يسوم
 صفين ، فقابله الامام عليه السلام ولما رآى ابن العاص انه لا مفر من ضربة الامسام

أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نَسْيَانُ الْآخِرَةِ ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أُنْيَةً ، وَ يَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً

القي بنفسه على الارض و اخرج عورته امام الامام لما كان يعلم من اعراض الامام عن النظر فنجى لذلك ، واشتهر بعتيق استه ، وقد كان مثل ذلك في اصحاب معاوية فكانوا يبدون عوراتهم اذا رأوا ان لا مفر لهم حتى قال الشاعر :

افى كل يوم فارس تندبونه له عورة وسط العجاجة يادية

(اما والله انى ليمنعنى من اللعب) المنسوب الى كذبا (ذكر الموت) فسان

الانسان اذا كر للموت مشتغل بامر الآخرة

(وانه) اى ابن العاص (ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة) والمراد تركه

لها وعدم اعتقاده بها ، ولذا يكذب (انه) اى ابن العاص (لم يبائع معاوية) ولم

يكن من انصاره فى باطله الا لاجل الدنيا (حتى شرط ان يؤتيه) اى يعطيه معاوية

(اتيه) على وزن عطية لفظا ومعنى (ويرضخ له) الرضخ العصية التى تعين لمن فعل

شيئا (على ترك الدين) ونقض خلافة الامام ، ومحاربتة (رضىخة) والمراد بذلك

ولاية مصر ، فقد شرط ابن العاص على معاوية ان نصره فغلب على الامام واستولى

على مصر ، ان يمنحه حكومة مصر ، فقبل معاوية الشرط ولما استولى على مصر وفى له

اولا - حيث كان ضعيفا لم يجد بدا من اظهار الوفاء - ثم لما توفى معاوية خان ، كما

هو مذكور فى التواريخ ((وما خائن الا سيلى بخائن)) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ ،
وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ ، لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ ، وَلَا تَقَعُدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ
عَلَى كَيْفِيَّةٍ ، وَلَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبَعِيضُ ،

ومن خطبة له عليه السلام

(أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له) قد بتراول الخطبة ، حيث
ان الشريف - كما ذكر - لا يريد الا ذكر المختار من الخطب ، لا كلها (الاول لا شى
قبله) فانه سبحانه قبل جميع الاشياء ، و الاولى ليست زمانية ، اذ لا زمان له تعالى
كما تقرر في محله (و الاخر لا غاية له) كما هو مقتضى وجوب الوجود ، اذ لا يتطرق
العدم في واجب الوجود اطلاقا ، و الاكان خلفا (لا تقع الاوهام) المراد بالاوهام
الافكار ، لا الوهم مقابل الظن (له) تعالى (على صفة) اذ كنهه سبحانه مجهول
فانا نعلم ان الله سبحانه عالم - مثلا - اما كيفية علمه فلا ندركها ، كما انا نعلم
- في اضعف من ذلك - ان فلانا عاقل ، اما ما هو العقل فلانعلمه ، وهكذا (ولا
تقعد القلوب منه على كيفية) القعود كناية عن استقرار الحكم فكما ان الشخص القاعد
مستقر ، كذلك العالم بالشئ مستقر النفس ، و الفرق بين الجملتين ان الاولى بالنسبة
الى الاوصاف والثانية بالنسبة الى الذات ، فان ذاته تعالى مجهولة لا يدركها
العقل .

(ولا تناله التجزئة) فليس له تعالى اجزاء حسيه ، كاجزاء الانسان من يد و
رجل وما اشبه ، ولا اجزاء عقلية كالجنس و الفصل (و التبعض) بان يكون له

وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ

ومنها ، فَاتَّعَظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ ، وَأَعْتَبِرُوا بِآلَايِ
السَّوَاطِعِ ، وَازْدَجِرُوا بِالنَّذْرِ الْبَوَالِغِ ، وَأَنْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ ،
فَكَانَ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ ، وَأَنْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عِلَاقُ الْأُمْنِيَّةِ ، وَ
دَهَمَتْكُمْ مُفْظَعَاتُ الْأُمُورِ ، وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوَرْدِ الْمُرُودِ

ابعض ، وهذا اما عطف بيان ، واما يراد به الجزء من الشئ الواحد ، كالجزء من
الدم مثلا ، فى مقابل التجزئة التى هى جزء من الشئ كاليد من الانسان (ولا تحيط
به الابصار والقلوب) فلا يراه احد ولا يعرفه احد لان الروية محالة فى حقه ، و
العرفان غير ممكن اذ الانسان محدود فلا يحيط بغير المحدود و الالزم الخلف .
(ومنها) : اى بعض الخطبة (فاتعظوا) يا (عباد الله بالعبر النوافع)
عبر ، جمع عبرة ، وهى التى يشاهدها الانسان ، مما تشع الاعتبار والتذكير ، و
نوافع جمع نافعة ، يعنى التى تنفعكم فى دنياكم و اخراكم (واعتبروا بآلاي) جمع
اية ، والمراد بها آيات القرآن الحكيم ، او كل دليل (السواطع) جمع ساطعة ،
وهى الظاهرة اللامعة (وازدجروا) اى امتنعوا عن المحرمات (بالنذر) جمع
نذير (البوالغ) جمع بالغة ، يعنى النواهى و الانذارات التى بلغتكم (وانتفعوا
بالذكر) اى بما يذكركم (والمواعظ) التى ترشدكم الى طريق الصلاح .

(فكان قد علقتكم) اى تعلقت بكم (مخالب) جمع مخلب و هو اظافر الطيور
المفترسة (المنية) بمعنى الموت ، وهذا من باب التشبيه (وانقطعت منكم علائق
الامنية) فالانسان اذا علم بقرب موته انقطعت علائقه بالدنيا ، و امانيه فيها
(و دهمتكم) اى حلت بكم حلولا مفاجئا (مفظعات الامور) اى شدائد ها يقال امر
فظيع اذا كان شديدا مؤلما (و) دهمتكم (السياقة الى الورد المورود) اى سوقكم

و « كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ » : سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا ، وَشَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا .

ومنها في صفة الجنة : دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا ، وَلَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا ، وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا ، وَلَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا .

الى الموت، فقد شبه الموت بالماء الذي يردّه الانسان ليشربه ، فان الورد هو الماء الذي يورد للشرب ، والمورود صفة له (وكل نفس معها سائق يسوقها (وشهيد) يشهد بما عملت .

(سائق يسوقها الى محشرها) اي محل جمع الناس للمحاسبة ، فانه اسم مكان من حشر بمعنى جمع (وشاهد يشهد عليها بعملها) في الدنيا من خير او شر .

(ومنها) اي من تلك الخطبة (في صفة الجنة) المعدة للمعتقين (درجات متفاضلات) فان بعض منازلها اعلى من بعض (ومنازل متفاوتات) في الكرامة ، فبعضها اكرم من بعض (لا ينقطع نعيمها) فان النعيم ابدى ، لا زوال له ولا اضمحلال (ولا يظعن) اي لا يرتحل (مقيمها) فان الانسان فيها باق ابد الابدين (ولا يهرم خالدها) فان اهل الجنة في حالة الشباب الى الابد (ولا يبأس) اي يحتاج — من البؤس — (ساكنها) اذ لا يحتاج الانسان هناك الى شيء الا وهو حاضر عنده .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة المؤلف	٥
مقدمة الشريف الرضى ((ره))	٧
فمن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض ،	
وخلق آدم عليه السلام	١١
صفة خلق آدم عليه السلام	٢٨
منها ذكر فى الحج	٢٦
ومن خطبة له عليه السلام بعد انصرافه من صفين	٢٩
ومنها يعنى آل النبی صلى الله عليه وآله وسلم	٥٥
ومنها يعنى قوما آخرين	٥٦
ومن خطبة له عليه السلام و هى المعروفة بالشقشقية	٥٩
ومن خطبة له عليه السلام	٧٧
ومن خطبة له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه و	
آله وسلم وخاطبه العباس وابوسفیان ابن حرب فى ان	
يبایعا له بالخلافة	٨١
ومن كلام له عليه السلام لما اشیر علیه بان لا يتبع طلحة والزبير	
ولا يرصد لهما القتال	٨٥

الموضوع	رقم الصفحة
و من خطبة له عليه السلام يذم فيها اتباع الشيطان	٨٧
و من كلام له عليه السلام يعنى به الزبير فى حال اقتضت ذلك الكلام	٨٨
و من كلام له عليه السلام يصف أصحاب الجمل وانهم أصحاب قول لا أصحاب عمل	٨٩
و من خطبة له عليه السلام	٩٠
و من كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل	٩١
و من كلام له عليه السلام لما أظفره الله بأصحاب الجمل ، وقد قال له بعض اصحابه : وددت ان أخى فلانا كان شاهدا لنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك	٩٣
و من كلام له عليه السلام فى ذم اهل البصرة بعد وقعة الجمل	٩٤
و من كلام له عليه السلام فى مثل ذلك	٩٨
و من كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان	٩٩
و من كلام له عليه السلام لما برزيع فى المدينة	١٠٠
و من هذه الخطبة	١٠٥
و من كلام له عليه السلام فى صفة من يتصدى للحكم بين الامة و ليس لذلك بأهل	١٠٨
و من كلام له عليه السلام فى ذم اختلاف العلماء فى الفتيا	١١٤
و من كلام له عليه السلام قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب	١١٩

الموضوع	رقم الصفحة
ومن كلام له عليه السلام وفيه تخويف الناس من الموت و ترغيبهم للطاعة	١٢٣
ومن خطبة له عليه السلام يزهد عليه السلام، الناس في الدنيا و يرغبهم في الآخرة	١٢٤
ومن خطبة له عليه السلام	١٢٥
ومن خطبة له عليه السلام	١٢٩
ومنها اى من تلك الخطبة	١٣٥
ومن خطبة له عليه السلام	١٣٧
ومن خطبة له عليه السلام	١٣٩
ومن خطبة له عليه السلام	١٤٢
ومنها اى بعض هذه الخطبة	١٤٦
ومن خطبة له عليه السلام	١٤٨
ومن خطبة له عليه السلام وفيها التحذير من الدنيا والترغيب في الآخرة والوعظ والزجر	١٥٢
ومن خطبة له عليه السلام	١٦١
ومن كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان	١٦٥
ومن كلام له عليه السلام وقد أرسل عليه السلام عبد الله بن عباس الى الزبير يطلب منه الرجوع عن الحرب وذلك قبل وقوع حرب الجمل	١٦٧
ومن خطبة له عليه السلام وفيها يصف زمانه بالجور ويقسم الناس الى أقسام	١٦٩

الموضوع	رقم الصفحة
و من خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة	١٧٦
و من خطبة له عليه السلام فى استنفار الناس الى أهل الشام	١٧٨
و من خطبة له عليه السلام بعد التحكيم	١٨٤
و من خطبة له عليه السلام فى تخويف أهل النهروان	١٨٨
و من كلام له عليه السلام يجرى مجرى الخطبة	١٩١
و من كلام له عليه السلام	١٩٥
و من خطبة له عليه السلام	١٩٦
و من كلام له عليه السلام فى الخوارج لما سمع قولهم لا حكم الا الله	١٩٩
و من خطبة له عليه السلام	٢٠٢
و من كلام له عليه السلام	٢٠٤
و من كلام له عليه السلام وقد اشار عليه أصحابه بالاستعداد	
للحرب بعد ارساله جرير بن عبد الله البجلي الى معاوية	٢٠٦
و من كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني	
الى معاوية ، وكان قد ابتاع سبى بنى ناجيه من عامل أمير المؤمنين	
عليه السلام واعتقهم ، فلما طالبه بالمال خاس به وهرب الى الشام	٢٠٩
و من خطبة له عليه السلام خطب بهذه الخطبة فى يوم عيد الفطر	٢١١
و من كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير الى الشام	٢١٣
و من كلام له عليه السلام فى ذكر الكوفة	٢١٥
و من خطبة له عليه السلام عند المسير الى الشام	٢١٧
و من خطبة له عليه السلام	٢١٩

- ٢٢١ ومن كلام له عليه السلام
ومن خطبة له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه
- ٢٢٣ السلام على شريعة الفرات بصقّين ومنعوهم من الماء
ومن خطبة له عليه السلام في التزهيد في الدنيا ونعم الله على
الخلق
- ٢٢٥
ومن كلام له عليه السلام في ذكرى يوم النحر وصفة الأضحية
- ٢٢٩ ومن خطبة له عليه السلام وقد كان يمنع أصحابه من قتال أهل
الشام — في صفين — لئلا يبتدء القوم بذلك، ولا تمام الحجة
- ٢٣٠ ومن كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه أذنه لهم في القتال
بصقّين
- ٢٣٢ ومن كلام له عليه السلام بين موقف أصحاب الرسول و صبرهم و
ثباتهم حتى تمكنوا من إعلاء كلمة الإسلام
- ٢٣٤ ومن كلام له عليه السلام وصف به معاوية بن أبي سفيان و
استيلائه على الحكم
- ٢٣٧ ومن كلام له عليه السلام كلم به الخوارج ، حين زعموا ان الامام
قد كفر لانه رضى بالتحكيم ، و طلبوا منه ان يتوب عن كفره !
- ٢٤٠ وقال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج ، وقيل له : انهم قد
عبروا جسر النهر وان
- ٢٤٢ وقال عليه السلام لما قتل الخوارج فقيلاً له يا أمير المؤمنين ،
هلك القوم بأجمعهم
- ٢٤٣